عنا التعزير بقولنا وفعلنا واقتصر الامر فى ذلك علينا وكانوا هم مبرئين مما قلنا ونوينا فلا جرم اذ كان هذا مقصدنا لوجود السلامة التى جعلناها معتمدنا فينبغى لنا أن نقدم أولا كلام المؤلف رحمه الله تعالى مستوفى ثم نتبعه كلامنا بصيغة الخبر والدعوى ونأتى فيه بعبارة أبسط من عبارته واشارة أجلى من اشارته ليفهم بذلك ما عندنا فى تفسير ما ذكره لأنه تفسيره حقيقة مقررة ونذكر فى أثناء ذلك كثيرا مما ناسب عندى من الكلام المنبه عليه لتتم بذلك الفائدة فى الغرض المتوجه اليه وما ظهر لنا فى كلامه من تكرار معان وتداخل فروع وربما رأينا التنبيه عليه كالفرض وأحلنا بعضه على بعض وعلى الناسخ لهذا المجموع أن يتبع فيه ما رسمناه ويكتب نص كلام المؤلف بصبغ يخالف لونه لون ما يكتب به سواه أو يكتبهما بقلمين مختلفين فى الغلظ والرقة ويوفى من ذلك كلا منهما حقه ليكون ذلك أقرب الى حصول المرام فى استخراج فائدة ترتيب الكلام والله الموفق لا رب غيره ولا خير الا خيره والذى حملنى على وضعه وتكلف تصنيفه وجمعه بعد تقدم ارادة الله تعالى التى لا تغلب وتقديره الذى ليس للعبد منه منجى ولا مهرب ثم الرأى الذى رأيناه من المطالب والمقاصد المعظمة ونبهنا عليه فى صدر هذه المقدمة الحاح بعض الاصحاب فى ذلك على وترداد هم المسئلة الى لكونهم على اعتقاد صحيح فى هذه الطريقة ومحبة خالصة لاهل الحقيقة فأسعفتهم بما طلبوه وحققت لهم الامل فيما رغبوه كما شاء الله تعالى وحكم وقضى به علينا وحتم نفعنا الله واياهم بما يجرى منه على يدينا ولا يجعله حجة عليهم ولا علينا ونحن نستغفر الله تعالى مما تعاطيناه من الامر العظيم واقتحمناه من الخطر الجسيم ونستعيذ به من الوقوع فى حبائل العدو الرجيم ونسأله توفيقا يقف بنا على جادة الاستقامة ويصرفنا عن العمل بما يعقب ملامة أو ندامة ونرجو مع هذا الذى من علينا بالانتماء الى مذاهبهم والانتساب الى كريم مناسبهم والتعلق بأذيالهم ومحاولة النسج على منوالهم ورزقنا شيأ من تعظيمهم وحبهم وقسطا من تكريمهم وبرهم أن لا يحرمنا من شفاعتهم ولا يخرجنا من كنف ولايتهم ولا يطردنا عن بابهم الكريم ولا يصرفنا عن منهجهم القويم فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم

لى سادة من عزهم * أقدامهم فوق الجباه

ان لم أكن منهم فلى * فى حبهم عز وجاه

اللهم انا نتوسل اليك بحبهم فانهم أحبوك ولم يحبوك حتى أحببتهم فبحبك اياهم وصلوا الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فبك الا بحظ ما منك فتمم لنا ذلك حتى نلقاك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين وسلم عليهم تسليما كثيرا وهذا حين أبتدئ وبالله التوفيق ومنه الهداية الى سواء الطريق قال المؤلف قدس الله سره ((من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل)) أقول الاعتماد على الله تعالى نعت العارفين الموحدين والاعتماد على غيره وصف الجاهلين الغافلين كائنا ما كان ذلك الغير حتى علومهم وأعمالهم وأحوالهم أما العارفون الموحدون فانهم على بساط القرب والمشاهدة ناظرون الى ربهم فانون عن أنفسهم فاذا وقعوا فى زلة أو أصابتهم غفلة شهدوا تصريف الحق تعالى لهم وجريان قضائه عليهم كما أنهم اذا صدرت عنهم طاعة أولاح عليهم لائح من يقظة لم يشهدوا فى ذلك أنفسهم ولم يروا فيها حولهم ولا قوتهم لان السابق الى قلوبهم ذكر ربهم فأنفسهم مطمئنة تحت جريان أقداره وقلوبهم ساكنة بما لاح لها من أنواره ولا فرق عندهم بين الحالين لانهم غرقى فى بحار التوحيد قد استوى خوفهم ورجاؤهم فلا ينقص من خوفهم ما يجتنبونه من العصيان ولا يزيد فى رجائهم ما يأتون به من الاحسان قال شارح المجالس العارفون قائمون بالله قد تولى الله أمرهم فاذا ظهرت منهم طاعة لم يرجوا عليها ثوابا لانهم لم يروا أنفسهم عمالا لها وان ظهرت منهم زلة فالدية على القاتل لم يشاهدوا غيره فى الشدة والرخاء قيامهم بالله

معصية أو غفلة عن الله تعالى وترك أوراده من علامة كونه من العارفين فإذا وقع في زلة أو أصابته غفلة شهد تصريف الحق فيه وجريان قضائه عليه كما أنه إذا أدام ورده أو طاعة أو لاح له مشاهدة قائمة لم ير في ذلك حوله وقوته ولا فرق عنده بين الحالتين لأنه غارق في بحار التوحيد فاستوى خوفه ورجاؤه ولا ينقص العصيان خوفه ولا يزيد الإحسان رجاءه فمن لم يجد هذه العلامة فيه فليجاهد نفسه بالرياضات والأذكار حتى يصل إلى مقام العارفين ومراد المصنف بهذه الحكمة تنشيط السالك ورفع همته عن الاعتماد على شيء سوى مولاه لا التزهيد في الأعمال لأنها (٤) سبب عادي في الوصول إلى الله تعالى ولا تحقير ما ينتج من الأحوال وغيرها لأن ذلك نعمة من الله تعالى لا ينبغي رده (إرادتك التجريد) أي ميل نفسك أيها المريد الصادق إلى التجرد عن الأسباب الظاهرة أي خروجك عنها وعدم معاناتها (مع إقامة الله إياك في الأسباب) وعلامة ذلك أن تجد فيها السلامة في دينك عند معاناتها وينقطع بها طمعك عما بأيدي الناس ولا تشغلك عما أنت فيه من وظائف العبادات الظاهرة والأحوال الباطنة (من الشهوة) أي من شهوات النفوس التي تدعو إليها (الخفية) وكانت شهوة لعدم وقوفك على مراد سيدك وموافقتك مراد نفسك وخفية لأن ظاهر ذلك أن مرادك بالتجرد الانقطاع إلى الله تعالى والتقرب إليه وباطنه أن مرادك الشهرة بالولاية ليقصدك الناس بالاعتقاد والتقرب إليك فتنقطع عما أنت بصدده فقد قال العارفون إقبال الناس على المريد قبل كماله سم قاتل وربما انقطعت بذلك عن وظائفك وأورادك وصرت تتطلع لما بأيدي الناس (وإرادتك الأسباب) أي التسبب انحطاطاً

والاكتساب (مع إقامة الله إياك في التجريد) أي بأن يسر لك القوت من حيث لا تحتسب وجعل نفسك مطمئنة عند تعذره متعلقة بمولاها وأدمت على الاشتغال بوظائف العبادات (انحطاط) عن الهمة العلية لإرادتك الرجوع إلى الخلق بعد التعلق بالحق ولو لم يكن الانحطاط أسماء الدنيا فأسماهم فيه لكان كافيا في دناءة الهمة والواجب على السالك أن يمكث فيما أقامه الحق فيه ويرضى به حتى يتولى الله إخراجه منه ولا يخرج بنفسه وإرادته وتسويل الشيطان فيقع في بحر القطيعة والعياذ بالله تعالى

والأعمال إلا أن يطلبوا الحظ لها وعليها فاعتمدوا على أعمالهم وسكنوا إلى أحوالهم فإذا وقعوا في زلة نقص بذلك رجاؤهم كما أنهم إذا عملوا طاعة جعلوها من أعظم عددهم وأقوى معتمدهم فتعلقوا بالأسباب وهو ابتغاء رفقهم بها عن رب الأرباب فمن وجد هذه العلامة في نفسه فليعرف مرتبته وقدره ولا يتعدى طوره فيدعي مقامات الخاصة من المقربين وإنما هو من عامة أصحاب اليمين وسيأتي إشارات إلى هذا المعنى في موضع من كلام المؤلف قدس الله سره وقد ذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي والحافظ أبو نعيم الأصبهاني عن يوسف بن الحسين الرازي رضي الله عنهم قال عارضني بعض الناس في كلام وقال لي لا تستدرك مرادك من علمك إلا أن تتوب فقلت مجيبا له إن التوبة تطرق بابي ما أذنت لها على أني هامس ربي ولو أن الصدق والإخلاص كانا عبدين لي لبعتهما زهدا مني فيهما لأني إن كنت عند الله في علم الغيب سعيدا مقبولا لم أتخلف باقتراف الذنوب والمآثم وإن كنت عنده شقيا مبعدا لم تسعدني توبتي وإخلاصي وصدقي وإن الله خلقني إنسانا بلا عمل ولا شفيع كان لي إليه وهداني لدينه الذي ارتضاه لنفسه فقال تعالى ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين فاعتمادي على فضله وكرمه أولى بي إذا كنت حرا فلا من اعتمادي على أفعالي المدخولة وصفاتي المعلولة لأن مقابلة فضله وكرمه بأعمال الناس نوع من قلة المعرفة بالكريم المتفضل قلت وهذه الحكاية وأمثالها ربما تقرع سمع من لا حقيقة عنده من طريق القوم فينكر معناها ولا يعتقده أو يسلمه ويدعيه مقاما لنفسه وكلتا الحالتين مؤدية بصاحبها إلى ضرر وخطر فليتق الله تعالى عبد ليس له تصرف في هذه الطريقة أن ينكر ما ذكرناه فيقع في الاعتراض على السادة والأولياء وفي ذلك بعده عن الله تعالى أو يدعيه مقاما لنفسه من غير أن يستظهر عليها ويتوثق منها ويزنها بالمعيار الذي نبهنا عليه ونحو ذلك فمن لم يحكم مقام الفناء عن النفس فيرتكب حينئذ ما يسخط الله تعالى ويتعدى حدوده ويجعل ذلك حجة فيه غلطا وجهلا وهذا باب من الزندقة والعياذ بالله سبحانه وتعالى (إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية) الأسباب ههنا عبارة عما يتوصل به إلى غرض ما يسأل في الدنيا والتجريد عبارة عن عدم تشاغله بالأسباب لأجل ذلك فمن أقامه الحق تعالى في الأسباب وأراد هو الخروج منها فذلك من شهوته الخفية وإنما كانت من الشهوة لعدم وقوفه مع مراد الله تعالى منه وإرادته هو خلاف ذلك وإنما كانت خفية لأنه لم يقصد بذلك نيل حظ عاجل وإنما قصد بذلك التقرب إلى الله تعالى بكونه على حال هي أعلى مرتبة لكن فاته الأدب بعدم وقوفه مع مراد الله تعالى من إقامته إياه فيما أقامه فيه وتطلعه إلى مقام رفيع لا يليق به في الوقت وعلامة إقامته إياه في الأسباب أن يدوم له ذلك وأن تحصل له ثمرته ونتيجته وذلك بأن يجد عند تشاغله بالأسباب سلامة في دينه وقطعا للطمع عن غيره وحسن نيته في صلة رحم أو إعانة فقير معدم إلى غير ذلك من فوائد المال المتعلقة بالدين ومن أقامه الحق تعالى في التجريد وأراد الخروج منه إلى الأسباب فذلك من

انحطاط همته وسوء أدبه وكان واقفا مع شهوته الجلية لان التجريد مقام رفيع أقام الحق تعالى فيه خواص عباده من الموحدين والعارفين فاذا أقامه الحق تعالى فى مقام الخواص فلم ينحط عن رتبتهم الى منازل اهل الانتقاص قال الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه من لم يأنف من مشاركة الاضداد فى الاسباب فهو خسيس الهمة وعلامة اقامته اياه فى التجريد ما ذكرناه من الدوام ووجدان الثمرة ومن ثمرات ذلك طيب وقت المتجرد وصفاء قلبه ووجدان راحته من ملابسة الخلق ومخالطتهم والهمة حالة للقلب وهى قوة ارادة وغلبة انبعاث الى نيل مقصود ما وتكون عالية ان تعلقت بمعالى الامور وسافلة ان تعلقت بادانيها قال الشاعر وأجاد

وقائلة لم علتك الهموم * وأمرك ممتثل فى الامم
فقلت ذرينى على حالتى * فان الهموم بقدر الهمم

وقال الآخر

اذا أعطشتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا
فان اراقة ماء الحيا * ة دون اراقة ماء المحيا

وما ذكرته من معانى الاقامة فى نوعى الاسباب والتجريد هو شئ فهمته مما يقوله بعد هذا من علامة اقامة الحق لك فى الشئ ادامته اياك فيه مع حصول النتائج والله أعلم وقد ذكر فى التنوير هذه المسئلة بنصها حاكيا عن هذا الكتاب وقال باثره وافهم رحمك الله ان من شأن العدو أن يأتيك فيما أنت فيه مما أقامك الله فيه فيحقره عندك لتطلب غير ما أقامك الله فيه فيشوش عليك قلبك ويكدر وقتك وذلك أنه يأتى للمتسببين فيقول لهم لو تركتم الاسباب وتجردتم لاشرقت لكم الانوار واصطفت منكم القلوب والاسرار قال فلان وكذلك صنع فلان وفلان ويكون هذا العبد ليس مقصودا بالتجريد ولا طاقة له به انما صلاحه فى الاسباب فيتركها فيتزلزل ايمانه ويذهب ايقانه ويتوجه الى الطلب من الخلق والى الاهتمام بأمر الرزق فيرمى فى بحر القطيعة وذلك قصد العدو منه لانه انما يأتيك فى صورة ناصح كما أتى أبويك فيما أخبر الله تعالى عنه بقوله تعالى وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين كما تقدم بيانه وكذلك يأتى المتجردين ويقول لهم الى متى تتركون الاسباب ألم تعلموا أن ترك الاسباب تطلع معه القلوب الى مافى أيدى الناس ويفتح باب الطمع ولا يمكنكم الاسعاف والايثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما تكونون منتظرا ما يفتح به عليك من الخلق فلو دخلت فى الاسباب بقى غيرك منتظرا ما يفتح به عليه منك الى غير ذلك ويكون هذا العبد قد طاب وقته وانبسط نوره ووجد الراحة بالانقطاع عن الخلق فلا يزال به حتى يعود الى الاسباب فتصيبه كدورتها وتغشاه ظلمتها ويعود الدائم فى سببه أحسن حالا منه لان ذلك ماسلك طريقا ثم رجع عنها ولا قصد مقصدا ثم انعطف عنه فافهم واعتصم بالله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم وانما قصد الشيطان بذلك أن يمنع العباد الرضا عن الله تعالى فيما هم فيه وأن يخرجهم عن مختار الله لهم الى مختارهم لانفسهم وما أدخلك الله فيه تولى اعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك اليه وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا فالمدخل الصدق أن تدخل فيه لا بنفسك والمخرج الصدق ايضا كذلك فافهم والذى يقتضيه الحق منك ان تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق سبحانه هو الذى يتولى اخراجك كما تولى ادخالك وليس الشأن أن تترك السبب بل الشأن أن يتركك السبب * قال بعضهم تركت السبب كذا كذا مرة فعدت اليه ثم تركنى السبب فلم أعد اليه ودخلت على الشيخ رضى الله عنه وفى نفسى العزم على التجريد قائلا فى نفسى ان الوصول الى الله تعالى على هذه الحالة بعيد من الاشتغال بالعلوم الظاهرة ووجود المخالطة للناس فقال لى من غير أن أسأله صحبنى انسان مشتغل بالعلوم الظاهرة ومتصدر فيها فذاق من هذه الطريق شيأ فجاء الى فقال يا سيدى أخرج مما أنا فيه وأتجرد لصحبتك فقلت

(سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار) هذه الحكمة كالتعليل لما قبلها أو تصلح أيضا لما بعدها كأنه قال إنما قلت لك أيها المريد بخلاف ما أراده مولاك لا تتعدى بها الإرادة كانت سوابق الهمم أي الهمم السوابق أي سريعة التأثير في الأشياء وهي قوى النفس التي تنفعل عنها الأشياء وتكون للولي كرامة يقال فعل كذا بهمته إذا وجهها إليه فوجد ولغيره كالساحر والعائن إهانة لا تنفعل عنها الأشياء إلا بتقدير الله تعالى أي بإذنه سبحانه والهمم غير السوابق كهمتك أيها المريد لا أثر لها من باب أولى وفي هذا تبريد لنار الحرص المشتعلة في قلبه حتى يحصل له أن ذلك الشيء طوع يده وأنه يدركه لا محالة والإضافة في قوله سوابق الهمم من إضافة الصفة إلى الموصوف كما تقرر وفي قوله أسوار الأقدار من إضافة المشبه به للمشبه (٢) ثم قال (أرح نفسك) أيها المريد (من التدبير) لأمر دنياك وهو أن يقدر الشخص في نفسه أحوالا يكون عليها على مقتضى شهوته ويدبر لها ما يليق بها من أحوال وأعمال ويهتم لأجل ذلك وهذا تعب عظيم استعجله لنفسه ولعل أكثر ما يقدره لا يقع فيتعب طبعه وفي تعبيره بأرح إشارة إلى أن المطلوب تركه للمريد هو ما فيه تعب ومعاناة أما تدبير أمور معاشه على وجه سهل يستعين به على مطلوبه فلا بأس به ولذا أورد التدبير بصف المعيشة (فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك) يعني أن الأمر مفروغ منه إذ قد قام به غيرك وهو الله تعالى وما قام به غيرك لا فائدة في قيامك به فيكون قيامك فضولا لا ينبغي أن يتلبس به ذوو العقول وأيضا فيه ترك العبودية ومضادة لأحكام الربوبية ومنازعة القدر وإنما خاطب المريد بذلك لأنه إذا توجه لحضرة الرب واشتغل بأوراد الطريق وأعماله تعطلت عليه أسباب معاشه في الحال فيأتيه الشيطان ويوسوس له ويصير يدبر في نفسه أمورا لا يقع أكثرها وذلك يشغله عما هو دليل بصدده فيرجع عما هو متوجه له وربما إذا كثر الذكر والرياضة حتى يرجع عنه الشيطان ويحصل له الراحة من تعب التدبير ولذا قال (اجتهادك فيما ضمن لك) أي تكفل الله لك به وهو الرزق تفضلا منه وإحسانا قال تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم إلى غير ذلك من الآيات (وتقصيرك فيما طلب منك) وهو العمل الذي تتوصل به عادة إلى مولاك من أذكار وصلوات وأوراد وغير ذلك من أنواع الطاعات قال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون الآية والمطلوب من المريد السعي في قوت الأرواح وهو ذكر المولى وفعل ما يقرب إليه لا قوت الأشباح لأنه قائم به غيره وهو مولاه

له ما ليس الشأن ذا ولكن اسكن فيما أنت فيه وما قسم الله لك على أيدينا هو إليك واصل ثم قال الشيخ وتطرأ لي وهكذا شأن الصديقين لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى إخراجهم خروجا من عنده وقد حصل الله لك الخواطر من قلبي ووجدت الراحة بالتسليم إلى الله تعالى ولكنهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم اهـ كلامه في التنوير في هذا المعنى كلام حسن وإنما أثبتناه ههنا على طوله لأنه تولى فيه بيان مسألته التي ذكرها في هذا الكتاب بقصد بيان ما أثبتناه نقلناه بلفظه ووددنا لو أن جميع مسائله تكون هكذا (سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار) الهمم السوابق هي قوى النفس التي تنفعل عنها بعض الموجودات بإذن الله تعالى ويسميها الصوفية همة فيقولون أحال فلان همته على أمر ما فانفعل له ذلك وهذه الهمم السابقة لا تنفعل الأشياء عنها إلا بالقضاء والقدر وهو معنى قولنا بإذن الله تعالى فهي على حال سبقيتها ونفوذها لا تخرق أسوار الأقدار ولا تنفذها وهذه الهمم قد تكون للأولياء كرامات وقد تكون لغيرهم استدراجا ومكرا كما تكون للعائن والساحر وقد ثبت أن العين حق والسحر حق ومعنى ما ذكرناه وحاصل ذلك أنه يجب أن يعتقد أنها أسباب لا تأثير لها ولا فاعلية وأن الفاعل هو الله تعالى وحده عندها لا بها وكأن المؤلف رحمه الله إنما أورد هذه المسألة بين يدي كلامه في التدبير ليعرفك بذلك أن وجود التدبير لا جدوى له ولا فائدة لأن الهمة الفعالة إذا لم تنفذ في خرق أسوار الأقدار شيئا كيف يفيد في ذلك التدبير وما لا فائدة فيه فضول لا ينبغي أن يشتغل به ويتعب فيه ذوو العقول ولذلك قال (أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك) تدبير الخلق لأمور دنياهم على الوجه الذي نقوله مذموم لأن الله تعالى قد تكفل لهم بذلك وقام به عنهم وطلب منهم أن يفرغوا قلوبهم منه ويقوموا بحق عبوديته ووظائف تكليفاته فقط وهو أن يقدر العبد لنفسه شيئا يكون عليه من أمر دنياه على ما تقتضيه شهوته وهواه ويدبر لها ما يليق بها من أحوال وأعمال ويستعد لذلك ويهتم لأجله وهذا تعب عظيم استعجله لنفسه ولعل أكثر ما يقدره لا يقع فيتعب طبعه ويبطل سعيه ثم فيه من ترك العبودية ومضادة أحكام الربوبية ومنازعة القدر وإضاعة العمر ما يحمل العاقل على تركه واجتنابه وقطع مواده وأسبابه قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه ذروا التدبير والاختيار فإنهما يكدران على الناس عيشهم وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي إن كان ولا بد أن تدبروا فدبروا أن لا تدبروا وهذه المسألة أساس طريق القوم بل هي جملته وكليته والكلام فيها طويل عريض وإنما اقتصرنا فيها على هذا القدر اليسير من التنبيه لأن المؤلف رحمه الله أفرد في هذا المعنى كتابا سماه التنوير في إسقاط التدبير أحسن فيه غاية الإحسان وقرب الأمر فيه بحيث يستغنى به عما صنف في الطريقة من ديوان فتحصيله متعين على كل مريد نجيب (اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك

دليل على انطماس البصيرة منك)) الشئ المضمون للعبد هو رزقه الذى يحصل له به قوام وجوده فى دنياه ومعنى كونه مضمونا أن الله تعالى تكفل بذلك وفرغ العباد عنه ولم يطلب منهم الاجتهاد فى السعى فيه ولا الاهتمام له والشئ المطلوب من العبد هو العمل الذى يتوصل به الى سعادة الآخرة والقرب من الله تعالى من عبادات وطاعات ومعنى كونه مطلوبا أنه موكول الى اكتساب العبد له واجتهاده فيه ومراعاة شروطه وأسبابه وأوقاته بهذا جرت سنة الله تعالى فى عباده قال الله عز وجل فى المعنى الاول الذى ضمنه للعبد وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وقال تعالى فى المعنى الثانى الذى طلبه منه وأن ليس للانسان الا ما سعى وقد روى فى بعض الآثار أن الله تعالى يقول عبدى أطعنى فيما أمرتك ولا تعلمنى بما يصلحك وذكر فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما بال أقوام يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين ويعملون بالقرآن ما وافق أهواءهم وما خالف أهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك بغير سعى من القدر المقدور والاجل المكتوب والرزق المقسوم ولا يسعون فيما لا يدرك الا بالسعى من الجزاء الموفور والسعى المشكور والتجارة التى لا تبور وقال ابراهيم الخواص العلم كله فى كلمتين لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت فمن قام بهذا الامر على ما ينبغى له من الوجه الذى ذكرناه من الاجتهاد فى الامر المطلوب منه وتفريغ القلب عن الامر المضمون له فقد انفتحت بصيرته وأشرق نور الحق فى قلبه وحصل على غاية المقصود ومن عكس هذا الامر فهو مطموس البصيرة أعمى القلب وفعله دليل على ذلك والبصيرة ناظر القلب كما أن البصر ناظر العين وناظر القلب انما ينظر الى العاقبة والعاقبة للمتقين فالتقوى هى التى يجب على العبد أن يجتهد فيها ولا يتوانى ويقصر عما يمنع منها وتعبير المؤلف رحمه الله بالاجتهاد اشعار بأن طلب الرزق من غير اجتهاد فيه غير مقصود بالكلام وهو كذلك لانه مباح ومأذون فيه فلا يدل ذلك على انطماس بصيرة صاحبه الا ان اقترن به تقصير فيما أمر به قال فى التنوير فى قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك أى قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بقسمتنا وهما شيآن شئ ضمنه الله لك فلا تتهمه وشئ طلبه منك فلا تهمله فمن اشتغل بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته وقل أن ينتبه لمن يوقظه بل حقيق على العبد أن يشتغل بما طلب منه عما ضمن له اذا كان الله سبحانه وتعالى قد رزق أهل الجحود كيف لا يرزق أهل الشهود واذا كان سبحانه قد أجرى رزقه على أهل الكفران كيف لا يجرى رزقه على أهل الايمان فقد علمت أيها العبد أن الدنيا مضمونة لك أى مضمون لك منها ما يقوم بأودك والآخرة مطلوبة منك أى العمل لها لقوله سبحانه وتعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى فكيف يثبت لك عقل أو بصيرة واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك بما طلب منك من أمر الآخرة حتى قال بعضهم ان الله تعالى ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة فليته ضمن لنا الآخرة وطلب منا الدنيا ((لا يكن تأخر أمد العطاء مع الالحاح فى الدعاء موجبا ليأسك فهو ضمن لك الاجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره لنفسك وفى الوقت الذى يريد لا فى الوقت الذى تريد)) حكم العبد أن لا يتخير شيأ على مولاه ولا يجزم بصلاحية حال من الاحوال له لانه جاهل من كل وجه قد يكره الشئ وهو خير له ويحب الشئ وهو شر له * قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لا تختر من أمرك شيأ واختر أن لا تختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شئ الى الله عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار ودخل رجل على سيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنه وهو يتألم لما به فقال ذلك الرجل عافاك الله يا سيدى فسكت ولم يجاوبه ثم سكت ذلك الرجل ساعة وقال الله يعافيك يا سيدى فقال له الشيخ أبو العباس وأنا ما سألت الله العافية فقد سألته العافية والذى أنا

فيه هو العافية هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سأل الله العافية وقد قال ما زالت أكلة خيبر تعاودني والآن قد قطعت أبهري وسيدنا أبو بكر رضي الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك مات مسموما وسيدنا عمر رضي الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك مات مطعونا وسيدنا عثمان رضي الله عنه سأل الله تعالى العافية وبعد ذلك مات مذبوحا وسيدنا علي رضي الله عنه سأل الله تعالى العافية وبعد ذلك مات مقتولا وإذا سألت الله تعالى العافية فاسأله من حيث يعلم أنه لك عافية اهـ فعلى العبد أن يسلم نفسه لمولاه ويعلم أن الخيرة له في جميع ما به يتولاه وإن خالف ذلك مراده وهواه فإذا دعا وطلب من مولاه شيئا يرى أن له فيه مصلحة أيقن بالإجابة لا محالة قال الله عز وجل وقال ربكم ادعوني أستجب لكم وقال تعالى وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل أو كف عنه من السوء مثله ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من داع يدعو إلا استجاب الله له دعوته أو صرف عنه مثلها سوءا أو حط من ذنوبه بقدرها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم وإذا الإجابة المطلقة حاصلة لكل داع بحق حسبما ورد الوعد الصدق إلا أن الإجابة أمرها إلى الله تعالى يجعلها متى شاء وقد يكون المنع وتأخير العطاء إثابة وعطاء لمن فهم عن الله تعالى ذلك فلا ييأس العبد من فضل الله تعالى إذا رأى منعا أو تأخيرا وإن ألح في دعائه وسؤاله وقد يكون تأخير ذلك إلى الآخرة خيرا له فقد جاء في بعض الأخبار يبعث عبد فيقول الله تعالى له ألم آمرك أن ترفع حوائجك إلي فيقول نعم وقد رفعتها إليك فيقول الله تعالى ما سألت شيئا إلا أجبتك فيه ولكن عجلت لك البعض في الدنيا وما لم أعجله في الدنيا فقد ذخرته لك عندي الآن حتى يقول ذلك العبد ليته لم تقض لي حاجة في الدنيا وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه النهي عن الاستعجال في إجابة الدعاء إذ في قوله يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي وقد دعا موسى وهرون عليهما السلام على فرعون فيما أخبر الله به عنهما حيث قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ثم أخبر أنه أجاب دعاءهما بقوله سبحانه وتعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون قالوا وكان بين قول الله تعالى لهما قد أجيبت دعوتكما وهلاك فرعون أربعون سنة (قال) سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في قوله تعالى فاستقيما أي على عدم استعجال ما طلبتما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون هم الذين يستعجلون الإجابة وما علموا ثمرة وجه ما يحصل له بسبب مداومة الدعاء من محبة الله تعالى له وموافقة رضاه فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله يحب الملحين في الدعاء وقد جاء في الحديث قال جبريل عليه السلام يا رب عبدك اقض له حاجته فيقول دعوا عبدي فإني أحب أن أسمع صوته رواه أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتضى هذا أن من الناس من يعجل الله له قضاء حاجته لكراهة صوته وقد روي هذا المعنى أيضا منصوصا فليكن العبد فاهما من ذلك عند تعجيل إجابة دعائه قال أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه كل من لم يكن في دعائه تاركا لاختياره وراضيا باختيار الحق له فهو مستدرج وهو ممن قيل له اقضوا حاجته فإني أكره أن أسمع صوته وإذا كان في دعائه مع اختيار الحق تعالى لا مع اختيار نفسه كان مجابا وإن لم يعط والأعمال بخواتيمها اهـ وقد تكون الإجابة مرتبة على شروط لا يعلمها الداعي فيتأخر لعدم وقوع ذلك أو بعضه وذلك مثل وجود الاضطرار قال الله تعالى أمن يجيب المضطر إذا دعاه فرتب الإجابة على الاضطرار وقال بعض العارفين إذا أراد الله أن يستجيب دعاء عبد رزقه الاضطرار في الدعاء والاضطرار لا يحققه العبد من نفسه في جميع حالاته قال بعضهم المضطر الذي [illegible] لنفسه عملا وهذا حال شريف ومقام منيف يعسر على أكثر الناس

الوصول

(لايشككنك فى الوعد) الذى وعدك به مولاك فى منام أو على لسان ملك أو بالهام رحمانى (عدم وقوع الموعو
وان كان زمنه معينا بأن ألهمت انه يحصل لك فى الوقت الفلانى فتح أو يحصل فى انعام رخاء أو غير ذلك (لئلا يكو
بصيرتك واخماد النور سريرتك) فمن وعده مولاه شيأ وان كان معين الزمان ثم لم يقع ذلك الموعود فلا ينبغى أن يش
ر به لجواز أن يكون وقوع ذلك الموعود معلقا على أسباب وشروط استأثر الحق تعالى بعلمها دون العبد كما
ما يقع لبعض الاولياء أن يخبر بأنه يحصل فى هذا العام كذا ثم لا يحصل فيقع بعض الناس فى أعراضهم ومنه ما وقع
الحديبية من اخباره للصحابة بالفتح ثم لم يحصل فى ذلك العام بل فى عام بعده فاذا خطر للمريد خاطر رحمانى أو ملك
لا ينبغى أن يشك فى حصول الموعود بل ينبغى أن يعرف قدره ويتأدب مع ربه ويسكن اليه فيما وعده به ولا ين
اعتقاده فمن كان كذلك فهو عارف بالله سالم البصيرة منور السريرة والا فعلى العكس من ذلك (اذا فتح لك وجهة م
أن قل) بفتح الهمزة (عملك) أى بقلة عملك اعلم أن (٩) السالك لا بد له فى سلوكه من كثرة الاعمال ليقطع عق

الوصول اليه فكيف يتحقق بما ينبنى عليه وفى المسئلة التى باثر هذا تنبيه على هذا المعنى ((لايشككنك فى الوعد عدم وقوع الموعود وان تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا فى بصيرتك واخمادا لنور سريرتك)) الحق سبحانه لا يخلف الميعاد فمن وعده مولاه شيأ وان كان معين الزمن ثم لم يقع ذلك الموعود فلا ينبغى أن يشككه ذلك فى صدق وعد ربه لجواز أن يكون وقوع ذلك الوعد معلقا على أسباب وشروط استأثر الحق تعالى بعلمها دون العبد فعلى العبد أن يعرف قدره ويتأدب مع ربه ويسكن اليه فيما وعده به ويطمئن اليه ولا يتشكك فى ذلك ولا يتزلزل اعتقاده فيه فمن كان على هذا الوصف فهو عارف بالله تعالى سالم البصيرة منور السريرة والا فعلى العكس ((اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها أن قل عملك فانه ما فتحها لك الا وهو يريد أن يتعرف اليك ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك والاعمال أنت مهديها اليه وأين ما تهديه اليه مما هو مورده عليك)) معرفة الله تعالى هى غاية المطالب ونهاية الآمال والمآرب فاذا واجه الله تعالى عبده ببعض أسبابها وفتح له باب التعرف له منها وأوجد له سكينة وطمأنينة فيها فذلك من النعم الجزيلة عليه فينبغى أن لا يكترث بما يفوته بسبب ذلك من أعمال البر وما يترتب عليها من جزيل الاجر وليعلم انه سلك به مسلك الخاصة المقربين المؤدى الى حقائق التوحيد واليقين من غير اكتساب من العبد ولا بعمل والاعمال التى من شأنه أن يتلبس بها هى باكتسابه وبعمله فلا تسلم من دخول الآفات عليها والمطالبة بوجود الاخلاص فيها وقد لا يحصل له ما يريد من الثواب عند مناقشة الحساب وأين أحدهما من الآخر ومثاله ما يصاب به الانسان من البلايا والشدائد التى تنغص عليه لذات الدنيا وتمنعه من تكثير أعمال البر فان مراده أن يستمر بقاؤه فى دنياه طيب العيش ناعم البال ويكون حاله فى طلب سعادة الآخرة حال المترفين المتورعين فلا تستخف نفسه الا بالاعمال الظاهرة التى لا كبير مؤنة عليه فيها ولا مشقة ولا تقطع عليه لذته ولا تفوته شهوته ومراد الله منه أن يطهره من أخلاقه الدنية ويحول بينه وبين صفاته الذميمة ويخرجه من أسر وجوده الى متسع شهوده ولا سبيل له الى الوصول الى هذا المقام على غاية الكمال

(٣- ابن عباد اول) من حضرة الرب وفتح تلك الوجهة دليل على ذلك وعلى انه معتنى به وأنه سيصير من أهل
بسبب مرض يعوقه عنه فاذا احصل عنده نوع من المعرفة بأن عرف أن نزول المرض به خير من الصحة لما فيه م
ما يريد فلا يبالى حينئذ بقلة العمل (فانه ما فتحها) أى تلك الوجهة (لك الا وهو يريد أن يتعرف اليك) أى يوا
ويتجلى عليك بصفاته وأسمائه ولا شك أن ذلك أعظم من كثرة الاعمال الظاهرة (ألم تر أن التعرف هو مورده عل
التفضل (والاعمال أنت مهديها اليه وأين ما تهديه اليه مما هو مورده عليك) فان هدية العبيد وان كانت جليل
هدية السيد وان كانت قليلة على أن هدية العبد هنا نفعها عائد عليه لا على السيد وحاصل ما ذكر أن قليل العم
العمل بدوام فاذا احصل للسالك بعض المعرفة ينبغى له أن يوجه قلبه الى حضرة مولاه ليزيده من معرفته وقر
اهتمامه بالاعمال الظاهرة ولذا كانت أعمال العارفين الظاهرة قليلة فى أواخر أمرهم وما زالوا يحنون الى ا

والتمام الاعمال بصاد مراده ويشق عليه معتاده ويكون حاله حينئذ المعاملة بالباطن ولا مناسبة بينها وبين الاعمال الظاهرة واذا فهم هذا علم أن اختيار الله له ومراده منه خير له من اختياره لنفسه ومراده لها وقد روى أن الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه أنزلت بعبدى بلائى فدعانى فماطلته بالاجابة فشكانى فقلت عبدى كيف أرحمك من شئ به أرحمك وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى اذا ابتليت عبدى المؤمن ولم يشكنى الى عواده أنشطته من عقالى وبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ويستأنف العمل وروى عن سعيد المقبرى قال سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول قال الله تبارك وتعالى اذا ابتليت عبدى المؤمن فلم يشكنى الى عواده حللت عنه عقدى وبدلت له لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم قلت له استأنف العمل قال أبو عبد الله محمد بن على الترمذى رضى الله عنه ولقد مرضت فى سالف أيامى مرضة فلما شفانى الله تعالى منها مثلت فى نفسى ما دبر الله تعالى لى من هذه العلة فى مقدار هذه المدة وبين عبادة الثقلين فى قدر أيام علتى فقلت لو خيرت بين هذه العلة وبين أن تكون لى عبادة الثقلين فى مقدار مدتها الى أين يميل اختيارى فصح عزمى ودام يقينى ووقعت بصيرتى أن مختار الله تعالى أكثر شرفا وأعظم خطرا وأنفع عاقبة وهى العلة التى دبرها لى ولا شوب فيه اذا كان فعله فشتان بين فعله بك لتحمده وبين فعلك لتحمده به فلما رأيت ذلك دق فى عينى عبادة الثقلين فى مقدار تلك المدة فى جنب ما آتانى فصارت العلة عندى نعمة وصارت النعمة منه وصارت المنة أملا وصار الامل عطفا فقلت فى معنى هذا كانوا يستمرون فى البلاء على طيب النفوس مع الحق وهذا الذى انكشف كانوا يفرحون بالبلاء اه فهذه هى وجهة التعرف التى فهمها الله تعالى له وحصلت له العظة بها وآثرها على عبادة الثقلين والله أعلم واذا أنزل الله تعالى على العبد شيأ من البلايا فليستشعر ما ذكرناه وليجعله نصب عينيه وليجد فيه كارها على نفسه حتى يحصل له من السكون والطمأنينة ما يحمل عنه أثقال ذلك ويزيل عنه مرارته ويوجده حلاوته وعند ذلك يكون حاله فى بلائه حال الشاكرين من الفرح والاغتباط به ويرى من حق شكره أن يأتى بما يمكنه من أعمال بره واعتبر جميع ما قلناه فى هذه المسئلة بالحكاية التى ذكرها أبو العباس بن العريف رحمه الله فى كتابه مفتاح السعادة ومنهاج سلوك طريق الارادة قال فيه كان بالمغرب عمره الله بالاسلام رجل يدعى أبا الخيار رحمه الله ونفعنا به كره أصله من صقلية وموطنه بغداد وجاوز سنه التسعين وهو فى الرق لم يعتقه مولاه وذلك منه عن قصد واختيار وعم جسده الجذام ورائحة المسك توجد منه على مسافة بعيدة قال الذى حدثنى رأيته يصلى على الماء ثم لقيت بعده محمد الاصفهانى واذا هو الابرص فقلت له يا سيدى كان الله تعالى لم يجد للبلاء محلا من أعدائه حتى أنزله بكم وأنتم خاصة أوليائه قال فقال لى اسكت لا تقل ذلك انه لما أشرفنا على حراثى العطاء لم نجد عندنا شيأ أشرف ولا أقرب اليه من البلاء فسألناه اياه فكيف لك لو رأيت سيد الزهاد وقطب العباد وامام الاولياء الاوتاد بأرض فارس وجسدها لحم يتناثر وجلده يسيل قيحا وصديدا وقد أحاط به الذباب والنمل واذا كان الليل لم يقنع بذكر الله وشكره على ما أعطاه من الرحمة وأسكن جسده من العافية حتى يشد نفسه بالحديد ويستقبل القبلة عامة ليله حتى يطلع الفجر اه وسيأتى شئ من كلام المؤلف رحمه الله فى هذا المعنى والتنبيه عليه والله ولى التوفيق ((تنوعت أجناس الاعمال لتنوع واردات الاحوال)) واردات الاحوال هى ما يرد على القلوب من المعارف الربانية والاسرار الروحانية وهى التى توجد لها أحوال مختلفة فمنها وارد يوجب هيبة ومنها وارد يوجب أنسا ومنها وارد يوجب قبضا ومنها وارد يوجب بسطا الى غير ذلك من مختلفات الاحوال ولما هذه الواردات أيضا متنوعة كانت أجناس الاعمال التى تقتضيها هذه الواردات أيضا متنوعة والاعمال الظاهرة أبدا تبع لاحوال القلوب الباطنة كما سيقوله المؤلف بعد هذا فى قوله حسن الاعمال

(الاعمال) الظاهرة (صور قائمة) أى كالاشخاص التى ليس فيها أرواح فلا نفع بها (وأرواحها) التى بها الاخلاص) أى سر هو الاخلاص (فيها) والاخلاص يختلف باختلاف الناس فاخلاص العباد سلامة أعمالهم فيه حظ للنفس فلا يعملون العمل الا لله تعالى طلبا للثواب وهربا من العقاب مع نسبة العمل اليهم والاعتماد واخلاص المحبين هو العمل لله اجلالا وتعظيما لانه تعالى أهل لذلك لا لقصد ثواب ولا هرب (11) من عقا

نتائج حسن الاحوال ((الاعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها)) اخلاص كل عبد فى أعماله على حسب رتبته ومقامه فأما من كان منهم من الابرار فمنتهى درجة اخلاصه أن تكون أعماله سالمة من الرياء الجلى والخفى وقصد موافقة أهواء النفس طلبا لما وعد الله تعالى به المخلصين من جزيل الثواب وحسن المآب وهربا مما أوعد به المخلطين من أليم العذاب وسوء الحساب وهذا من التحقيق بمعنى قوله تعالى اياك نعبد أى لا نعبد الا اياك ولا نشرك فى عبادتنا غيرك وحاصل أمره اخراج الخلق عن نظره فى أعماله مع بقاء رؤيته لنفسه فى النسبة اليها والاعتماد عليها وأما من كان منهم من المقربين فقد جاوز هذا الى عدم رؤيته لنفسه فى عمله فاخلاصه انما هو فى شهود انفراد الحق تعالى بتحريكه وتسكينه من غير أن يرى لنفسه فى ذلك حولا ولا قوة ويعبر عن هذا المقام بالصدق الذى به يصح مقام الاخلاص وصاحب هذا مسلوك به سبيل التوحيد واليقين وهو من التحقق بمعنى قوله تعالى واياك نستعين أى لا نستعين الا بك لا بأنفسنا وحولنا وقوتنا فعمل الاول هو العمل لله تعالى وعمل الثانى هو العمل بالله فالعمل لله يوجب المثوبة والعمل بالله يوجب القربة والعمل لله يوجب تحقيق العبادة والعمل بالله يوجب تصحيح الارادة والعمل لله نعت كل عابد والعمل بالله نعت كل قاصد والعمل لله قيام بأحكام الظواهر والعمل بالله قيام بالضمائر وهذه العبارات للامام أبى القاسم القشيرى رضى الله عنه وبهذا يتبين الفرق بين المقامين وتباينهما فى الشرف والجلالة فاخلاص كل عبد هو روح أعماله فبوجود ذلك تكون حياتها وصلاحيتها للتقرب بها ويكون فيها أهلية وجود القبول لها وبعدم ذلك يكون موتها وسقوطها عن درجة الاعتبار وتكون اذ ذاك أشباحا بلا أرواح وصورا بلا معان قال بعض المشايخ صحح عملك بالاخلاص وصحح اخلاصك بالتبرى من الحول والقوة * ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى الحالة التى اذا كان العبد عليها كان مخلصا بالمعنيين فقال ((ادفن وجودك فى أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه)) لا شئ أضر على المريد من الشهرة وانتشار الصيت لان ذلك من أعظم حظوظه التى هو مأمور بتركها ومجاهدة النفس فيها وقد تسمح نفس المريد بترك ما سوى هذا من الحظوظ ومحبة الجاه وايثار الاشتهار مناقض للعبودية التى هو مطالب بها قال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه ما صدق الله من أحب الشهرة وقال بعضهم طريقتنا هذه لا تصلح الا لاقوام كنست بأرواحهم المزابل وقال أيوب السختيانى رضى الله عنه والله ما صدق الله عبد الا سره أن لا يشعر بمكانه وقال رجل لبشر بن الحرث رضى الله عنه أوصنى فقال أخمل ذكرك وأطب مطعمك وقال بعضهم رضى الله عنه ما أعرف رجلا أحب أن يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة من أحب أن يعرفه الناس وقال الفضيل رضى الله عنه بلغنى أن الله عز وجل يقول فى بعض ما يمن به على عبده ألم أنعم عليك ألم أسترك ألم أخمل ذكرك ثم ان تلك الاشياء الراجعة الى محبة الاشتهار والاستعلاء مما يقدح فى اخلاص العبد على اختلاف مراتبه لانه اما بسقوط الناس عن النظر اليهم أو بسقوط النفس عن النظر اليها ولا يثبت للمريد جميع ذلك الا بالخمول وسقوط المنزلة عند نفسه

بقوله (فما نبت) من الحب (مما لم يدفن لا يتم نتاجه) بل يخرج ضعيفا مصفرا لا ينتفع به الانتفاع التام واذا لم الطائر فلا ينتفع به أيضا وكذلك السالك اذا تعاطى أسباب الشهرة فى بدايته قل أن يفلح فى نهايته وبقدر تحققه مقام الاخلاص فينبنى أمره فى الابتداء على الفرار من الخلق واخمال الذكر وعدم حب الشهرة حتى اذا فنيت أ مولاه ان شاء أظهره وان شاء أخفاه قال سيدى أبو العباس قدس الله سره من أحب الظهور فهو عبد الظهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه اه

وعند الناس لانه ان لم يكن بهذه المثابة لم يسلم من الاعراض التي تبعثه على استمالة قلوب الخلق لما يرى
لنفسه عليهم من الحق فتدعوه نفسه الى ذلك دعاء خفيا فيتصنع عند ذلك بالرياء تصنعا لا يتفطن له كما سيأتي
عند قوله ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق اليك وبقدر تحققك بوصف الخمول يتحقق لك مقام
الاخلاص حتى تتخلص بذلك من رؤية اخلاصك وهذا يقتضي لك افلاس جميع الناس الا من رحم الله تعالى
وان الاخلاص في غاية الصعوبة على النفس وانه أعز الاشياء في الوجود وقيل لسهل بن عبد الله رضي الله
عنه أي شئ أشد على النفس قال الاخلاص لانها ليس لها فيه نصيب وقال يوسف بن الحسين رضي الله
عنه أعز شئ في الدنيا الاخلاص وكم أجتهد في اسقاط الرياء عن قلبي فكأنه ينبت فيه على لون آخر
الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه والاخلاص عند المخلصين اخراج الخلق عن معاملة الخالق وأول
الخلق النفس والاخلاص عند المحبين أن لا يعمل عملا لاجل النفس ولا يدخل عليه مطالعة العوض أو
تشوف الى حظ طبع والاخلاص عند الموحدين خروج الخلق عن النظر اليهم في الافعال وترك السكون
والاستراحة بهم في الاحوال اه واذا أخمل العبد نفسه وألزمها التواضع والمذلة واستمر على ذلك حتى صار
له خلقا وجبلة بحيث لا يجد لضعته ألما ولا لمذلته طعما فحينئذ تتزكى نفسه ويستنير بنور الاخلاص قلبه
وينال من ربه أعلى درجات الخصوصية ويحصل على أوفر نصيب من المحبة الحقيقية قال أبو
طالب ومتى ذل في نفسه واتضع عند نفسه فلم يجد لذلته طعما ولا لضعته حسا فقد صار الذل والتواضع
كونه فهذا لا يكره الذم من الخلق لوجود النقص في نفسه ولا يحب المدح منهم لفقد القدر والمنزلة في نفسه
فصارت الذلة والضعة صفة له لا تفارقه لازمة لزوم الزبالة للزبال والكساحة للكساح وهما صنعتان له
كسائر الصنائع ورعاعهم وانهما لعدم النظر الى نفسه وما يشهده ولاية عظيمة له من ربه وقدرا له على نفسه
وملكه عليها لقهرها بذكره وهذا مقام محمود محبوب وبعده مقام المكاشفات بأسرار الغيوب ثم قال ومن
كان حاله مع الله تعالى الذل طلبه واستحلاه كما يطلب المتكبر العز ويستحليه اذا وجده فاذا فقد
الذل ساعة تغير قلبه لفراق حاله كما أن المتعزز اذا فارق العز ساعة تكدر عليه عيشه لان ذلك حياة
نفسه اه واذا لابد للمريد من اسقاط جاهه واخمال ذكره وفراره عن مواضع اشتهاره وتعاطيه أمورا
مباحة تسقطه من أعين الناس كقصة الناسك الذي سمع به ملك زمانه فقصد اليه فلما علم بذلك الناسك
استدعى بقلا وجعل يأكله أكلا عنيفا فلما رآه الملك على تلك الحالة احتقره واستصغره
وانصرف عنه ذاما له وسيأتي نص هذه القصة بعد هذا عند قوله ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر
الخلق اليك وقد بالغ أئمة الصوفية رضي الله عنهم في مداواة علة الجاه الذي على القلوب حتى استعملوا في
ذلك أشياء منكرة في ظاهر الشرع ورأوا ذلك جائزا لهم أن يفعلوه ويأمروا به وذلك مثل قصة الرجل الذي
دخل الحمام ولبس من فاخر ثياب الناس تحت ثيابه بحيث تظهر ومشى بذلك متمهلا بحيث يرى ويظن به
السرقة فلما رآه الناس أخذوه وصفعوه ونزعوا الثياب عنه واشتهر عندهم بالسرقة حتى كان يعرف
عندهم بلص الحمام فحينئذ وجد قلبه ومثله ما يروى عن أبي يزيد رضي الله عنه في قصة الشاهد الذي
أمره بحلق رأسه ولحيته وتعليق مخلاة الجوز في عنقه واعطائه لمن يصفعه من الصبيان وطوافه على
تلك الحالة في المحافل والمحاضر والحكايتان مشهورتان ذكرهما الامام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه
وغيره قال بعض المصنفين واذا جاز لمن غص بلقمة من طعام حلال أن يسيغها بجرعة من الخمر اذا لم يجد
غيره مع أن تحريمه مقطوع به ولا يفوته الا حياة فانية فلان يجوز مثل هذا اذا تعين أولى اذ يفوته بذلك
الحياة الباقية والقرب من الله تعالى واذا التزم العبد هذه الطرق من الرياضات ماتت نفسه وحيي
قلبه وقرب من حضرة ربه واجتنى ثمرة غرسه على غاية الكمال والتمام وتلك الثمرة أخلاق الا
التي تكيفت بها نفسه وصارت كصفات ذاتية له وهي نتيجة الحكمة التي أثبتها الله في قلوب عباده

المتواضعين ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا قال عيسى عليه الصلاة والسلام لاصحابه أين تنبت الحبة قالوا في الارض فقال عيسى عليه الصلاة والسلام كذلك الحكمة لا تنبت الا في قلب مثل الارض قلت وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في مدح الخمول وذم الشهرة أحاديث كثيرة منها ما روى أبو أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله عز وجل ان أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فاصبر على ذلك ثم نفض يده فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل عزاؤه وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لابره وروى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان يسيرا من الرياء شرك وان من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الذي نوه فيه باسم أويس القرني وأشاد بذكره ونبه على عظيم أمره رضي الله عنه أنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلقة من أصحابه اذ قال ليصلين معكم غدا رجل من أهل الجنة قال أبو هريرة فطمعت أن أكون ذلك الرجل فغدوت فصليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فاقمت في المسجد حتى انصرف الناس فبقيت أنا وهو صلى الله عليه وسلم فبينما نحن كذلك اذ أقبل رجل أسود متزر بخرقة مرتد برقعة فجاء حتى وضع يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا نبي الله ادع الله لي بالشهادة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم له بالشهادة وانا نجد منه ريح المسك الاذفر فقلت يا رسول الله أهو هو قال نعم انه لمملوك بني فلان قلت أفلا تشتريه فتعتقه يا نبي الله فقال وأنى لي بذلك ان كان الله تعالى يريد أن يجعله من ملوك الجنة يا أبا هريرة ان لاهل الجنة ملوكا وسادة وان هذا الاسود أصبح من ملوك الجنة وسادتهم يا أبا هريرة ان الله عز وجل يحب من خلقه الاصفياء الاخفياء الابرياء الشعثة رؤسهم المغبرة وجوههم الخمصة بطونهم من كسب الحلال الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم وان خطبوا المتنعمات لم ينكحوا وان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا وان طلعوا لم يفرح بطلعتهم وان مرضوا لم يعادوا وان ماتوا لم يشهدوا قالوا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم قال ذلك أويس القرني قالوا وما أويس القرني قال أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة آدم شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام بنظره الى موضع سجوده واضع يمينه على شماله يتلو القرآن يبكي على نفسه ذو طمرين لا يؤبه له متزر ازار صوف ورداء صوف مجهول في أهل الارض معروف في أهل السماء لو أقسم على الله لابر قسمه ألا وان تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء ألا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة ويقال لاويس القرني قف فاشفع فيشفعه الله في مثل عدد ربيعة ومضر يا عمر ويا علي اذا أنتما لقيتماه فاطلبا اليه يستغفر لكما يغفر الله لكما وذكر باقي الحديث وفي حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون في أمتي رجل يقال له أويس القرني يدخل في شفاعته عدد ربيعة ومضر لو أقسم على الله لابره فمن لقيه بعدي فليقرئه مني السلام ثم سئل عن علامته فقال هو رجل أصهب أشهل ذو طمرين أبيضين له أم وقد كان به بياض فدعا الله عز وجل فاذهبه عنه الا مقدار الدينار أو الدرهم لا يؤبه له مجهول في الارض معروف في السماء وكان قد بلغ من شدة خموله ونهاية ضعفه أن الناس كانوا يسخرون منه ويستهزؤن به ويؤذونه ويرون فيه أهلية الخداع والتلصص وينسبونه الى ذلك فقد روي في ذلك أنه دفع اليه بعض فقهاء الكوفة ثوبين وكان يجالسه فانقطع عن مجلسه لاجل العري فردهما عليه بعد ان أخذهما منه وقال ان الناس يقولون من أين له هذان الثوبان ترى من خدع عليهما وكان في ذلك الوقت يجالس

ـب المريد في الظاهر من غفلاته والقرب الى حضرة مولاه (شيء مثل عزلة) أي اعتزال عن الناس (يدخل بها ميدان

ـه بالمبدان  لتردد القلب فيها كتردد الخيول في الميدان فالمريد اذا كان مخالطا للناس

الفقهاء وظهر للناس وذلك قبل أن يعرف رفعة القدر وجلالة الخطر وتنويه عمر رضي الله عنه به على المنبر فلما رأى أن الناس عرفوا حاله هرب منهم واستخفى فيهم ولبس أمره عليهم برعايته الابل وغير ذلك وقيل لعمر رضي الله عنه لما سأل عنه قومه ما نبينا أخمل منه ذكرا فلما لقيه هو وعلي رضي الله عنهما وسألاه من هو فقال له راعي غنم وأجير قوم وستر ذكره أو يس فلما سألاه عن اسمه وقالا له عبد الله فلما سألاه عن اسمه الذي سمته به أمه امتنع أن يجيبهما عن ذلك فلما أخبراه بوصف النبي صلى الله عليه وسلم له وأنهما عرفاه بذلك قال لهما عسى أن يكون ذلك غيري فلما قالا له أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تحت منكبك الايسر لمعة بيضاء وطلبا منه أن يوضحها لهما فلم يجدا بدا من أن يوضحها لهما وذلك والله أعلم ليريهما رؤية عين صحة قول النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه في اخباره بالغيب وذلك أمر واجب عليه والا فلعله كان يتعلل لهما كما فعله في كل ما سئل عنه ثم بعد ذلك لما سأله عمر رضي الله عنه أن يلتقي معه ويجعل ذلك الموضع ميعادا بينه وبينه قال له يا أمير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك ولا أعرفك ولا تعرفني بعد اليوم ثم دفع الابل الى أصحابها وتخلى عن الرعاية وكذلك فعل مع هرم بن حيان رضي الله عنه لما لقيه شاطئ الفرات ووقع بينهما التعرف قال له حدثني بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحفظه عنك فقال له لا أحب أن أفتح هذا الباب على نفسي لا أحب أن أكون محدثا ولا مفتيا ولا قاضيا فلما فرغ من الكلام الذي كان بصدده سأله مداومة الاجتماع معه فأبى وامتنع وقال له لا أراك بعد اليوم تطلبني ولا تسأل عني انطلق أنت ههنا حتى أنطلق أنا ههنا ثم بعد ذلك اجتهد في طلبه والبحث عنه فلم يقع له على ...
ومن عجيب أمره أن حقق الله تعالى له هذا الحال من الخفي والستر وأغمضه بعد موته مع ما أظهره بسببه من الآيات والعبر حينئذ قال عبد الله بن سلمة غزونا أذربيجان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعنا أويس القرني رضي الله عنه فلما رجعنا مرض فمات فنزلنا فاذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه فقال بعضنا لبعض لو رجعنا فعلمنا قبره فرجعنا فاذا لا قبر ولا أثر قلت والحكايات والآثار في مدح الخمول وذم الاشتهار أكثر من أن يأتي عليها الاختصار وقد أورد كثيرا منها الائمة المصنفون في هذا العلم فليطالع ذلك المريد مستمدا من الله تعالى أحسن التوفيق والتأ...
وتعبير المؤلف رحمه الله تعالى ههنا بالدفن والارض والنبات والنتاج من ملح الاستعارات (ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة) مداواة أمراض القلب واجبة على المريد وأمراضه انما تكون من علة أحكام الطبع عليه من محبته للاضداد ووقوفه مع المعتاد وانقياده الى هوى النفس وأنسه بعالم الحس ومداواة هذا المرض تأتي من وجوه كثيرة أبلغها في ذلك وأنفعها العزلة عن الناس المصحوبة بالفكرة فالعزلة يتقيد الظاهر عن مخالطة من لا تصلح مخالطته ومن لا يأمن دخول الآفات عليه بصحبته فيتخلص بذلك المعتزل من المعاصي التي تعرض له بالمخالطة مثل الغيبة والمداهنة والرياء والتصنع ويحصل له بذلك السلامة من مسارقة الطباع الرديئة والاخلاق الدنيئة و... أيضا صيانة دينه ونفسه عن التعرض للخصومات وأنواع الشرور والفتن فان للنفس تولعا وتسارعا الى الخوض في مثل هذا وواجب على المعتزل أن يكف لسانه عن السؤال عن أخبار الناس وما هم مشغولون به وما هم منهمكون فيه ومكبون عليه وأن يصون سمعه عن الاصغاء الى أراجيف البلدان و... عليه من الاحوال التي ذكرناها وليحرص على أن لا يغشاه في خلوته وعزلته من شأنه ... والبحث عنه وليجتنب صحبة من لا يتورع في منطقه ولا يضبط لسانه عن الاسترسال في دقائق ... والوقيعة والتعريض بالطعن على الناس والقدح فيهم وان ذلك مما يكدر صفاء القلب ويؤديه الى

ـلة الخلق أجمعين لانه حينئذ لا يرى غير الله تعالى واعلم أن الفكرة هي المقصود ... ارتكاب

ـه عليها ثم بين الأمور التي تصيب القلب اذا لم يحصل له تطهير بعزلة ولا فكرة بقوله

او ارتكاب مساخط الرب فليهجره المعتزل وليفر منه فراره من الاسد ولا يجتمع معه في مكان البتة وليتنكر الى كل من يتعرف له ممن هذا شأنه من المنسوبين الى الدين فضلا عن غيرهم كما قال بعضهم أنكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف وفي الخبر مثل الجليس السوء كمثل الكير ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه وفي الاخبار السالفة أن الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل أخ أو صاحب لا يوازرك على مبرتي فهو لك عدو وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام فقال له يا داود مالي أراك منتبذا وحدانيا فقال الهي قليت الخلق من أجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك أخدانا وكل خدن لا يوافقك على مبرتي فلا تصحبه فانه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني وما أحسن قول أبي اسحق ابراهيم بن مسعود الالبيري في هذا المعنى

نخف أبناء جنسك واخش منهم * كما تخشى الضراغم والسبنتى
وخالطهم وزايلهم حذارا * وكن كالسامري اذا لمستا

وبالعزلة أيضا يجتمع همه ويقوى في ذات الله عزمه بخلاف الخلطة فانها تفرق الهم وتضعف العزم فقد قيل ان العبد ليعقد في خلوته على خصال من الخير يعملها فاذا خرج الى الناس حلوا عليه ذلك عقدة عقدة حتى يرجع الى بيته وقد انحلت العقد كلها وروي عن عيسى عليه السلام لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها وفي الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أخوف ما أخاف على أمتي ضعف اليقين وضعف اليقين انما يكون من رؤية أهل الغفلة ومخالطة أرباب البطالة والقسوة قال أبو طالب المكي رضي الله عنه وأضر ما يبتلى به العبد وأدخله وأعمله في هلاكه وأشده لحجبه وابعاده ضعف يقينه لما وعد من الغيب وتوعد عليه بالشهادة وقوة اليقين أصل كل عمل صالح وقال بعض هذه الطائفة قلت لبعض الابدال المنقطعين الى الله كيف الطريق الى التحقيق والوصول الى الحق قال لا تنظر الى المخلوقات فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي منهم قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي منهم قال فلا تعاملهم فان معاملتهم خسران ووحشة وحسرة قلت أنا بين أظهرهم ولا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذه العلة قال يا هذا تنظر الى اللاعبين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتسكن الى الهالكين وتريد أن تجد حلاوة الطاعة وقلبك مع غير الله عز وجل هيهات هذا لا يكون أبدا وبالعزلة أيضا ينكف بصره عن النظر الى زينة الدنيا وزهرتها وينصرف خاطره عن الاستحسان الى ما ذمه الله تعالى من زخرفها فتمتنع بذلك النفس عن التطلع اليها والاستشراف لها ومنافسة أهلها فيها قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم الآية ولا ينبغي لاحد أن يستحقر هذا فانه يؤدي الى أمراض عظيمة في القلب ومن اعتزل الناس سلم باذن الله تعالى منها قال الامام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه فأرباب المجاهدات اذا أرادوا صون قلوبهم عن الخواطر الرديئة لم ينظروا الى المستحسنات قال وهذا أصل كبير لهم في المجاهدات في أحوال الرياضات اهـ وقال محمد بن سيرين رضي الله عنه اياك وفضول النظر فانه يؤدي الى فضول الشهوة وقال بعض الادباء من كثرت لحظاته دامت حسراته وقالوا ان العين سبب الحين ومن أرسل طرفه اقتنص حتفه وان النظر الى الاشياء بالبصر يوجب تفرقة القلب وقد أنشدوا في هذا المعنى

وانك ان أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وبذلك ينقطع طمعه عن الناس ويحصل له منهم الاياس وذلك من أعظم فوائد العزلة عند العقلاء الاكياس ولا تتم له منفعة العزلة الا باشتغال القلب بالفكرة وهي المقصودة ههنا وكانت العزلة مقدمة لها ومعينة عليها وذلك بعد تقديم ما يحتاج اليه من علوم الشرع الظاهرة والقيام بمراعاة آدابه الباطنة وقد ذكر منها الشيخ أبو حامد الغزالي جملة شافية في كتاب العزلة من الاحياء فلينظر هنالك وقد جاء

الاكوان) أى المكونات من الآدميين وغيرهم (منطبعة فى مرآته) باعتقاده أنها تضر وتنفع وتطلعه لها وتعلقه بها (أم كيف يرحل) أى يسير (الى الله وهو مكبل) أى مقيد (بشهواته) النفسية والمقيد لا يمكنه يرحل)  ذلك القلب (حضرة الله) بأن يشاهده (وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته) أى من غفلاته

فى الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وكذا هو والله أعلم وكان عيسى بن مريم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام يقول طوبى لمن كان قوله ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة ان أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وقال كعب من أراد شرف الآخرة فليكثر التفكر وقيل لأم الدرداء ما كان أفضل عمل أبى الدرداء قالت التفكر وذلك لأنه يصل به الى معرفة حقائق الأشياء وتمييز الحق من الباطل والنافع من الضار ويطلع به أيضا على خفايا آفات النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا ويعرف به وجوه الحيل فى الفرار عنها والطهارة منها قال الحسن البصرى رضى الله عنه الفكرة مرآة تريك حسنك من قبيحك ويطلع بها أيضا على عظمة الله تعالى وجلاله اذا تفكر فى آياته ومصنوعاته ويطلع بها أيضا على آلائه الجلية والخفية ويستفيد بذلك أحوالا سنية يزول بها مرض قلبه ويستقيم بسببها على طاعة ربه قلت والعزلة التى ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى تتضمن وجود الخلوة وهى أحد الأركان الأربعة التى هى أساس المريدين ويلزم عنها من الثلاثة الباقية الصمت اذ لا يتأتى من أكثر الناس الا بالخلوة والعزلة فان أضاف اليها المريد الركنين الباقيين وهما الجوع والسهر فقد حصل على كلية الدواء والتحق بزمرة الأولياء والبدلاء قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه اجتمع الخير كله فى هذه الأربع خصال وبها صار الأبدال أبدالا اخماص البطون والصمت والخلوة والسهر وقال الشاعر وجمعها فى نظمه

يا من يروم منازل الأبدال * من غير قصد منه للأعمال
لا تطمعن فيها فلست من أهلها * ان لم تزاحمهم على الأحوال
بيت الولاية قسمت أركانه * ساداتنا فيه من الأبدال
ما بين صمت واعتزال دائم * والجوع والسهر النزيه العالى

(كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة فى مرآته أم كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته) الجمع بين الضدين محال كاجتماع الحركة والسكون والنور والظلمة وهذه الأشياء التى ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى أضداد لا تجتمع فان اشراق القلب بنور الايمان واليقين مضاد للظلمة التى استولت عليه من ركونه الى الأغيار والأكوان واعتماده عليها والمسير الى الله تعالى بقطع عقبات النفس مضاد للاعتقال فى حبس الهوى والشهوات ودخول حضرة الله المقتضية للطهارة الداخل ونزاهته مضاد لما هو عليه من جنابة غفلاته التى مقتضاها الاقصاء والابعاد وفهم دقائق الأسرار المستفاد من التقوى مضاد للاصرار على المعاصى والهفوات والى هذه الاشارة بقوله عز من قائل واتقوا الله ويعلمكم الله وبما روى فى بعض الأخبار من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم قال يحيى بن معين رحمه الله تعالى التقى أحمد بن حنبل وأحمد بن أبى الحوارى فقال ابن حنبل لابن أبى الحوارى يا أحمد حدثنا بحكاية سمعتها من أستاذك أبى سليمان فقال يا أحمد قل سبحان الله بلا عجب فقال ابن حنبل سبحان الله وطولها بلا عجب فقال ابن أبى الحوارى سمعت أبا سليمان يقول اذا اعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت فى الملكوت وعادت الى ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير أن يؤدى اليها عالم علما قال فقام أحمد بن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا وقال ما سمعت فى الاسلام بحكاية أعجب الى من هذه ثم ذكر الحديث الذى ذكرناه من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم

الله ويعلمكم الله وبما روى فى بعض الأخبار من عمل ثم

وكل واحد من هذه الأربعة سبب فيما بعده فانطباع صور الأكوان فى مرآة القلب سبب فى تكبله بالشهوات له وهى السبب فى كل هفوة والهفوة سبب فى عمى القلب ثم شرع رحمه الله يتكلم على شئ من المعارف لينشط تكلم على وحدة الوجود التى أفردت بالتأليف فقال

(المكون) أى المكونات أى الموجودات بأسرها (كله ظلمة) أى عدم محض لا وجود له فى نفسه أى أوجده (ظهور الحق) أى الله (فيه) كظهور الشمس فى الكرة ذات الزجاج فليس هناك الا وجوده وظهوره فى الاشياء وجدت على حسب ما تقتضيه طبائعها وليس لها وجود فى ذاتها واذا كان كذلك (فمن رأى) (ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه) أى فاته (وجود الانوار)  الالوهية

ثم قال لاحمد بن أبى الحوارى صدقت يا أحمد وسدد شيئت ولاجل كون هذه الاشياء أضدادا عجب المؤلف رحمه الله تعالى ممن يعتقد صحة اجتماعها وممن طمع فى نيل مراتب الرجال مع كونه على أقبح الخلال ((الكون كله ظلمة وانما أناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله او بعده فقد أعوزه وجود الانوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار)) العدم ظلمة والوجود نور فالكون بالنظر الى ذاته عدم مظلم و باعتبار تجلى نور الحق عليه وظهوره فيه وجود مستنير ثم اختلف أحوال الناس ههنا فمنهم من لم يشاهد الا الاكوان وحجب بذلك عن رؤية المكون فهذا تائه فى الظلمات محجوب بسحب الآثار الكائنات ومنهم من لم يحجب بالاكوان عن المكون ثم هم فى مشاهدتهم اياه فرق فمنهم من شاهد المكون قبل الاكوان وهؤلاء هم الذين يستدلون بالمؤثر على الآثار ومنهم من شاهده بعد الاكوان وهؤلاء هم الذين يستدلون بالآثار على المؤثر ومنهم من شاهده مع الاكوان والمعية ههنا اما معية اتصال وهو شهوده فى الاكوان واما معية انفصال وهو شهوده عند الاكوان وهذه الظروف المذكورة ليست بزمانية ولا مكانية لان الزمان والمكان من جملة الاكوان والاتصال والانفصال المذكوران ليسا على ما يفهم من معانيهما فانهما أيضا من جملة الاكوان ومعرفة تفصيل هذه الامور والتفرقة بين هذه الحقائق على ما هى عليه موكول الى أربابه فلنقتصر على ما ذكرناه فههنا زلت أقدام كثير من الناس فتكلموا بكلمات موهمة وعبروا بعبارات منكرة فى الشرع فكفروا بذلك وبدعوا فاعتقد كمال التنزيه وبطلان التشبيه وتمسك بقوله عز وجل ليس كمثله شئ وهو السميع البصير سبحانه لا اله غيره ((مما يدلك على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه)) اتفقت مقالات العارفين والمحققين واشاراتهم ومواجيدهم على ما ذكرناه قبيل هذا من أن ما سوى الله تعالى عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله سبحانه وتعالى اذ لو وصف به لكان ذلك شركة واثنينية وهو مناقض لاخلاص التوحيد قال الله تعالى كل شئ هالك الا وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر

ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

قال بعض العارفين أبى المحققون ان يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية واحاطة الديمومية وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه انا لننظر الى الله ببصر الايمان والايقان فأغنانا ذلك عن الدليل والبرهان ونستدل به على الخلق هل فى الوجود شئ سوى الواحد الحق فلا نراهم وان كان ولا بد فنراهم كالهباء فى الهواء ان فتشتهم لم تجدهم شيأ وقال أيضا رضى الله عنه قوى على الشهود مرة فسألته أن يستر ذلك عنى فقيل لى لو سألته بما سأله موسى كليمه وعيسى روحه ومحمد صفيه صلوات الله عليهم أجمعين لم يفعل ولكن سله أن يقويك فسألته فقوانى قال ابن عطاء فى التنوير فما سوى الله تعالى عند أهل المعرفة لا يوصف بوجود ولا فقد اذ لا يوجد معه غيره لثبوت أحديته ولا فقد لغيره لانه لا يفقد الا ما وجد ولو انهتك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الاعيان ولأشرق نور الايقان فغطى وجود الاكوان وهذا الكلام هو بسط ما ذكره فى هذا الكتاب وقال بعضهم لو كلفت أن أرى غيره



ليس بموجود معه) اتفقت مقالات العارفين واشاراتهم ومواجيدهم ان ما سوى الله عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله تعالى قال بعض العارفين أبى المحققون أن يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية واحاطة الديمومية اه ومع كون ما ذكر عدما فهو حجاب عن الله تعالى فان الناس لا يشهدون الاهى ولا يشاهدون مكونهم مع أنها لا وجود لها والوجود انما هو له سبحانه فهذا مما يقضى منه العجب ثم ذكر أن

شيء وهو الذي أظهر كل شيء) بما أشرق عليه من نور الوجود وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم فبظهوره في الأشياء
الأشياء متوقفا عليه فيستحيل أن تحجبه حتى يكون خفيا عن ظاهر وأن الإظهار إنما يفيد ظهور

لم أستطع وأنه لا غير معه حتى أشهده معه وقال الشاعر

مذ عرفت الإله لم أر غيرا * وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقا * وأنا اليوم واصل مجموع

وقال آخر

الله قل وذر الوجود وما حوى * ان كنت مرتادا سبيل كمال
فالكل دون الله ان حققته * عدم على التفصيل والإجمال
واعلم بأنك والعوالم كلها * لولاه في محو وفي اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته * فوجوده لولاه عين محال
والعارفون فنوا بأن لم يشهدوا * شيئا سوى المتكبر المتعالي
ورأوا سواه على الحقيقة هالكا * في الحال والماضي والاستقبال

وقد صنفوا في بيان هذا الأمر تصانيف وتفننوا في الكلام في هذا المعنى نظما ونثرا وكل عبر على حسب شربه وذوقه جزاهم الله خيرا فإذا تقرر هذا، علمنا أن أكثر الناس قد حجبوا عن الله تعالى بشهواتهم الدنيوية ودرجاتهم الأخروية ومقاماتهم العلوية فكل ذلك من الأغيار العدمية والوجودات الوهمية علما بذلك وجودهم وهم من أسمائه تعالى القهار ولو ارتفع الحجاب عنهم لفنوا عن أنفسهم وإراداتهم وقرارهم وكانوا عبادا لله حقا وقد سئل أبو سعيد ابن الأعرابي رضي الله عنه عن الفناء فقال الفناء أن تبدو العظمة والجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة والأحوال والدرجات والمقامات والأذكار وتفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الأشياء وعن فنائه عن الفناء لأنه يغرق في التعظيم غرقا اهـ قالوا والفناء على ثلاثة أوجه فناء في الأفعال ومنه قولهم لا فاعل إلا الله وفناء في الصفات أي لا حي ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة إلا الله وفناء في الذات أي لا موجود على الإطلاق إلا الله تعالى وأنشدوا في ذلك

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى * فكان فناؤه عين البقاء

وقال سيدي محيي الدين من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لهم فقد جاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل وأنشدوا في هذا المعنى

من أبصر الخلق كالسراب * فقد ترقى عن الحجاب
الى وجود يراه رتقا * فلا انعدادولا اقتراب
ولم يشاهد به سواه * فهالذي يهدي الى الصواب
فلا خطاب به اليه * ولا مشير الى الخطاب

(كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء) بما أشرق عليه من نور الوجود وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء) حتى استدل عليه المستدلون بالأشياء كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء) إذ هو المتجلي فيها بمحاسن صفاته وأسمائه (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء) في طور ذلك الشيء ولذلك كان ساجدا له ومسبحا بحمده ولكن لا تفقه ذلك (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء) استحق هذا الاسم له أزلا وأبدا (كيف يتصور

احد اله ومسبحا بحمده ولكن لا تفقه ذلك فكل شيء عارف به على قدر تجليه له وان
الله حق قدره لنقص معرفته وقصورها إلا الأنبياء أصلها (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود
م له أزلا وأبدا فظهوره تعالى ذاتي له غير مكتسب ولا مستفاد ولا معلول وظهور الأكوان ناشئ من تجليه
فكيف تكون حاجبة له (كيف يتصور

أن يحجبه شئ وهو أظهر من كل شئ) لان الوجود أظهر من العدم على كل حال ولان الظهور الذاتى أقوى من أقوى من المقيد والدائم أقوى من المنصرم وانما لم يدرك للعقول مع شدة ظهوره لان شدة الظهور لا يليقها بالليل دون النهار لا لخفاء النهار واستتارته بل لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا النهار مع ضعف بصره سببا لامتناع ابصاره فلا يرى شيأ الا اذا امتزج الظلام بالضوء وضعف ظهوره فكذا الحضرة الالهية فى غاية الاشراق والاستنارة فصارت شدة ظهوره سببا لخفائه (كيف يتصور أن يحجبه شئ) اذ كل شئ سواه عدم لا وجود له على التحقيق فليس ثم شئ يحجبه اذ الوجود الحقيقى كله له ولا شئ منه يحجبه شئ وهو أقرب اليك من كل شئ) لثبوت احاطته بك وقيوميته عليك قال تعالى ونحن أقرب اليه من بذاته عند أهل الشهود وأما أهل الحجاب فيقولون هو قريب بعلمه وقدرته وارادته



أن يحجبه شئ وهو أظهر من كل شئ)) لان الوجود أظهر من العدم على كل حال ((كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الواحد الذى ليس معه شئ)) اذ كل ما سواه عدم لا وجود له على التحقيق ((كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو أقرب اليك من كل شئ)) لثبوت احاطته بك وجوده وقيوميته عليك ((كيف يتصور أن يحجبه شئ ولولاه ما كان وجود كل شئ)) حتى استدل به الشاهدون على الاشياء كما قال الله تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ((يا عجبا كيف يظهر الوجود فى العدم)) لان العدم ظلمة والوجود نور وهما ضدان لا يجتمعان ((أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم)) لان الباطل لا يثبت مع ظهور الحق كما قال تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقال عز من قائل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق (قلت) وهذا الفصل من قوله الكون كله ظلمة الى هنا أبدع فيه المؤلف غاية الابداع وأتى فيه بما تقر به الاعين وتلذ به الاسماع فانه رضى الله عنه ذكر جميع متعلقات الظهور وأبطل بحجابه كل ظلام ونور وأزال فيه الحق برؤية عيان وبرهان ورفعك من مقام الايمان الى أعلى مراتب الاحسان كل ذلك فى أوجز لفظ وأفصح عبارة وأتم تصريح وألطف اشارة فلو لم يكن فى هذا الكتاب الا هذا الفصل لكان كافيا شافيا فجزاه الله عنا خيرا ثم قال رضى الله عنه ((ما ترك من الجهل شيأ من أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه)) اذا أقام الله تعالى العبد فى حال من الاحوال التى لا يذمها الشرع فليلتزم حسن الادب فى اختيار بقائه عليها ورضاه بها وليراقب الله تعالى فى مراعاة آدابها وليوافق مراد الله تعالى فى ذلك حتى يكون هو الذى ينقله عنها قال أبو عثمان رضى الله تعالى عنه منذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حال فكرهته ولا نقلنى الى غيره فسخطته وقد تقدمت حكاية المؤلف رحمه الله تعالى مع شيخه أبى العباس المرسى حين عزم على التجرد وترك ما كان عليه من الاشتغال بالعلم الظاهر وما أجابه به الشيخ رضى الله تعالى عنه وهذا من نتائج العلم بالله تعالى ومعرفة ربوبيته فان سخط تلك الحال وتشوف الى الانتقال عنها بنفسه وأراد أن يحدث غير ما أظهره الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل بربه وأساء الادب فى حضرة مولاه عز وجل وهذا من معارضة حكم الوقت الذى تشير اليه الصوفية وهو عندهم من أعظم ذنوب الخاصة فالواجب على العبد الاستسلام لحكم الله تعالى فى ذلك الوقت فهو أدب العبودية ومقتضى العلم بالله تعالى وهذا هو أحد معانى لفظ الوقت فى

جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فالظاهر والثابت هو الحق تعالى لا الكون وما به الا وجه والموجود دون كل المظاهر والتعجب المذكور ناشئ من غلبة الشهود فانه اذا قوى على العبد اضمحلت الاكوان (ما ترك من الجهل شيأ من أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه) فاذا كان المريد فى حال بدنى أو قلبى لا الادب فى اختيار بقائه عليه ورضاه به حتى ينقله الله عنه فاذا كان متجردا أو تعلق قلبه بالتكسب أو كان فى لغيرها كان قليل الادب مع مولاه جاهلا بما يناسب حضرته وكذا ان كان فى حال قبض وأراد الانتقال عنه الى أربعين سنة ما أقامنى الله فى حال فكرهته ولا نقلنى الى غيره فسخطته وهذا من نتائج العلم بالله ومعرفة ربو وتشوف الى الانتقال عنها بنفسه وأراد أن يحدث غير ما أظهره الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل بربه وأساء

ـك رؤية الماتقتضيه ناعن الله لان ذلك كفر طلق المنعم وشكر النعم بالاقبال على المنعم والاعراض عنه بالوقوف
لك منه اتهام له) يعني أن المريد ينبغي له أن يشتغل في حال سلوكه مما يقربه من مولاه من الاعمال الصالحة
من الاشياء لان ذلك مذموم قاطع عن الله وان طلبك منه أن يرزقك القوت الذي يعينك على سيرك وأن يوسع
لا يرزقك اذ لو وثقت به في ايصال منافعه اليك من غير سؤال وتيقنت أنه عالم بحاجتك قادر على ايصالها لك لما
) بأن تطلب قربك منه وزوال الحجاب عنك حتى تشاهده بعين قلبك (غيبة منك عنه) اذ الحاضر لا يطلب
اض الدنيوية من خوارقها وما شابهها من المكاشفات والكرامات والاحوال والمقامات (لقلة حيائك منه) اذ
ت الى غيره (٣٣) وطلبت شيأ سواه (وطلبك من غيره) بأن توجهت الى بعض الناس لتطلب منه شيأ من

ارادتك واعتمادي ربوبية تولت عبوديته وكن عبدا مملوكا لا يقدر على شيء فمتى رأيت منك قدرة وكلتك اليها وأنا بكل شيء عليم وان صح لك هذا الباب ورزقته أشرفت من هنالك على أسرار لا تكاد تسمع من أحد من العالمين ((طلبك منه اتهام له وطلبك له غيبة منك عنه وطلبك لغيره لقلة حيائك منه وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه)) الطلب الذي يتصور من العبد على أربعة أوجه وكلها مدخولة معلولة طلبه من الله وطلبه له وطلبه لغيره وطلبه من غيره فطلبه من الله تهمة له اذ لو وثق به في ايصال منافعه اليه من غير سؤال لما طلب منه شيأ وطلبه له غيبة عنه اذ الحاضر لا يطلب وطلبه لغيره قلة حياء منه اذ لو استحيا منه لانقبض عما يكره له من طلبه لغيره ومن حق الحياء منه أن لا يذكر معه غيره ولا يؤثر عليه سواه وطلبه من غيره لوجود بعده عنه اذ لو كان قريبا منه لكان غيره بعيدا عنه فلا يطلب منه والطلب كله عند الموحدين العارفين معلول سواء كان الطلب متعلقا بالحق أو بالخلق الا ما كان من الطلب على وجه التأدب والتعبد واتباع الامر واظهار الفاقة والفقر فحينئذ تزول العلة عنه ((ما من نفس تبديه الا وله قدر فيك يمضيه)) الانفاس أزمنة دقيقة تتعاقب على العبد ما دام حيا فكل نفس يبدو منه ظرف لقدر من أقدار الحق تعالى ينفذه كائنا ما كان واذا كانت جزئيات العبد ودقائقه قد استغرقتها أحكام الله تعالى واقداره وكان جميع ذلك يقتضي منه حقوقا لازمة من حقوق الله تعالى يقوم بها وهو مطالب بذلك ومسؤول عنه وعن أنفاسه التي هي أمانة للحق عنده لم يبق له اذ ذاك مجال لتدبير أمور دنياه ولا محل لمتابعة شهوته وهواه ((لا تترقب فروغ الاغيار فان ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه)) اذا أقام الله تعالى عبدا في سبب من الاسباب فواجب عليه أن يوفيه حقه ويلتزم فيه الادب ولا يترقب وقتا ثانيا يكون فيه فارغا منه فان ترقبه للوقت الثاني يمنعه من القيام بحق الوقت الاول فيما أقيم فيه ويفوته ما طلب منه وهو خلاف الامر المطلوب منه فليجتنب ذلك المريد قال أبو حفص رضي الله تعالى عنه الفقير الصادق هو الذي يكون في كل وقت بحكمه فاذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته يستوحش منه وينفيه وقال سهل بن عبد الله رضي الله تعالى عنه اذا أجنك الليل ولا تؤمل النهار حتى تسلم ليلتك تلك وتؤدي حق الله فيها وتنصح فيها النفس فاذا أصبحت فكذلك وسئل سهل رضي الله تعالى عنه متى يستريح الفقير فقال اذا لم ير وقتا غير الوقت الذي هو فيه قال البغوي في تفسيره عند قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير الشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى

فيه (الا وله) تعالى (فيك قدر) أي أمر مقدر عليك من طاعة أو معصية والفقر
يبرزه بقدرته في ذلك النفس فكل نفس يبدو منك ظرف لقدر من أقدار الحق ينفذه فيك كائنا ما كان فينبغي
كل نفس من أنفاسك تتكون في كل نفس بالخاطر الى الحق سبحانه وتعالى وهو معنى قولهم الطرق الى
(لا تترقب) أيها المريد (فروغ الاغيار) الواردة على قلبك وهي ظلمات تحدث فيه تحول بينه وبين شهود المولى
علك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه) من الاعمال التي تتوصل بها اليه فالمطلوب منك المواظبة على
ذلك ولا تشتغل بما يورده على قلبك من ظلمة أو نور ولو قلت فان ذلك يقطعك عما هو مقيمك فيه لكان أولى
تسويلك وتقول لو كنت من أهل الارادة لما وردت هذه الاغيار عليك مع كثرة عبادتك فيشتغل قلبك بهذه
رجوع عما أنت قاصده وترك الاعمال الصالحة وسبب هذه الاغيار غالبا ما يرد عليك من أكدار الدنيا

والفقر وقيل بما تحبون وما تكرهون لننظر شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون (لا تستغرب وقوع الاكدار مادمت في هذه الدار فانها ما أبرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها) جعل الله تعالى الدنيا دار فتنة وابتلاء ليعمل كل أحد فيها على مقتضى ما سبق له ويوفى جزاءه في الدار الآخرة قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وعمل كل واحد فيها انما هو بمخالفة شهوات نفسه أو موافقتها وذلك لا محالة يستدعي وجود محبوب أو مكروه بفعل أو بترك فمن ضروريات الدنيا وجدان المكاره والمشاق فيها فتقع الاكدار بسبب ذلك أيضا فحاصل الدنيا أمور وهمية انقادت طباع الناس اليها وهي لا تفي بجميع مطالبهم لضيقها وقلتها وسرعة تقضيها وتنقلها فتجاذبوها بينهم فتكدر عيشهم ولم يحصلوا على كلية أغراضهم كما قيل في المعنى

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها * على انهم فيها عراة وجوع

أراها وان كانت تحب كأنها * سحابة صيف عن قريب تقشع

فلا تستغرب وقوع أمثال هذا فانه ما ظهر منها الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها من وجدان المكاره التي هي ذاتية لها قال بعض الحكماء لولا أن الدنيا مبنية على المكاره لجعلت منفعة الاهليلج في اللوزينج وسيأتي التنبيه على الحكمة في هذا عند قوله انما جعلها محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار تزهيدا لك فيها وفي بعض الحكايات المنقولة عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أنه قال من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق فقيل له وما ذاك قال الراحة في الدنيا وفي معناه أنشدوا

تطلب الراحة في دار العنا * خاب من يطلب شيأ لا يكون

وقال بعض البلغاء ملتمس السلامة في دار المتالف والمعاطب كالمتمرغ على مزاحف الحيات ومدابب العقارب وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه الدنيا كلها غموم فما كان منها في سرور فهو ربح وقال الامام الجنيد رضي الله تعالى عنه لست أستبشع ما يرد على من العالم لاني قد أصلت أصلا وهو أن الدنيا دار هم وغم وبلاء وفتنة وأن العالم كله شر ومن حكمه أن يتلقاني بكل ما أكره فان تلقاني بكل ما أحب فهو فضل والا فالاصل هو الاول وقال أبو تراب رضي الله تعالى عنه يا أيها الناس أنتم تحبون ثلاثة أشياء وليس هي لكم تحبون النفس وهي لهواها وتحبون الروح والروح لله وتحبون المال والمال للورثة وتطلبون اثنين ولا تجدونهما الراحة والفرح وهما في الجنة فالواجب على العبد أن لا يوطن على الراحة في الدنيا نفسا ولا يركن فيها الى ما يقتضي فرحا وأنسا وأن يعمل على قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه الدنيا سجن المؤمن فتوطين العبد على المحن في دنياه يهون عليه ما يلقاه ويجد السلوان عند فقدان ما يهواه كما قيل في المعنى

يمثل ذو اللب في لبه * شدائده قبل ان تنزلا

فان نزلت بغتة لم ترعه * لما كان في نفسه مثلا

رأى الامر يفضي الى آخر * فصير آخره أولا

وذو الجهل يأمن أيامه * وينسى مصارع من قد خلا

فان دهمته صروف الزمان * ببعض مصائبه أعولا

ولو قدم الحزم في نفسه * لعلمه الصبر عند البلا

فليتلق المريد ما يرد عليه من ذلك بالصبر والرضا والاستسلام عند جريان القضا فعن قريب ان شاء الله ينجلي الامر ويستوجب من الله تعالى جزيل الاجر والله تعالى ولي التوفيق قال أحمد بن أبي الحواري رضي الله تعالى عنه قال لي أبو سليمان الداراني جوع قليل وعري قليل وذل قليل وصبر قليل وقد انقضت عنك أيام الدنيا واعلم أن ما ذكرناه من الصبر هو جماع كل فضيلة وملاك كل فائدة جزيلة ومكرمة نبيلة قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال الله تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون

ـ) من مطالب الدنيا والآخرة (أنت طالبه بربك) أي ملاحظا في حال طلبه ربك مستحضر القلب معه معتمدا
(ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك) بأن كنت غافلا عنه معتمدا على حولك وقوتك فمن أنزل حوائجه بالله
له (٢٤) عليه كفاه كل مؤنة وقرب عليه كل بعيد ويسر له كل عسير ومن سكن الى علمه وعقله واعتمد على

بأمر بالصبر واوقال عز من قائل انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وفي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما ان استطعت أن تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل وان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم أن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل ان صبرت مضى أمر الله وكنت مأجورا وان جزعت مضى أمر الله وكنت مأزورا وقال علي رضي الله عنه الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو وقال ابن عباس رضي الله عنهما أفضل العدة الصبر عند الشدة وفي بعض الاخبار انتظار الفرج بالصبر عبادة وقد قال الشاعر

ان الامور اذا انسدت مسالكها ۞ فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبه ۞ اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ۞ ومدمن القرع للابواب أن يلجا

فمن جعل الصبر معتمده في نوازله واعتده من أعظم عدده ووسائله فهو مصيب في رأيه منجح في سعيه ومن جزع من المصائب واضطرب عند وقوع النوائب كان عاملا فيما يريده ضرا ويكسبه وزرا ويفوته أجرا ويهيئ له خسرا كما قيل

واذا اتتك مصيبة فاصبر لها ۞ عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

وكما قيل أيضا وعوضت أجرا من فقيد فلا تكن ۞ فقيدك لا يأتي وأجرك يذهب

(ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك) من أنزل حوائجه بالله والتجأ اليه وتوكل في أمره كله عليه كفاه كل مؤنة وقرب عليه كل بعيد ويسر عليه كل عسير ومن سكن الى علمه وعقله واعتمد على قوته وحوله وكله الله الى نفسه وخذله وحرمه توفيقه وأهمله ولم تصح مطالبه ولم تتيسر مآربه وهذا معلوم على القطع من نصوص الشريعة وأنواع التجارب قلت وكلام المؤلف رحمه الله تعالى في هذه المسئلة عام يتناول كل مطلب من المطالب الدينية والدنيوية التي مآل أمرها الى الدين وأشرف تلك المطالب وأكثرها قواطع ومعاطب أخذ المريد في سلوك سبيل التوحيد ففيه التعلق بالله تعالى أحق وأصوب وفي جميع جزئياته الرجوع الى الله تعالى أولى وأوجب ولاجرم كان من الرأي والامر الاكيد أن يخصصه من ذلك العام وأن يفرده عقب هذه المسئلة بمزيد من الكلام

(من علامات النجح في النهايات الرجوع الى الله تعالى في البدايات) للمريد بداية ونهاية فبدايته حال سلوكه ونهايته حال وصوله فمن صحح بدايته بالرجوع الى الله تعالى والتوكل عليه والاستعانة به كان كريما أفلح وأنجح في نهايته وكان وصوله الى الله تعالى وأمن عليه من الرجوع والانقطاع قال بعض المشايخ ما رجع من رجع الا من الطريق ولو وصلوا ما رجعوا ومن لم يصحح ذلك عاد كريما من تعلقه بالحق وفراره اليه من نفسه والخلق انقطع ورجع من حيث جاء قال بعض العلماء من ظن أنه يصل الى الله تعالى بغير الله قطع به ومن استعان على عبادة الله تعالى بنفسه وكل الى نفسه فعلى العبد السالك أن يجعل معتمد أمره الاستعانة بالله تعالى على ما هو بسبيله ولا يرى حول نفسه ولا قوتها في كثير من عمله ولا قليله فهذا هو أساس السلوك الذي يبنى عليه قواعده (من أشرقت بدايته أشرقت نهايته) هذه عبارة أخرى موافقة لمعنى ما تقدم فاشراق بداية المريد رجوعه الى الله تعالى في مهماته وثقته به في ملماته واشراق نهايته الوصول

وجه أتم وعكسه بعكسه فمن كان قليل الاجتهاد في بدايته لم يحصل له اشراق الى ... به كان على وجه أضعف من غيره ويحتمل أن المعنى من أشرقت بدايته بالرجوع الى الله تعالى والالتجاء اليه ول اليه ويكون هذه عبارة أخرى موافقة لمعنى ما قبلها وما قلناه أولا أولى وأظهر

(ما استودع في غيب السرائر) أي في القلوب الغائبة أي غير المشاهدة بالابصار من المعارف والانوار الالهية (
أي في الظواهر الشاهدة أي الحاضرة فما استودعه الله تعالى في القلوب والسرائر من المعارف والانوار لا بد أ
والجوارح وهذه علامة يعرف بها حال المريد السالك لان الظاهر مرآة الباطن 

اليه قربته والحصول في حضرته (ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر) هذا بيان علامة يعرف بها حال المريد السالك وما تعمر به باطنه من المزيد المتدارك لان الظاهر مرآة الباطن كما قيل الاسرة تدل على السريرة وما خامر القلوب فعلى الوجوه يلوح أثره فما استودعه الله القلوب والاسرار من المعارف والانوار لا بد ان تظهر آثار ذلك على الجوارح فيستدل بشاهد العبد على غائبه من ارادة محبته والوصلة به وما أشبه ذلك من الاغراض والمقاصد قال أبو حفص رضي الله تعالى عنه حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه وقيل لما ورد أبو حفص العراق جاء اليه الجنيد فرأى أصحاب أبي حفص وقوفا على رأسه يأتمرون بأمره لا يخطئ أحد منهم فقال يا أبا حفص أدبت أصحابك أدب الملوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن حسن الادب في الظاهر عنوان أدب الباطن قلت وآكد من ذلك أن يعرف المريد نفسه ويكون من أمرها على بصيرة ولا ينخدع بما يتوهمه من صلاح سريرته دون علانيته فمن ادعى بقلبه معرفة الله تعالى ومحبته ولم تظهر على ظاهره ثمرات ذلك وآثاره من اللهج بذكره والمسارعة الى اتباع أمره والاغتباط بوجوده والاستبشار عند يقين شهوده والفرار من القواطع الشاغلة عنه والاضراب عن الوسائط المبعدة منه فهو كذاب في دعواه متخذ الهه هواه فان كان موصوفا باضداد هذه الخصال منحرفا بظاهره عن جادة الاعتدال فهو في دعواه أكذب وحاله للنفاق والشرك أقرب قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه قد جعل الله تعالى وصف الكافرين أنهم اذا ذكر الله وحده في شئ انقبضت قلوبهم واذا ذكر غيره في شئ فرحوا وجعل من نعوتهم أنهم اذا ذكر الله تعالى بتوحيده وافراده بشئ غمطوا ذلك وكرهوه واذا أشرك غيره في ذلك صدقوا به فقال تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون وقال أيضا ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا والكفر التغطية والشرك الخلط أي انه يخلط بذكره ذكر سواه ثم قال فالحكم لله العلي الكبير يعني لا يشركه خلق في حكمه لانه العلي في عظمته الكبير في سلطانه لا شريك له في ملكه وعطائه ولا نظير له من عباده ففي دليل هذا الكلام وفهمه من الخطاب أن المؤمنين اذا ذكر الله بالتوحيد والافراد في شئ انشرحت صدورهم واتسعت قلوبهم واستبشروا بذكره وتوحيده واذا ذكرت الوسائط والاسباب التي دونه كرهوا ذلك واشمأزت قلوبهم وهذه علامة صحيحة فاعرفها من قلبك ومن قلب غيرك لتستدل بها على حقيقة التوحيد في القلب أو وجود خفي الشرك في السر ان كنت عارفا اه قلت وهذه المسئلة التي تضمنها كلام الشيخ أبي طالب المكي رضي الله عنه من أعظم المسائل على صدق الصادق وكذب الكاذب ومن أوضح الدلائل ولما كان قصدنا في هذا التنبيه استغنام ذكر الفوائد العجيبة والحرص على رسم المقاصد الغريبة لغربة الدين في هذا الزمان الرذل واستيلاء الغرة والجهل على المنسوبين الى العلم والفضل حسن منا ايراد هذه الكلمات على جهة ضرب المثل والاكتفاء بالنهل عن العلل ليعمل بمقتضى ذلك مريد سالك وليتهيج من مناصحة ربه في دينه وقلبه أوضح المسالك واحمل على هذا الاسلوب كل كلام لم تظهر لك مطابقته ولم يتم في نظرك مناسبته لتسلم بذلك من الاعتراض وتعلو همتك عما تولع به أصحاب القلوب المراض عافانا الله من ذلك بمنه وفضله (شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه المستدل به عرف الحق لاهله فاثبت الامر

(٤ - ابن عباد اول) لكن لشدة تملكهم في أحوالهم لا يظهر عليهم ولذا قيل نهاية السالك بداية المجذوب وورداً
والمرسلون فهذا هو حال الفريقين وشتان ما بينهما أي بعد ما بينهما وذلك ان (المستدل به) على غيره (عرف الحق
(لاهله) وهو الله تعالى أي لم يثبت الوجود الا له سبحانه وتعالى وأما الحوادث فهم عدم محض (فاثبت الامر) وهم ا

تعالى أى جعل وجودهم مستفادا من وجود الله تعالى الذى قابلهم وظهر بهم فوجدوا والا فهم عدم محض
استدلال عليه من عدم الوصول اليه) فالمستدل بغيره عليه على العكس مما ذكر لانه استدل بالمجهول على
والامر الحق على الظاهر الجلى وذلك لوجود الحجاب ووقوفه مع الاسباب (والا) (٢٦)

من وجود أصله والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه والا فمتى غاب حتى يستدل عليه ومتى
بعد حتى تكون الآثار هى التى توصل اليه) بنو آدم فى أول نشأتهم ومبدأ خلقتهم وخروجهم من
بطون أمهاتهم موصوفون بالجهل وعدم العلم قال الله تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون
شيأ ثم ان الله تعالى اختص بعضهم بخصوصية عنايته واختارهم من أهله لولايته ومنحهم الاحصول
العلم الذى تضمنه قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الذى يحقق لهم النسبة ويوجب لهم
الرقى والقربة المشار الى ذلك بقوله تعالى لعلكم تشكرون وجعلهم على قسمين مرادين ومريدين وان
شئت قلت مجذوبين وسالكين وكلا هما مراد ومحبوب على التحقيق قال الله تعالى الله يجتبى اليه من
يشاء ويهدى اليه من ينيب فالمريدون السالكون الى الله تعالى فى حال سلوكهم محجوبون عن ربهم
رؤية الاغيار والآثار والاكوان ظاهرة لهم وموجودة لديهم والحق تعالى غيب عنهم فلم يروه فهم
يستدلون بها عليه فى حال ترقيهم والمرادون المجذوبون واجههم الحق تعالى بوجهه الكريم الاكرم
وتعرف اليهم فعرفوه به فلما عرفوه على هذا الوجه اختفت الاغيار عنهم فلم يروها فهم يستدلون
عليها فى حال تدليهم فهذا هو حال الفريقين وشتان ما بينهما أى بعد ما بينهما وذلك أن المستدل
بغيره عرف الحق الذى هو الوجود الواجب لاهله وهو المختص بوصف العدم وأثبت الامر المشار به الى
الآثار العدمية من وجود أصله المشار به الى المؤثر المحقق وجوده والمستدل بغيره عليه على عكس
ما ذكرناه لانه استدل بالمجهول على المعلوم وبالمعدوم على الموجود وبالامر الخفى على الظاهر الجلى
وذلك لوجود الحجاب ووقوفه مع الاسباب وعدم احتظائه بالوصول والاقتراب والا فمتى
يستدل عليه بالاشياء الحاضرة ومتى بعد حتى تكون الآثار القريبة هى التى توصل اليه أو بغلبة
تكون الآثار الموجودة هى التى تدل عليه وأنشد

عجبت لمن يبغى عليك شهادة * وأنت الذى أشهدته كل مشهد

قال فى لطائف المنن واعلم ان الادلة انما نصبت لمن يطلب الحق لا لمن يشهده لان الشاهد له
بوضوح الشهود غنى أن يحتاج الى دليل فتكون المعرفة باعتبار توصيل الوسائل اليها كسبية
تعود الى نهايتها ضرورية واذا كان من الكائنات ما هو غنى بوضوحه عن اقامة دليل فالمكون أولى
بغناه عن الدليل منها ثم قال ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة اليه فليت شعرى
هل لها وجود معه حتى توصل اليه أو هل لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هى المظهرة له وان كانت
الكائنات موصلة اليه فليس لها ذلك من حيث ذاتها لكن هو الذى ولاها رتبة التوصيل
فما وصل اليه غير الهيته ولكن الحكيم هو واضع الاسباب وهى لمن وقف عندها ولم ينفذ
عين الحجاب (لينفق ذو سعة من سعته الواصلون اليه ومن قدر عليه رزقه السائرون اليه)
اشارة منه الى حال الفريقين فالواصلون الى الله تعالى الماخرجوا من سجن رؤية الاغيار الى فضاء
التوحيد وكمال الاستبصار اتسعت مسافة نظرهم فأنفقوا من سعتهم وتصرفوا فى عوالمهم كيف شاؤا
والسالكون اليه مقدور عليهم فى أرزاق العلوم والفهوم محبوسون فى مضيق الخيالات والرسوم
ينفقون مما آتاهم الله من الرزق المعلوم المقدر المضيق (اهتدى الراحلون اليه بأنوار

ن قدر عليه رزقه السائرون اليه) أى اشارة والواصلون
م مقدور عليهم فى أرزاق العلوم والفهوم محبوسون فى مضيق الخيالات والرسوم ينفقون مما آتاهم الله
ضيق على غيرهم ويتصرفون فى عوالمهم على قدر ما أعطاهم الله عز وجل (اهتدى الراحلون) أى السا
الانوار الحاصلة من العبادات والرياضات التى توجهوا بها الى حضرة الربوبية المجاهدة بحسب العادة

منها أنوار القلوب يهتدون بها الى الله تعالى حتى يصلوا اليه (والواصلون لهم أنوار المواجهة) أى الانوار التى
أى أفيضت عليهم حتى عرفوه سبحانه وتعالى (فالاولون للانوار) أى عبيد لها ومحتاجون  الى

والواصلون لهم أنوار المواجهة فالاولون للانوار وهؤلاء الانوار لهم لانهم لله لا لشئ دونه قل الله ثم ذرهم
فى خوضهم يلعبون)) أنوار التوجه هو ما صدر منهم الى الله تعالى من عبادات ومعاملات ومكابدات
ومشاهدات وأنوار المواجهة هو ما صدر من الله لهم من تعرف وتقرب وتودد وتحبب فالاولون عبيد
الانوار لوجود حاجتهم اليها فى الوصول الى مقصودهم والآخرون الانوار لهم لوجود غناهم عنها بربهم
فهم لله لا لشئ دونه وسيأتى هذا المعنى عند قوله أنت مع الاكوان مالم تشهد المكون فاذا شهدته كانت
الاكوان معك قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون افراد التوحيد بعدم ملاحظة الاغيار
هو حق اليقين ورؤية ما سوى الله خوض ولعب وهما من صفات الكاذبين والمنافقين قال الله عز وجل
اخبارا عنهم وكنا نخوض مع الخائضين وقال الله تعالى بل هم فى شك يلعبون وقال رضى الله تعالى عنه
((تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب)) حكم المريد أن
يتشوف الى معرفة ما غاب عنه من معايب نفسه ويتطلبها ويبحث عنها فان ذلك هو حق الحق تعالى منه
فينبغى أن يحرص عليه ويصرف عنها عنان اعتنائه اليه ليحصل له صفاء أعماله من الآفات ونقاء
أحواله من الكدورات وينتفى عنه الجهل والغرور وينقطع من باطنه مواد الشرور وقد ذكر الشيخ
أبو حامد الغزالى رضى الله تعالى عنه فى كتابه رياضة النفس فصلا فى الطريق الذى به يتعرف الانسان
عيوب نفسه فلينظر فيه المريد وقد جعل حاصله أربعة أوجه أحدها أن يجلس بين يدى شيخ بصير
بالعيوب والآفات فيحكمه فى نفسه ويتبع اشارته فيما يشير به عليه والثانى مصاحبة صديق صدوق
يجعله رقيبا على أحواله وأعماله لينبهه على ما يخفى عليه من مذام خلاله والثالث أن يستفيد معرفة
عيوب من أعدائه اذ لا بد من جريان ذلك على ألسنتهم عند ثلبهم وغيبتهم والرابع أن يستفيد ذلك
من مخالطة الناس اذ يطلع بذلك على مساويهم فاذا اطلع عليها منهم علم أنه لا ينفك هو عن شئ منها لان
الطباع البشرية فى ذلك متقاربة وقد يظهر له فى نفسه ما هو أعظم مما رآه فى غيره فيطالب نفسه حينئذ
بالتطهر منها والتنزه عنها فهذا تلخيص ما ذكره ثم قال وهذه كلها حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب
النفس مشفقا ناصحا فى الدين فارغا من تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله ناصحا لهم فمن وجد
الطبيب فليلازمه فهو الذى يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذى هو بصدده اه وأما تطلبه
للغيوب المحجوبة عنه من خفايا القدر ولطائف العبر فانه حظ نفسه لا حق عليه فيه للحق تعالى فليطب
عنها نفسا ولا يشتغل بها عقلا ولا حسا وما ظهر له منها لا يسكن اليه ولا يعول عليه فان ذلك من
المعايب القادحة فى عبوديته ولهذا قالوا كن طالبا للاستقامة ولا تكن طالبا للكرامة فان نفسك
تحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة ولان تكون بحق مولاك أولى بك من أن تكون
بحظ نفسك * ومن الحكايات فى هذا المعنى الذى ذكرناه ما روى فى الاسرائيليات عن وهب بن منبه
رضى الله تعالى عنه أن رجلا من بنى اسرائيل صام سبعين سنة يفطر فى كل ستة أيام فسأل الله تبارك الله
تعالى أن يريه كيف تغوى الشياطين الناس فلما طال ذلك عليه ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتى
وذنبى بينى وبين ربى لكان خيرا لى من هذا الامر الذى طلبته فارسل الله اليه ملكا فقال له ان الله تعالى
أرسلنى اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذى تكلمت به أحب الى مما مضى من عبادتك وقد فتح الله
بصرك فانظر فاذا جنود ابليس قد أحاطت بالارض واذا ليس أحد من الناس الا والشياطين حوله
كالذباب فقال أى رب من ينجو من هذا قال الورع اللين وسيأتى بيان أن الكرامات غير مطلوبة
التحصيل ولا مغتبط بوجودها الذى كل عالم نبيل عند قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه

الاستقامة ولا تكن طالب الكرامة فان نفسك تحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطلبك بالاستقامة ولان
بك من أن تكون بحظ نفسك * ثم قال

ب) أي ليس الحجاب وصفا لحضرته (وإنما المحجوب) أي المتصف بالحجاب (أنت) بصفاتك النفسانية (عن
الوصول إليه والدخول في حضرته فاحبث عن عيوب نفسك وعالجها تصل إليه وتشاهده ببصيرتك ثم استدل
قوله (اذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه) ردفع بذلك ما يتوهم من عدم استحالة الحجاب في حقه تعالى لأن الحجاب انما
وينبئ عن الرفعة ويشعر بالعظمة من أين جاءه النقص وحاصل الدفع أنه لو حجبه شيء كالحوشان العظماء
كان لوجوده) أي ذاته (حاصر) لاستلزام الستر انحصار المستور فيه (وكل حاصر لشيء فهو له قاهر) لأنه يجمعه
ـله ويجعله (٢٨) في أسر قبضته وتحت حكمه وذلك لا يصح في حقه تعالى لقوله في كتابه (وهو القاهر

((الحق ليس بمحجوب وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه اذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ولو كان له ساتر لكان
لوجوده حاصر وكل حاصر لشيء فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده)) الحجاب على الحق تعالى محال واستدل
المؤلف على ذلك بما ذكرهنا وهو بين لا اشكال فيه والحجاب على العبد واجب من حيث ذاته اذ هو عدم
كالقدم ولا نسبة بين العدم والموجودات أراد الله تعالى رفع هذا الحجاب عمن شاء كيف شاء متى شاء رأى
من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وهذا ما يجب اعتقاده ((اخرج من أوصاف بشريتك عن كل
وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا)) أوصاف البشرية المتعلقة
بأمر الدين نوعان أحدهما ما يتعلق بظاهر العبد وجوارحه وهي الأعمال والثاني ما يتعلق
وقلبه وهي العقود وأما ما يتعلق بظاهره وجوارحه فينقسم قسمين أحدهما ما وافق الأمر ويسمى طاعة
والثاني ما خالفه ويسمى معصية وأما ما يتعلق بباطنه وقلبه فينقسم أيضا الى قسمين أحدهما ما وافق
الحقيقة ويسمى ايمانا وعلما والثاني ما خالفها ويسمى نفاقا وجهلا والنظر فيما يتعلق بظاهر العبد
في الاصطلاح تفقها والنظر فيما يتعلق بباطنه يسمى في الاصطلاح تصوفا فهذان الامران هما
العبد وظاهره تبع لباطنه بالضرورة لأن القلب هو الملك والجوارح جنوده ورعيته ومن شأن
الرعية طاعة الملك فيما يأمر به وينهى عنه وقد نبه على هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب
وصلاح القلب انما يكون بطهارته عن الصفات المذمومة كلها دقيقها وجليلها وهذه هي
المناقضة للعبودية من أوصاف البشرية التي أشار اليها المؤلف رحمه الله تعالى وهي التي
تسمى النفاق والفسوق وهي كثيرة مثل الكبر والعجب والرياء والسمعة والحقد والحسد وحب الجاه
والمال ويتفرع عن هذه الأصول فروع خبيثة من العداوة والبغضاء والتذلل للأغنياء واحتقار
الفقراء وترك القناعة بالرزق وخوف سقوط المنزلة من قلوب الخلق والشح والبخل وطول الأمل
والأشر والبطر والغل والغش والمباهاة والتصنع والمداهنة والقسوة والفظاظة والغلظة والغفلة
والجفاء والطيش والعجلة والحدة والحمية وضيق الصدر وقلة الرحمة وقلة الحياء وترك القناعة وحب
الرياسة وطلب العلو والانتصار للنفس اذا نالها الذل ودهاب منك النفس اذا رد عليه قوله الى غير ذلك
من النعوت الذميمة والأخلاق اللئيمة وأصل فروعها وصميم ينابيعها اعماء ورؤية النفس والرضا
عنها وتعظيم قدرها وترفيع أمرها فبهذه الأمور كفر من كفر وفسق من فسق وعصى من عصى و...
من عقده وصفة العبودية لربه عز وجل من خلع حسبما يقوله المؤلف رحمه الله تعالى بأن هذا وشان

لما كانت أوصاف البشرية شاملة للأوصاف المحمودة كالطاعة الصوفي
ـل منها قوله (عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا) لأنك اذا خرجت عن تلك الأوصاف
الصفات كالتواضع لله والخشوع بين يديه والتعظيم لأمره والحفظ لحدوده والخوف منه والاخلاص في
ـدعو ياسم العبد فيقول لك يا عبدي فتجيبه بقولك لبيك يا رب وتكون صادقا في اجابتك لفقد الصفات منك
ى الربوبية (و) تكون أيضا (من حضرته قريبا) فتحفظ من الأوزار وتتيسر لك الأعمال وتتلذذ بها
ـم ان المعصوم لا يلم بذنب البتة والمحفوظ قد تحصل له زلات ولكن لا يكون منه اصرار بل يتوب من قرب
والعمل بالفضائل هو حقيقة السلوك عندهم ولا يتم ذلك الا لمن وفقه الله لمعرفة نفسه ومكايد

الصوفى انما هو النظر فيما ظهر على أربابها من أنواع الرياضات والمجاهدات وقد بينوا طرق ذلك في كتبهم قال الشيخ أبو طالب رضى الله تعالى عنه فلا يكون المريد مريدا حتى يبدل بمعانى صفات الربوبية صفات العبودية وأخلاق الشياطين بأوصاف المؤمنين وطبائع البهائم بأوصاف الروحانيين من الاذكار والعلوم فعندها يكون مريدا لا مقر بالقول والطريق الى هذا بأن يملك نفسه فيملكها ثم يضرها ويسلط عليها فان أردت أن تملك نفسك فلا تملكها وضيق عليها ولا توسع انها فان ملكتها ملكتك وان لم تضيق عليها اتسعت عليك واذا أردت الظفر بها فلا تعرضها الهوى واحبسها عن معتاد ملائمها فان لم تمسكها انطلقت بك وان أردت أن تقوى عليها فاضعفها بقطع أسبابها او حبس موادها والا قويت عليك فصرعتك اه فاذا قام بذلك المريد على الوجه الذى رسموه له والتزم الوظائف التى أمروه بها طهر قلبه وتزكت نفسه واتصفت بمحاسن الصفات التى تزينه بين العباد وينال بها من قرب ربه غاية المراد فيظهر حينئذ عليه آثار حميدة من التواضع لله والخشوع بين يديه والتعظيم لامره والحفظ لحدوده والهيبة له والخوف منه والتذلل لربوبيته والاخلاص فى عبوديته والرضا بقضائه ورؤية المنة له عليه فى منعه واعطائه ويتصف فيما بين خلقه بالرأفة والرحمة واللين والرفق وسعة الصدر والحلم والاحتمال والصيانة والنزاهة والامانة والثقة والعطف والتأنى والوقار والسخاء والجود والحياء والبشاشة والنصيحة وسلامة الصدر الى غير ذلك من أخلاق الايمان التى بها ينال العبد غاية السعادة والحسنى والزيادة قلت وهذان المعنيان هما اللذان يعبر عنهما أئمة الصوفية رضى الله تعالى عنهم بالتخلى والتحلى أى التخلى عن الصفات المذمومة والتحلى بالصفات المحمودة ويعبرون عنهما أيضا بالتزكية والتحلية وهما حقيقة السلوك الذى يعبرون عنه أيضا وسيأتى الاشارة الى كيفية ذلك عند قوله لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين فاذا صح للمريد هذا السفر وانقلب منه الى أفضل مستقر تحققت عبوديته لربه عز وجل فلم يملكه غيره ولم يسترقه سواه وارتقى فى القرب من ربه الى أشرف محل فيكون هنالك منزله ومثواه فيكون حينئذ كما قال المؤلف رحمه الله تعالى لنداء الحق مجيبا لانه اذ ذاك مناديه باسم العبد فيقول له يا عبدى فيجيب حينئذ مولاه باسم الرب فيقول له لبيك يا رب فيكون صادقا فى اجابته محققا فى نسبته ويكون أيضا من حضرته قريبا بالوجود بعده عن نفسه التى من شأنها النفور عنها والفرار منها فاذا أقامه الحق تعالى مقام العبودية وحاز مرتبة القرب من حضرة الربوبية كان محفوظا من اقتحام الاوزار ميسرا عليه أعمال الاخيار متحليا فى الظاهر والباطن بأشرف الحلى محتظيا بفضيلة التشبه بالملا الاعلى قال الله عز وجل ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقد قال الله تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون وقال عز من قائل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فرتبة العبودية أثبتتهم هذه الخصوصية وكذلك من تشبه بهم فى محاسن صفاتهم من الصفوة الصوفية الا أن هؤلاء محفوظون لا معصومون على ما اصطلحوا عليه من الفرق بين الحفظ والعصمة والفرق بينهما هو ما قاله الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه ان المعصوم لا يلم بذنب البتة والمحفوظ قد تحصل منه هنات وقد يكون له فى الندرة زلات ولكن لا يكون له اصرار أولئك الذين يتوبون الى الله من قريب وقد وصف الله تعالى عباده ذوى التخصيص أولى التطهير والتمحيص فى آيات كريمة بصفات جليلة عظيمة وأعد لهم على ذلك خيرات جسيمة فقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى قوله خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما وعليك النظر فيما قاله فيها أهل التفسير وما استنبطه منها أرباب الاشارات والتذكير وأما من عدا هؤلاء فهم عبيد نفوسهم الشهوانية ومسترقو حظوظهم الدنيوية قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وقال النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم الحديث وهؤلاء هم من عبيد

الثقة بما أمر الله  ومن هنه (وغفلة) للقلب عن حضرة الرب (وشهوة) نفسانية وهي التعلق بما

العدد المعين بقوله عز وجل ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا واعلم أنه لا يتهيأ هذا السلوك الى حضرة ملك الملوك الا لمن وفقه الله تعالى لمعرفة نفسه وما ركبت عليه من مذام الصفات ومن عرف ذلك من نفسه لا يزال متهما لها مسيئا ظنه بها آخذا حذره منها والا وقع في المعاصي والذنوب من حيث لا يشعر وقد نبه المؤلف رحمه الله تعالى على هذا بقوله ((أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها)) الرضا عن النفس أصل جميع الصفات المذمومة وعدم الرضا عنها أصل الصفات المحمودة وقد اتفق على هذا جميع العارفين وأرباب القلوب وذلك لان الرضا عن النفس يوجب تغطية عيوبها ومساويها ويصير قبيحها حسنا كما قيل

* وعين الرضا عن كل عيب كليلة * وعدم الرضا عن النفس على عكس هذا لان العبد اذ ذاك يتهم نفسه ويتطلب عيوبها ولا يغتر بما يظهر من الطاعة والانقياد كما قيل في الشطر الاخير

* كما أن عين السخط تبدي المساويا * فمن رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن اليها ومن استحسن حال نفسه وسكن اليها استولت عليه الغفلة وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور حينئذ دواعي الشهوة على العبد وليس عنده من المراقبة والتذكير ما يدفعها به ويقهرها فتصير الشهوة غالبة له بسبب ذلك ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي لا محالة وأصل ذلك كله رضاه عن نفسه ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن اليها ومن كان بهذا الوصف كان متيقظا متنبها للطوارق والعوارض وبالتيقظ والتنبه يتمكن من تفقد خواطره ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلا يكون لها عليه غلبة ولا قوة فيتصف العبد حينئذ بصفة العفة واذا كان عفيفا كان مجتنبا لكل ما نهاه الله عنه محافظا على جميع ما أمره به وهذا هو معنى الطاعة لله عز وجل وأصل هذا كله عدم رضاه عن نفسه واذا الامر أوجب على العبد من المعرفة بنفسه ويلزم من عدم الرضا عنها وبقدر تحقق العبد في معرفة نفسه يصلح له حاله ويعلو مقامه وقد ورد عن الكبار والائمة الاخيار من الكلمات المتضمنة لعيبهم لنفوسهم والتهمة منهم لها وعدم رضاهم عنها ما لا يحصى ولذلك قال أبو حفص رضي الله تعالى عنه من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات ولم يخالفها في جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها في سائر أيامه كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شئ منها فقد أهلكها وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه والكريم ابن الكريم يقول وما أبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقال أيضا أبو حفص رضي الله تعالى عنه منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي أن الله ينظر الى نظر السخط وأعمالي تدل على ذلك وقال الجنيد رضي الله تعالى عنه لا تسكن الى نفسك وان دامت طاعتها لك في طاعة ربك وقال أبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنه ما رضيت من نفسي طرفة عين ويحكى عن سري السقطي رضي الله تعالى عنه أنه قال اني لانظر الى وجهي في اليوم كذا كذا مرة مخافة أن يكون قد اسود لما أخافه من العقوبة وقال أيضا رضي الله تعالى عنه من الناس ناس لو مات نصف أحدهم ما ازدجر النصف الآخر ولا أحسبني الا منهم الى غير هذا من العبارات الصادرة من المشايخ رضي الله تعالى عنهم في هذا المعنى وقد ألف الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله تعالى عنه جزأ صغير الحجم عظيم الفوائد في عيوب النفس وكيفية مداواتها فلينظر فيه المريد وكذلك ألف فيه الامام أبو عبد الله الحرث المحاسبي كتابا سماه النصائح جمع فيه من معايب النفس وخدعها وغرورها وشرورها جملة شافية ونبه فيه على سبل دارسة عافية مما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم من التفتيش والتفقد والنظر فيما تصلح به أعمالهم وأحوالهم

طاعة الله سبحانه ولما كان الرضا عن النفس شأن من يتعاطى العلوم
عيوب النفس نهى المصنف عن صحبتهم وعاطلهم فقال

(ولاان) أى والله لان (تصحب) أيها المريد (جاهلا) بالعلوم الظاهرية (لا يرضى عن نفسه) بأن يسخط عليها و
أن تصحب عالما) بذلك (يرضى عن نفسه) لان صحبة من يرضى عن نفسه وان كان عالما شر محض لك لان ا
هذا الوصف الخبيث فصار علمه غير نافع لك فى تهذيب نفسك وجهله الذى أوجب رضاه عن نفسه ضار لك غاية ا
بعيوب نفسه حتى لا يرضى عنها الا علم عنده فلذا قال (فأى علم لعالم يرضى عن نفسه) وصحبة من لم يرض عن
محض وفيها كل الفائدة لان الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على حب الاقتداء عن تستحسن حاله فصار
الذى أوجب عدم رضاه عن نفسه نافعا لك غاية النفع وكانه اذ علم بعيوب نفسه حتى لم يرض (٣١) عنها الا

وأحوالهم وأنفسهم والمحافظة على تطهير الاسرار والقلوب والمبالغة فى الحذر من محقرات الذنوب وقد نقل الامام أبو حامد الغزالى قدس الله روحه منه فصلا فى كتابه واعتمد فيه ذكره بلفظه ونص خطابه بعد ان أثنى على مؤلفه بما هو أهله فبان للجاهل به علمه وفضله فقال فى حقه والمحاسبى رحمه الله تعالى حبر الامة فى علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه ثم ذكره وقد كان أوحد زمانه علما وعبادة ونخبة أوانه ورعا وزهادة سيدى الحاج أبو العباس بن عاشر رحمة الله تعالى عليه ورضوانه يكثر من التحريض على مطالعة ذلك الكتاب والعمل بما تضمنه من حق وصواب وأظننى سمعته ذات يوم يقول لا يعمل بما فيه الاولى أو كلاما هذا معناه فليتخذ المريد مطالعته وردا وليحرص على العمل بما تضمنه مستعينا بالله تعالى وسائلا منه توفيقا ورشدا لينصح لمولاه فى مراعاة اصلاح باطنه والقيام على قدم الصدق فى مواطنه وليجعل هجيراه مطالعة كتب التصوف وموالاة أهله بالتآلف والتعرف فبذلك تتقوى أنوار ايمانه ويقينه وتنتفى عنه الغرة فى عمله بوظائف دينه ولا يقدم على ذلك الا فرض العين وما يستعجم به نفسه من مكابدة التعب والاين ولا يشغل نفسه بعلم يغبر على وجه مقصوده ويوجب له انتكاث مواثيقه وعهوده وهو ما أكب الناس عليه اليوم وحادوا به عن سنن القوم حتى أكبهم ذلك من رذائل الصفات وعظائم الآفات ما صار بهم الى الهلاك والشقاء وأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم اللقاء وسجل عليهم بالكذب فى دعواهم أنهم قاصدون بعلمهم رضا مولاهم فاياك واياهم وأنشد

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادى

ولذلك قال المؤلف ((ولان تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه فأى علم لعالم يرضى عن نفسه وأى جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه)) فائدة الصحبة انما هى الزيادة فى الحال وعدم النقصان فيها سيما أى الكلام عليه عند قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فصحبة من يرضى عن نفسه وان كان عالما شر محض ولا فائدة فيها لان علمه غير نافع له وجهله الذى أوجب رضاه عن نفسه صار غاية الضرر وكانه اذ فاته هذا العلم الذى يريه عيبه حتى لا يرضى عن نفسه لا علم عنده وصحبة من لا يرضى عن نفسه وان كان جاهلا خير محض وفيه كل الفائدة لان جهله غير ضار وعلمه الذى أوجب له عدم رضاه عن نفسه نافع غاية النفع وكانه اذ حصل له هذا العلم لا جهل عنده ((شعاع البصيرة يشهدك قربه منك وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك)) شعاع البصيرة نور العقل وعين البصيرة نور العلم وحق البصيرة نور الحق فالعقلاء بنور عقولهم شهدوا أنفسهم وشاهدوا ربهم قريبا منهم أى بالعلم والاحاطة والعلماء بنور علمهم شهدوا

وللخلق بمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها وبين المصنف أن الذى ينكشف بالنور الاول قرب الله منك وثمرة
والاستحياء منه حتى لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك والذى ينكشف بالثانى عدمية كل موجود
الاكوان عدما فلا يعبأ بها ولا يلتفت اليها اذ وجودها عارية والوجود الحقيقى له سبحانه وتعالى وثمرة ذلك أن لا
ولا ما يستأنس به فيتم لك التوكل والتفويض والرضا والاستسلام والذى ينكشف بالثالث الذات المقدسة و
هو دهليز البقاء فيفنى عن فنائه وعدمه اسم لا كافى وجود سيده وناهيك بما يحصل له حينئذ من المواهب وا
ذلك حل فى مقام البقاء قال صاحب العوارف والباقى فى مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق

لا شيء معه) يعني أن هذا حال من هو متحقق بمقام الفنا، وهو عدم رؤيته غير مولاه (وهو الآن على ما عليه
يحصل لذلك المشاهد وهو أن الوجود الحقيقي له سبحانه وتعالى وغيره لا وجود له هو الوصف المتحقق له سبحانه
ثابت له قبل ذلك الفناء ولوجود الحجاب فقوله وهو الآن أي عند مشاهدة هذا السالك له على هذا الوصف على
ما كان عليه وقبل ادراك هذا المشاهد لكن عدم ادراكه ذلك الفناء وللحجاب القائم به * ثم قال (لا تتعدى نية همتك) أي
توجهه الى غيره لتحصيل حاجتك من (٣٢) الطلب حوائجك منه (فالكريم لا تتخطاه الآمال) فالهمة العلية

أنفسهم عدما في وجود ربهم والمتحققون بنور الحق شاهدوا الحق ولم يشاهدوا معه سواه (كان الله ولا
شيء معه وهو الآن على ما عليه كان) الا زمنة ههنا أمور وهمية لا وجود لها على التحقيق والمقصود أن
الله تعالى لا شيء معه لثبوت أحديته

لم يبق الا الحق لم يبق كائن * فما ثم موصول وما ثم بائن
بذا جاء برهان العيان فما أرى * بعيني الا عينه اذ أعاين

وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله تعالى الا كوان ثابتة باثباته ممحوة بأحدية ذاته وقال قدس الله سره
(لا تتعدى نية همتك الى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال) الهمة العلية تأنف من رفع حوائجها الى غير
كريم ولا كريم على الحقيقة سوى الله تعالى قال الجنيد رضي الله تعالى عنه الكريم الذي لا يحوجك
الى مسئلة وقال الحرث المحاسبي رضي الله تعالى عنه الكريم الذي لا يبالي من أعطى وقيل الكريم
الذي لا يخيب رجاء المؤملين وأجمع العبارات في معنى وصف الكريم ما قيل الكريم الذي اذا قدر
عفا واذا وعد وفى واذا أعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي كم أعطى ولا لمن أعطى وان رفعت
حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا ويغنيه عن الوسائل
والشفعا، واذا كانت هذه الصفات لا يستحقها أحد سوى الله تعالى فينبغي اذاً أن لا تتخطاه آمال
المؤملين الى غيره كما قال بعضهم

حرام على من وحد الله ربه * وأفرده أن يجتدي أحدا رفدا
ويا صاحبي قف بي مع الحق وقفة * أموت بها وجدا وأحيا بها وجدا
وقل لملوك الارض تجهد جهدها * فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

(لا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا من لا يستطيع أن
يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعا) اذا أورد الله تعالى عليك حاجة
أو أنزل بك نازلة فاعلم أنه لا رافع لها سواه اذ يستحيل أن يرفع غيره ما كان هو له واضعا لثبوت توحيده في
أن لا فاعل سواه واذ هو غالب على أمره لا يغالبه أحد ويستحيل أيضا أن ترفعها لمن لا يستطيع
أن يرفعها عن نفسه لو نزلت به لثبوت عجزه وضعفه ومن المحال تعلقك في حاجتك بمن هو محتاج مثلك
قال بعضهم من اعتمد على غير الله فهو في غرور لان الغرور ما لا يدوم ولا يدوم شيء سواه وهو الدائم القديم
الذي لم يزل ولا يزال وعطاؤه وفضله دائمان فلا تعتمد الا على من يدوم عليك منه الفضل والعطاء
في كل نفس وحين وأوان وزمان قال عطاء الخراساني رضي الله تعالى عنه لقيت وهب بن منبه في الطريق
فقلت حدثني حديثا أحفظه عنك في مقامي وأوجز قال أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة
والسلام يا داود أما وعزتي وجلالي لا يعتصم بي عبد من عبادي دون خلقي أعرف ذلك من نيته

لفاقة أو النازلة (هو موردها عليك) أي منزلها بك
به رافعا) اذ هو الغالب الذي لا يغلبه شيء وأيضا (من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه) اذا نزلت به
ما عن غيره رافعا) أي فيستحيل ذلك لثبوت عجزه وضعفه وحاصله ان المرفوع اليه حوائج لم يتوصل اليها
ه أحب اليه من غيره فلو كان له قدرة على نفع غيره لنفع نفسه فلزم عجزه عن نفع غيره اذ ما بعد العجز عن نفع
فلا تعلقك في حاجتك بمن هو محتاج مثلك

وتكيد بالسموات السبع ومن فيهن والارضون السبع ومن فيهن الا جعلت له منهن فرجا ومخرجا أما وعزتي وجلالي وعظمتي لا يستعصم عبد من عبادي بمخلوق دوني أعلم ذلك من نيته الا قطعت أسباب السموات السبع من دونه وأسخت الارض من تحته ولا أبالي في أي واد هلك * قال محمد بن الحسين بن حمدان كنت في مجلس يزيد بن هرون وكان الى جانبي رجل قلت له ما اسمك فقال سعيد فقلت ما كنيتك قال أبو عثمان فسألته عن قصته وخبره فقال نفدت نفقتي فقلت ومن تؤمل لما قد نزل بك فقال يزيد فقلت اذا لا يسعفك بحاجتك ولا ينجح طلبك ولا يبلغك أملك فقال وما علمك بهذا رحمك الله قلت اني رأيت في بعض الكتب ان الله عز وجل يقول وعزتي وجلالي وجودي وكرمي وارتفاعي فوق عرشي في علو مكاني لاقطعن أمل كل مؤمل لغيري بالاياس ولاكسونه ثوب المذلة عند الناس ولانحينه من قربي ولاقطعنه من وصلي أيؤمل غيري في النوائب والشدائد بيدي وأنا الحي ويرجى غيري ويطرق الفكر أبواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني من ذا الذي أملني لنائبة فقطعت به دونها ومن الذي رجاني لعظيم جرمه فقطعت رجاءه مني أم من ذا الذي قرع بابي فلم أفتحه له جعلت آمال خلقي بيني وبينهم متصلة فتعلقت بغيري وجعلت رجاءهم مدخرا لهم عندي فلم يرضوا بحفظي وملأت سمواتي ممن لا يملون تسبيحي من ملائكتي وأمرتهم أن لا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد غيري فمالي أراه بآماله معرضا عني ومالي أراه لاهيا بسواي أعطيته بجودي مالم يسألني ثم انتزعته منه فلم يسألني رده وسأله غيري افتراني أبدأ بالعطية قبل المسئلة ثم أسئل فلا أجيب سائلي أبخيل أنا فيبخلني عبدي أليس الدنيا والآخرة لي أوليس الرحمة والفضل بيدي أوليس الجود والكرم لي أوليس أنا محل الآمال فمن ذا الذي يقطعها دوني وما عسى أن يؤمل المؤملون لو قلت لاهل سمواتي وأهل أرضي أملوني ثم أعطيت كل واحد منهم من الفكر مثل ما أعطيت الجميع ما نقص ذلك من ملكي عضو ذرة كيف ينقص ملك كامل أنا قيمه فيا بؤس القانطين من رحمتي ويا بؤس من عصاني ولم يراقبني وثبت على محارمي ولم يستحي مني قال رحمك الله أمل هذا الحديث علي فكتبه ثم قال والله لا أكتب حديثا بعده قلت والاصل الذي ينبني عليه هذا المعنى هو تحقق العبد في مقام حسن الظن بالله تعالى ولذلك أخذ المؤلف رحمه الله تعالى في ذكره باثره فقال ((ان لم تحسن ظنك به لاجل حسن وصفه فحسن ظنك به لوجود معاملته معك فهل عودك الا حسنا وهل أسدى اليك الا مننا)) حسن الظن بالله تعالى أحد مقامات اليقين والناس فيه على قسمين خاصة وعامة فالخاصة حسنوا الظن به لما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية والعامة حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم والتفاوت بين المقامين ظاهر ولذلك لا يخاف من التغير والانقلاب في أحدهما ما يخاف في الآخر لان أرباب المقام الاول لما تحققوا في المعرفة بالله تعالى واحتظوا بأنوار اليقين به اطمأنت قلوبهم وسكنت نفوسهم فلم يبق فيهم متسع لوجود تهمة ولا مجال لسوء ظن وأرباب المقام الثاني لم يرتقوا عن نظرهم الى الافعال وهي متلونة عليهم في كل حال وعند وقوع بعض ما لا يلائم منها بهم ربما تضعف عن تحمل مكارهها اقوى قلوبهم فلا تحصل لهم البراءة من خواطر سوء الظن بالله وتحدث النفس بما يقتضي وجود هلع وجزع فليكن العبد عند ذلك مشاهدا معنى قوله عز وجل وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وما أشبهه وليقس النادر على الغالب * قال أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله تعالى عنه حسن الظن عبارة عن قطع الوهم أن يكون أو لا يكون لان الوهم قاتل وهو لو قت ثان فتى أعطيت أذنك للوهم هلكت وحدك وكذلك الاصغاء بالاذن الى الشيطان والنفس جنس واحد اه قلت وحسن الظن يطلب من العبد في أمر دنياه وفي أمر آخرته أما أمر دنياه فان يكون واثقا بالله تعالى في ايصال المنافع والمرافق اليه من غير كد ولا سعي

فيها أو سعى في تخفيف ما ذوق فيه وما سرور عليه بحيث لا يغرنه ذلك شيئاً من نفل ولا فرض فيوجب له ذلك سكوناً وراحة في قلبه وبدنه فلا يستفزه طلب ولا يزعجه سبب وأما أمر آخرته فبأن يكون قوي الرجاء في قبول أعماله الصالحة وتوفية أجوره عليها في دار الثواب والجزاء فيوجب له ذلك المبادرة لامتثال الأمر والتكثير من أعمال البر بوجود حلاوة واغتباط ولذاذة ونشاط وقد قال يحيى بن معاذ أوثق الرجاء رجاء العبد ربه وأصدق الظنون حسن الظن بالله تعالى ومن مواطن حسن الظن بالله تعالى التي لا ينبغي للعبد أن يفارقه فيها أوقات الشدائد والمحن وحلول المصائب في الأهل والمال والبدن لئلا يقع بسبب عدم ذلك في الجزع والسخط وسيأتي هذا المعنى في كلام المؤلف رحمه الله وهو قوله من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره ومن أعظم مواطن حسن الظن بالله تعالى حالة الموت وقد جاء في الخبر لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى وفي حديث جابر من استطاع منكم أن لا يموت إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى فليفعل ثم تلا هذه الآية وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم وذلك لأنه تعالى قال فيما روي عنه أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء * قال أبو طالب المكي رضي الله تعالى عنه وكان ابن مسعود يحلف بالله ما أحسن عبد ظنه بالله تعالى إلا أعطاه الله عز وجل ذلك لأن الخير كله بيده وإذا أعطاه حسن الظن به فقد أعطاه ما يظنه لأن الذي حسن ظنه به هو الذي أراد أن يحققه له اهـ وقد روي عن أبي النضر بن حيان قال خرجت عائداً ليزيد بن الأسود فلقيت واثلة بن الأسقع وهو يريد عيادته قال فدخلنا عليه وهو في فراشه فلما رأى واثلة بسط يده وطفق يشير إليه فأقبل واثلة حتى جلس على الفراش وأخذ يزيد بن الأسود بكفي واثلة حتى جعلهما على وجهه فقال له واثلة أسألك عن شيء تخبرني به قال لا تسألني عن شيء أعلمه إلا أخبرتك به قال له واثلة كيف ظنك بالله عز وجل قال ظني والله بالله حسن قال فأبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيراً وإن ظن شراً وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد مريضاً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ظنك بر يا رسول الله حسن الظن قال فظن به ما شئت فإن الله تبارك وتعالى عند ظن المؤمن به وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن حسن الظن بالله من حسن عبادة الله والأخبار والآثار في الرجاء وحسن الظن بالله وسعة رحمته أكثر من أن تحصى ومطالعتها مما يزيد المريد قوة في هذا المقام فمن أراد الشفاء في ذلك فعليه بمطالعة كتاب الرجاء من قوت القلوب وكتاب الإحياء قال بعضهم

وما زلت أرجو الله حتى كأنني * أرى بجميل الصنع ما هو صانع

ثم بين رحمه الله تعالى الحالة التي باعتبارها يتحقق العبد في مقام حسن الظن بالله تعالى وهو عكوف العبد بباب الله وتعلق قلبه بوحدانيته وأشار إلى أن ذلك هو غاية النعيم ومنتهى الأماني لا ما تتوهمه النفس وتطلبه من النعيم المعقول والأمنيات التي تفنى وتزول وحكم بأن خلاف هذا من عمى القلب ومما يحق أن يتعجب منه كل ذي لب فقال ((العجب كل العجب ممن يهرب ممن لا انفكاك له عنه ويطلب ما لا بقاء له معه فإنها لا تعمى الأبصار الآية)) هرب العبد من مولاه بإقباله على شهواته ومتابعته هواه وذلك نتيجة عمى قلبه وجهله بربه لأنه استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير وآثر الفاني الذي لا بقاء له على الباقي الذي لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة لآثر الباقي على الفاني ولفعل ما فعله سحرة فرعون لما آمنوا بربهم إذ لم يحفلوا بما وعدهم به فرعون من الإحسان والإنعام والتقريب والإكرام ولم يكترثوا بما توعدهم به من العذاب والقتل والصلب على جذوع النخل بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا الآية ثم قالوا والله خير وأبقى وذلك لاستنارة قلوبهم

(لا ترحل من كون الى كون) يعنى أن العمل المصاحب للرياء ونحوه مذموم غير معتد به شرعا فاذا جاهد المريد
ولكن قصد به الجزاء والدرجات أو نيل الرتب العلية والمقامات لم يزل مذموما أيضا عند العارفين والمحمود أى
شبه المصنف الرحيل من كون الى كون بقوله (فتكون كحمار الرحا) أى الطاحون (يسير والمكان الذى ارتحل
منه) وكذلك العمل لطلب الجزاء فيه رحيل من كون وهو الرياء ونحوه الى كون وهو ماذكر من طلب الجزاء
بعملها رتبة عند الله وكل ذلك من الاكوان والاكوان كلها متساو



وشاهدوا محبوبهم فكان منهم ما كان ((لا ترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحا يسير والمكان الذى ارتحل اليه هو الذى ارتحل منه ولكن ارحل من الاكوان الى المكون وأن الى ربك المنتهى)) العمل على طلب الجزاء والدرجات أو نيل الرتب العلية والمقامات نقصان فى الحال وشوب فى اخلاص الاعمال وهو معنى الرحيل من كون الى كون وسبب ذلك بقاء اعتبار النفس فى أن تحصل لها رتبة أو تنال بسعيها موهبة وهذه كلها من الاكوان والاكوان كلها متساوية فى كونها أغيارا وان كان بعضها أنوارا وتمثيله بحمار الرحا مبالغة فى تقبيح حال العاملين على رؤية الاغيار وتلطف فى دعائهم الى حسن الادب بين يدى الواحد القهار حتى يحققوا معنى قوله تعالى وأن الى ربك المنتهى فيكون انتهاء سيرهم اليه وعكوف قلوبهم عليه وتكون أعمالهم اذذاك وفاء بمقتضى العبودية وقياما بحقوق الربوبية فقط من غير التفات الى النفس على أى حالة تكون فهذا هو تحقيق الاخلاص الكائن عن مشاهدة التوحيد الخاص جعلنا الله من أهله بمنه وفضله انه على كل شئ قدير ((وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه فافهم قوله عليه الصلاة والسلام وتأمل هذا الامر ان كنت ذا فهم)) فى هذا الحديث النبوى تنبيه على المعنى الذى ذكره وموضع الاعتبار والتأمل هو والله أعلم قوله فى القسم الثانى فهجرته الى ماهاجر اليه أى ولا نصيب له من الوصول والقرب الذى حظى به من هاجر الى الله ورسوله وهو قوله فهجرته الى الله ورسوله وهذا من باب حصر المبتدا فى الخبر كما تقول زيد صديقى أى لا صديق له غيرى وكأنه صلى الله عليه وسلم نبه فى القسم الثانى بالدنيا التى يريد أن يصيبها والمرأة التى يريد أن يتزوجها على حظوظ النفس والوقوف معها والعمل عليها كائنة ما كانت وان كان ظاهرها طلب الحظ العاجل فقوله فهجرته الى الله ورسوله هو معنى الارتحال من الاكوان الى المكون وهو المطلوب من العبد وهو مصرح به غاية التصريح وقوله فهجرته الى ماهاجر اليه هو البقاء مع الاكوان والتنقل فيها وهو الذى نهى عنه وهو مشار به غير مصرح فليكن المريد عالى الهمة والنية حتى لا يكون له التفات الى غير ولا كون البتة ولقد أحسن الشاعر فى قوله

وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق * محتقر فى همتى * كشعرة فى مفرقى

قال رجل لابى يزيد رضى الله تعالى عنه أوصنى فقال له ان أعطاك من العرش الى الفرش فقل له لا أنت أريد وقال أبو سليمان الدارانى رضى الله تعالى عنه لو خيرت بين ركعتين ودخول الفردوس لاخترت ركعتين لانى فى الفردوس بحظى وفى الركعتين بربى وقال الشبلى رضى الله تعالى عنه احذر مكره ولو فى قوله كلوا واشربوا يريد لا تستغرق فى الحظ ولتكن فى كل شئ به لا بنفسك فقوله تعالى كلوا واشربوا وان كان ظاهرها كراما وانعاما فان فى باطنه ابتلاء واختبارا حتى ينظر من هو معه ومن هو مع الحظ قال رضى الله

الثانى أعنى فهجرته الى ماهاجر اليه فان معناه أنه لا نصيب له من الوصول والقرب الذى حظى به من هاجر ا
عليه وسلم نبه بالدنيا والمرأة على حظوظ النفس بالوقوف معها كائنة ما كانت فقوله فهجرته الى الله ورس
الاكوان الى المكون الذى هو مطلوب من العبد وهو مصرح به وقوله فهجرته الى ماهاجر اليه هو البقاء مع ا
مشار به غير مصرح * ولما كان حاصل ما تقدم طلب رفع الهمة عن الخلق وتعلقها بالملك الحق وأبلغ ما يو
العارفين بالله تعالى أمر بها فى ضمن قوله

تعالى عنه (لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله) تكلم ههنا في الصحبة وهي أصل كبير
من أصول القوم وفيها منافع وفوائد ولذلك استمر عليها أشياخهم قديما وحديثا وقدمها المؤلف رحمه الله على
فائدتها في قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فانهاض الحال ودلالة المقال على الله
تعالى هو فائدة الصحبة ومعنى الحال المنهضة ههنا هو أن تكون همته متعلقة بالله تعالى من نفسه من
المخلوقين لا يلتفت في حوائجه الا الى الله تعالى ولا يتوكل في أموره الا على الله قد سقط اعتبار الناس من
عينه فلا يرى منهم ضرا ولا نفعا وسقطت نفسه من عينه فلا يشاهد لها فعلا ولا يقضي لها حظا ويكون في
أعماله كلها جاريا على مقتضى الشرع من غير افراط ولا تفريط وهذه صفة العارفين الموحدين فصحبته
من هذه حاله وان قلت عبادته ونوافله مأمونة العاقبة محمودة العاقبة حالة لكل فائدة دينية ودنيوية
لان الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على حب الاقتداء بمن تستحسن حاله ولا يشترط في …
اتصافه بتلك الصفات على غاية الكمال والتمام فان ذلك متعذر وانما يشترط …
صاحبه به فقط بحيث يكون أعلى منه حالا وأصوب منه مقالا ومن لم يكن على هذا الوصف وكان
شأنه المعاملة الظاهرة لا غير فليس له فائدة في صحبته بل ربما زادته شرا لان مخالطته تدعوه الى التصنع
والتزين ويؤديه ذلك الى كبائر معاصي القلوب وهي أشد عليه من معاصي الجوارح بكثير * قال يوسف
ابن الحسين الرازي رضي الله تعالى عنه لان ألقى الله بجميع المعاصي أحب الي من أن ألقاه بذرة من
التصنع فيدخل بذلك عليه النقص في حاله من حيث رجاء الزيادة فيها قال بعض الصوفية لا تعاشر من
الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده باثم يكون ذلك لك وعليك وأنت عنده سواء وقال …
كن مع أبناء الدنيا بالادب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقيل لبعض الصالحين
فلان يصحبك ويكثر ذكرك فقال انه حبيب الي وأجله وأعرف قدره ولكن يهون على أن ألقى الشيطان
ألف مرة ولا ألقاه مرة واحدة قيل له وكيف ذلك قال أخشى أن أتزين له ويتزين لي قال الشيخ أبو …
المكي رضي الله تعالى عنه وكانت هذه الطائفة من الصوفية لا يصطحبون الا على استواء أر…
لا يترجح بعضها على بعض ولا يكون فيها اعتراض من بعض على بعض ان أكل صاحبه الدهر كله لم يقل له
صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له صاحبه أفطر وان نام الليل كله لم يقل له صاحبه قم وان …
صلى الليل كله لم يقل له صاحبه نم فتصح وتستوي أحواله عنده فلا مزيد لاجل صيامه وقيامه ولا
نقصان لاجل افطاره ونومه قالوا واذا كان يزيد عنده بالعمل وينقص بترك العمل فالفرقة أسلم للدين
وأبعد من المراآة من قبل أن النفس مجبولة على حب المدح وكراهة الذم ومبتلاة بأن ترى حالها الى
عرفته وأن تظهر أحسن ما يحسن عند الناس منها وأن تجتلب ما يوجب المدح منهم وتجتنب ما يوقع
الذم عندهم واذا صحب من يعمل معه هذا فليس ذلك طريق الصادقين ولا صحبة المخلصين فمجانبة هؤلاء
الناس أصلح للقلوب وأسلم للدين وفي معاشرة أمثالهم فساد القلب ونقصان الايمان وضعف اليقين
لان هذه أسباب الرياء وفي الرياء حبط الاعمال وخسران رأس المال والسقوط من عين …
الجلال وكان الثوري رضي الله تعالى عنه يقول من عاشر الناس داراهم ومن داراهم راآهم ومن
راآهم وقع فيما وقعوا فيه فهلك كما هلكوا وكان بعض الحكماء يقول لا تؤاخ من الناس من يتغير عليك في أربع
عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه لان هذه المعاني تغيرها الطباع لتحول الضرر منها
على النفس وفقد الانتفاع وقال في موضع آخر من كان بالمراء أخوة أخيه أو في صحبته لكثرة أنه
أو وانتفاعه لم أحواله دل على جهله بهذه الطريق التي تنفذ الى التحقيق لانها تحول وانما العمل
على حقائق القلوب لانها نافعة في الوصول وان اقترن الى جهله نقص معرفة الاخوة دخل عليه التزين له
والتصنع عنده لتعلو منزلته ويحسن عنده أثره فيدخله ذلك في الشرك ويخرجه الشرك عن حقيقة

التوحيد فترل قدم بعد ثبوتها و يسقط من عين مولاه فلا يتولاه لان النفس مبتلاة بحب الثناء والمدح واثبات المنزلة باطنها والوصف فيكون هذا الصاحب حينئذ من أشأم الناس عليه وأضرهم له و يصير أحدهما بلاء على صاحبه فليفارقه حينئذ لانه جاهل فلا يصحبه لانه يجد النقصان بصحبته وتدخل عليه الآفات بمقاربته وليتفرد بنفسه و يصدق فى حالة عالية كانت أو دنيئة وضيعة كانت أو رفيعة من غير مقاربة أحد ولا مباينته فهو خير له وأحمد عاقبة اه ويدل على ارادة صاحب الكتاب لهذا المعنى الذى ذكرناه فى التنبيه على قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ما أعقبه به من قوله ولا يدلك على الله مقاله فيكون الحال والمقال متناسبين فى كون كل واحد منهما متعلقا بالله تعالى عبودية ودلالة * وقال سهل بن عبد الله رضى الله تعالى عنه احذر صحبة ثلاثة أصناف من الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين وقال يوسف بن الحسين الرازى رحمه الله تعالى قلت لذى النون المصرى رضى الله تعالى عنه من أصحب فقال من لا تكتمه شيأ مما يعلمه الله منك وقال حمدون القصار رضى الله تعالى عنه اصحب الصوفية فان للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موقع يعظمونك به اشارة الى أن العجب بالعمل منفى عندهم فى صحبتهم وقال الجنيد رضى الله تعالى عنه اذا أراد الله بالمريد خيرا أرفقه الى الصوفية ومنعه صحبة القراء وقال على رضى الله تعالى عنه شر الاصدقاء من أحوجك الى المداراة وألجأك الى الاعتذار وقال مرة شر الاصدقاء من يتكلف له وأنشد ابو يوسف بن الحسين الرازى رضى الله تعالى عنه

أحب من الاخوان كل مواتى * وكل غضيض الطرف عن عثراتى
يوافقنى فى كل أمر أحبه * ويحفظنى حيا وبعد مماتى
فمن لى بهذا ليتنى قد وجدته * فقاسمته مالى من الحسنات

والحاصل من هذا أن صحبة الصوفية هى التى يحصل بها كمال الانتفاع للصاحب دون من عداهم من المنسوبين الى الدين والعلم لانهم خصوا من حقائق التوحيد والمعرفة بخصائص لم يساهمهم فيها غيرهم وسريان ذلك من الصاحب الى المصحوب هو غاية الامل والمطلوب فقد قيل من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها فمن جلس على دكان العطار لم يفقد الرائحة الطيبة هذا فى الحضور والمجالسة فما ظنك فى الصحبة والمؤانسة وقد وصفهم بعض العلماء فقال الصوفى من لا يعرف فى الدارين أحدا غير الله ولا يشهد مع الله سوى الله قد حضر له فى كل شئ ولم يحضر هو لشئ وسلط على كل شئ ولم يسلط عليه شئ يأخذ النصيب من كل شئ ولا يأخذ النصيب منه شئ يصفو به كدر كل شئ ولا يكدر صفوه شئ قد شغله واحد عن كل شئ وكفاه واحد من كل شئ فانظر وحك الله هذه الصفات ما أعظمها وأجلها وما أشرف حال من اتصف بها وما أعزه فى هذا الوجود نفعنا الله بهم ورزقنا من بركاتهم وفى صحبة أمثال هؤلاء يحصل للمريد من المزيد ما لا يحصل له بغيرها من فنون المجاهدات وأنواع المكابدات حتى يبلغوا من ذلك الى أمر لا يسعه عقل عاقل ولا يحيط به علم عالم ناقل * قال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه ماذا أصنع بالكيمياء والله لقد صحبت أقواما يعبر أحدهم على الشجرة اليابسة فيشير اليها فتثمر رمانا للوقت فمن صحب مثل هؤلاء الرجال ماذا يصنع بالكيمياء وقال أيضا رضى الله تعالى عنه والله ما سار الاولياء والابدال من قاف الى قاف الا حتى يلقوا واحدا مثلنا فاذا لقوه كان بغيتهم وقال أيضا رضى الله تعالى عنه الولى اذا أراد أغنى وقال أيضا رضى الله تعالى عنه والله ما بينى وبين الرجل الا أن أنظر اليه نظرة وقد أغنيته وقال فيه شيخه أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه أبو العباس هو الرجل الكامل والله انه ليأتيه البدوى يبول على ساقيه فلا يمسى عليه المساء الا وقد وصله الى الله وسيأتى طرف من ذكر حال المؤلف رحمه الله تعالى فى صحبته وما أوصله اليه ببركة رؤيته عند قوله كل كلام يبرز عليه كسوة القلب الذى منه برز ((ربما كنت

لـ صحبتك الى من هو أسوأ حالا منك) يعني ان صحبة من هو دونك ضرر محض لانها تغطي عنك عيوبك وتبين لك
لى نفسك فتعجب بأعمالك وتقنع بأحوالك والرضا عن النفس ورؤية احسانها أصل كل شر وآفة وردت ولا بد أن
ولا يدلك على الله مقاله واصحب مثلك حتى تكون في صحبته لا لك ولا عليك ثم اعلم أن صحبة العارفين على قسمين
صحبة الارادة هي التي يشترط لها الشروط المعروفة التي حاصلها أن يكون المريد مع الشيخ كالميت بين يدي
ـن التي يكون القصد بها الدخول مع القوم والتزيي بزيهم والانتظام في سلك عقدهم وهذا لا يلزم شروط الصحبة
ـرع ولعله (٣٨) مخالطة الطائفة تعود عليه بركتهم ويصل الى ما وصلوا اليه (ما قل عمل برز من

ـسيا أنار لك الاحسان منك صحبتك من هو أسوأ حالا منك) هذه أعظم آفة تدخل على من خالف ما ذكره وصحب من هو دونه في الحال وهي استحسانه لما هو عليه فيؤديه ذلك الى الرضا عن نفسه ورؤيته لاحسانها وهو أصل كل شر كما تقدم (ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب) مقادير الاعمال على حسب قلوب العمال فما صدر عن الزاهدين في الدنيا من عمل طاعة وان كان قليلا في الحس فهو كثير في التحقيق وما صدر عن الراغبين فيها من عمل بر وان كان كثيرا في الحس فهو قليل على التحقيق وذلك لان الزاهدين سلموا من الآفات التي تقدح في اخلاص أعمالهم من مراآة الناس والتصنع لهم وطلب الاعواض الدنيوية عليها منهم لانهم زهدوا فيها فيحصل لهم قبول أعمالهم فيتوفر لهم قليلها بحسب ذلك ويكثر الراغبون لتعرضهم الآفات المبطلة لاعمالهم القادحة في اخلاصهم بسبب رغبتهم في الدنيا فلا يقبل منهم بقل الكثير من أعمالهم لوجود النقصان فيها وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل فانه لا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل عمل يتقبل وقد وصف الله تعالى ذكر المؤمنين بالكثرة لما تضمنه من وجود الاخلاص وعدم رياء الناس فقيل في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا قيل يعني خالصا فسمي الخالص كثيرا وهو ما أخلصت فيه النية لوجه الله العظيم ووصف ذكر المنافقين بالقلة لما اشتمل عليه من عدم الاخلاص ووجود رياء الناس فقال تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا يعني غير خالص وروي عن عبد الله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال ركعتان من زاهد عالم خير من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر أبدا سرمدا وقال بعض الصحابة لصدر التابعين أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا أزهد منكم في الدنيا وعن بعض الصحابة أيضا قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر في أمر الدنيا والآخرة أبلغ من الزهد في الدنيا وقال أبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنه سألت معروفا الكرخي رضي الله تعالى عنه عن الطائعين بأي شيء قدروا على الطاعة لله تعالى قال باخراج الدنيا من قلوبهم ولو كان شيء منها في قلوبهم ما صحت لهم سجدة وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله تعالى عنه شكا بعض الناس لرجل من الصالحين أنه يعمل أعمال البر ولا يجد حلاوة في قلبه فقال لانه عندك بنت ابليس وهي الدنيا ولا بد للأب أن يزور ابنته في بيتها وهو قلبك ولا يؤثر دخوله الا فسادا وكان أبو محمد بن سهل رضي الله تعالى عنه يقول يعطى الزاهد ثواب العلماء والعباد ثم يقسم على المؤمنين ثواب أعماله قال ولا يرى في القيامة أحد أفضل من ذي زهد عالم ورع (حسن الاعمال نتائج حسن الاحوال وحسن الاحوال من التحقق في مقامات الانزال) حسن الاعمال توفيتها بما يجب لها من شروط وآداب عبودية لله تعالى لا لطلب حظ

له عبودية لله تعالى لا لطلب حظ عاجل ولا ثواب آجل (وحسن الاحوال) نامئ عاجل
(في مقامات الانزال) أي في المقامات التي تنزل في قلوب العارفين وهي معارف الهية يوردها الله تعالى على
الدعوى وعدم الالتفات الى جنة أو هرب من نار فان المريد اذا حصل له ذلك راقب مولاه بقلبه فلا يقصد
تخليص العمل عما يعوقه عن القبول وهذه الحكمة كالدليل لما قبلها ولما كانت الخصال المحمودة لا تنشأ
اومة عليه ذكره بقوله

(لاتترك) أيها المريد (الذكر) سل لازمه وداوم عليه فانه أقرب الطرق الى الله تعالى وعلامة على وجود و
أعطي منشور الولاية فلا تتركه (لعدم حضورك) أي حضور قلبك (مع الله فيه) با



عاجل ولا ثواب آجل وحسن الاحوال أن تكون سالمة من العلل والدعاوى موسومة بسمة الصدق والتحقق في مقامات الانزال هو ارتواء القلب عما ينزله الحق تعالى فيه من مقامات العلوم والمعارف بحيث ينتفي عنه كل شك وريب وهذه الثلاثة المذكورة مرتب بعضها على بعض وهو معنى ما يقوله الامام أبو حامد رضي الله تعالى عنه لابد في كل مقام من مقامات اليقين من علم وحال وعمل فالعلم ينتج الحال والحال ينتج العمل وهذا الكلام الذي ذكره المؤلف رحمه الله تعالى نوع استدلال على ما قاله في الزاهد والراغب (لاتترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لان غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى ان يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز) الذكر أقرب الطرق الى الله تعالى وهو علم على وجود ولايته كما قيل الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطي المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل قال الشاعر

والذكر أعظم باب أنت داخله * لله فاجعل له الانفاس حراسا

قال الامام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه الذكر عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الارادة وعلامة صحة البداية ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر شئ وجميع الخصال المحمودة راجعة الى الذكر ومنشؤها عن الذكر وفضائل الذكر أكثر من أن تحصى ولو لم يرد فيه الا قوله تعالى في كتابه العزيز فاذكروني أذكركم وقوله عز وجل فيما رويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب الى شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة لكان في ذلك اكتفاء وغنية وهذا الحديث متفق على صحته قالوا ومن خصائصه أنه غير موقت بوقت فما من وقت الا والعبد مطلوب به اماوجوبا واماندبا بخلاف غيره من الطاعات قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر أحدا في تركه الا مغلوبا على عقله وأمرهم بذكره في الاحوال كلها فقال عز من قائل فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا أي بالليل والنهار وفي البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال وقال مجاهد رضي الله تعالى عنه الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون فينبغي للعبد أن يستكثر منه في كل حالاته ويستغرق فيه جميع أوقاته ولا يغفل عنه وليس له أن يتركه لوجود غفلته فيه فان تركه له وغفلته عنه أشد من غفلته فيه فعليه أن يذكر الله تعالى بلسانه وان كان غافلا فيه فلعل ذكره مع وجود الغفلة يرفعه الى الذكر مع وجود اليقظة وهذا نعت العقلاء ولعل ذكره مع وجود اليقظة يرفعه الى الذكر مع وجود الحضور وهذه صفة العلماء ولعل ذكره مع وجود الحضور يرفعه الى الذكر مع وجود الغيبة عما سوى المذكور وهي مرتبة العارفين المحققين من الاولياء قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت أي اذا نسيت ما دون الله عند ذلك تكون ذاكرا الله وفي هذا المقام ينقطع ذكر اللسان ويكون العبد محوا في وجود العيان وفي هذا المعنى أنشدوا

ما ان ذكرتك الاهم يقلقني * سري وقلبي وروحي عند ذكراك

التي يبطش بها وان سمع كان سمعه الذي يسمع به وهذه المعالم والمراقي لا يعرف حقيقتها الا السا
وتصديقها فاياك والتكذيب بشئ من ذلك فتهلك مع الهالكين * ولما كان المريد ربما يستبعد الوصول ا
على الله بعزيز) لانه قادر على كل شئ فعلى المريد القيام بالاسباب ومن الله الوصول ورفع الحجاب

حتى كأن رقيبا منك يهتف بي * إياك ويحك والتذكار إياك
أما ترى الحق قد لاحت شواهده * وواصل الكل من معناه معناك

وقال الواسطي مشيرا إلى هذا المقام الذاكرون في ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره لأن ذكره سواه وقال أبو العباس بن البنا في كلام ذكره في مقدمة كتاب أبي العز تقي الدين بن المظفر الشافعي وهو كتاب الأسرار العقلية في الكلمات النبوية ورأيت هذا الكلام بخطه رحمه الله ومن أحسن الذكر ما هاج على خاطر وارد من المذكور جل ذكره وهذا هو الذكر الحق عند الصوفية على الاستمرار والتمكن في الأسرار وأما قولهم حتى يتمكن الذاكر إلى حالة يستغرق بها عن الذكر فليس ذلك تمكن حلول ولا اتحاد بل حكمة وقدرة من عزيز حكيم وبيان ذلك أن يكون القلب عند الذكر في الذكر وإن من الكل فلا يبقى فيه غير الله جل ذكره فيصير القلب بيت الحق ويتلى منه فيخرج الذكر من غير ولا تدبير وحينئذ يكون الحق المبين لسانه الذي ينطق به وإن بطش هذا الذاكر كان يده التي يبطش بها وإن سمع كان سمعه الذي يسمع به فقد استولى المذكور العلي على الفؤاد فامتلكه وعلى الجوارح فصرفها في مرضيه وعلى الصفات من هذا العبد فقلبها كيف شاء في مرضاته فلذلك يخرج الذكر من غير وتنبعث الأعمال بالطاعات نشاطا ولذة من غير كلال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقد وصف الله قلب أم موسى عليه السلام بمعنى ذلك في الحق وأصبح فؤاد أم موسى فارغا أي فارغا من كل شيء إلا من ذكر موسى فكادت أن تبدي به من غير قصد منها لذكره ولا تدبير بل كان تركها التصريح بذكره صبرا إذ ربط الله على قلبها لتكون من المؤمنين بما أوحى إليها من قبل في شأن موسى وأنه من المرسلين وبذلك يندفع الإشكال الذي ذكره أبو الع ووصفه بالعظم وهو اجتماع الضدين في بادي الرأي وهما الذكر والغفلة عن الذكر وهذه المعالم والمزا لا يعرف حقائقها إلا أولو الكرم وجدانا والعلماء إيمانا وتصديقا وأولئك والتكذيب بآيات الله فيكون من الصم البكم في الظلمات ولما كان المذكور لا يجوز عليه وصف الفقد والعدم ولا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان ولا يشتمل عليه زمان ولا يجوز عليه الغيبة بوجه ولا يتصف بحوادث الحدثين ولا يجري عليه صفات المحدثين فهو حاضر عينا ومعنى وشاهد سرا وجهرا وهو القريب من كل شيء وأقرب إلى الذاكر له من نفسه من حيث الإيجاد له والعلم به والمشيئة فيه والقدرة والتدبير له والقيام عليه خلق الخليقة فلا تلحقه أوصافها وأوجد الأعداد فلا تحصره معانيها سبحانه هو العلي الكبير انتهى كلام الشيخ أبي العباس رحمه الله في معنى المقام الثالث من مقامات الذكر وهو في غاية الحسن والتحقيق مشيرا إلى توحيد الخواص من أهل هذا الطريق فلا ينبغي أن يستبعد العبد الوصول إلى هذا المقام الكريم فليس ذلك بعزيز على الفتاح العليم فعلى العبد القيام بحق الأسباب ومن الله تعالى رفع الحجاب * وقال رضي الله عنه (من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات وترك الندم على وجود الزلات) القلب إذا كان حيا بالإيمان حزن على ما فاته من الطاعات وندم على ما فعله من الزلات بمقتضى هذا ووجد الفرح بما يستعمل فيه من الطاعات ويوفق له من اجتناب المعاصي والسيئات وقد جاء في الخبر من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن فإن لم يكن العبد بهذا الوصف وعدم الحزن على ما فاته والندم على ما أتاه فهو ميت القلب وإنما كان ذلك من قبل أن أعمال العبد الحسنة والسيئة علامتان على وجود رضا الله تعالى عن العبد وسخطه عليه فإذا وفق الله تعالى عبده للصالحات سره ذلك لأنه علامة على رضاه عنه وغلب حينئذ رجاؤه وإذا خذله ولم يعصمه فعمل بالمعاصي ساءه ذلك وأحزنه علامة على سخطه عليه وغلب حينئذ خوفه والرجاء يبعث على الاجتهاد في الطاعات وليس من مقتضاه تركها وعدم الحزن على ما فاته منها أمنا واغترارا والخوف يبعث على المبالغة في اجتناب المعاصي

والسيئات وايس من مقتضاه فعلها وترك الندم عليها اياسا وقنوطا وفى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتاه آت فلما دنا منا ورأى جماعتنا أناخ راحلته ثم مشى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أوضعت راحلتى من مسيرة تسع فسيرتها اليك ستا وأسهرت ليلى وأظمأت نهارى وأنصبت راحلتى لأسألك عن اثنتين أسهرتانى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم من أنت قال زيد الخيل قال بل أنت زيد الخير سل فرب معضلة قد سئلت عنها قال جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بخ بخ كيف أصبحت يازيد قال أصبحت أحب الخير وأهله وأحب أن يعمل به واذا فاتنى حننت اليه واذا عملت عملا قل أو كثر أيقنت بثوابه قال هى هى بعينها يازيد ولو أرادك الله للأخرى هيأك لها ثم لا يبالى فى أى واد هلكت فقال زيد حسبى حسبى ثم ارتحل ولم يلبث (لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فان من عرف ربه استصغر فى جنب كرمه ذنبه) عظمة الذنب عند مرتكبه على وجهين أحدهما ان يعظم عنده عظمة تحمله على التوبة منه والاقلاع عنه وصدق العزم على أن لا يعود الى مثله فهذه عظمة محمودة وهى من علامات ايمان العبد كما قلنا قال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه ان المؤمن يرى ذنوبه كانها فى أصل جبل يخاف أن يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه قال به هكذا فأطاره ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله تعالى والثانى أن يعظم عنده عظمة توقعه فى اليأس والقنوط وتؤديه الى سوء الظن بالله تعالى فهذه عظمة مذمومة قادحة فى الايمان وهى تمر عليه من ذنوبه وسبب ذلك جهله بصفات مولاه المحسن الجواد الكريم ووقوفه مع نفسه وقياسه بعقله وحدسه ولو كان عارفا بالله حق المعرفة لاستحقر ذنوبه فى جنب كرمه وفضله فأى قدر للعبد أو قيمة حتى يقع فى ذنب لا يسعه عفو ربه ويكبر عليه أن يغفره قال فى التنوير واعلم أنه لابد فى مملكته من عباده هم نصب الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وافهم قوله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم وقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى وجاء رجل الى الاستاذ أبى الحسن قدس الله سره العزيز فقال ياسيدى كان البارحة بجوارنا من المنكرات كيت وكيت وظهر من ذلك الرجل استغراب أن يكون هذا فقال ياهذا كأنك تريد أن لا يعصى الله تعالى فى مملكته من أحب أن لا يعصى الله تعالى فى مملكته فقد أحب أن لا تظهر مغفرته وأن لا تكون شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم له وكم من مذنب كثرت اساءته ومخالفته وجبت له الرحمة من ربه فكان له راحما بقدر ايمانه وان عصى عالما اهـ فلا ينبغى للعبد أن يستعظم ذنبه استعظاما يؤديه الى أن يلقى بيديه اياسا من روحه وقنوطا من رحمته وسوء ظن به بل عليه أن يتوب الى ربه منه ويرجع اليه عنه ويعلم حكمة الله تعالى فى تسليطه عليه وتخليته بينه وبينه وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الذنب خير للمؤمن من العجب ماخلى الله تعالى بين مؤمن وبين ذنب أبدا فنبهك بهذا على أن الذنب مانع من وجود العجب الذى هو أعظم حجاب بين العبد وبين مولاه لان صاحبه ناظر الى نفسه لا الى ربه مستعظم لطاعته وعبادته ملاحظ لذلك ومساكن له بخلاف ذلك الذنب لانه يوجب له الخوف والحذر واللجأ الى الله تعالى والفرار اليه من نفسه والعجب يصرف العبد عن الله تعالى والذنب يصرفه اليه والعجب يقبل به على نفسه والذنب يقبل به على ربه والعجب يؤديه الى الاستغناء والذنب يؤديه الى الافتقار وأحب أوصاف العبد الى الله عز وجل افتقاره الى مولاه وأشرف أحوال المؤمن ما رده اليه ويقبل به عليه (لا صغيرة اذا قابلك عدله ولا كبيرة اذا واجهك فضله) اذا ظهرت الصفات العلية بطلت أعمال العاملين فاذا ظهرت صفة العدل على من أبغضه ومقته بطلت

القبول الله له (من عمل يغيب عنك شهوده) بأن تشهد أن الذي وفقك له هو الله تعالى ولولاه ما صدر منك ذلك
ده) أن لا تعتمد عليه في تحصيل أمر من الأمور كالوصول إلى الله تعالى والقرب منه ونيل



حسناته وعادت صغائره كبائر وإذا ظهر وصف الكرم والفضل لمن أحسنه انقلبت سيئاته حسنات وعادت
كبائره صغائر قال يحيى بن معاذ رضي الله تعالى عنه إن وضع عليهم عدله لم تبق لهم حسنة وإن نالهم
فضله لم تبق لهم سيئة ومن دعائه رضي الله تعالى عنه إلهي إن أحسنتني عدلت سيئاتي وإن مقتني لم تقبل
حسناتي وما أحسن قول سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه في دعائه ومناجاته واجعل
سيئاتنا سيئات من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت فالإحسان لا ينفع مع البغض منك
والإساءة لا تضر مع الحب منك وسيأتي من مناجاة المؤلف رحمه الله في مثل هذا المعنى قوله إلهي كم من
طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل أقالني منها فضلك ((لا عمل أرجى للقلوب من عمل
يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده)) في النسخ الموجودة بأيدينا لا عمل أرجى للقلوب ومعناه على
هذا الوجه أن العمل الموصوف بهذه الصفة لا يلتفت إليه القلب ولا يعتبره وفي عدم التفاته واعتباره
سلامته وتحرره من رق رؤيته فيبقى حينئذ مع ربه لا مع عمله ويكون ذلك على حذف مضاف تقديره
لا عمل أرجى لصلاح القلوب أو ما في معناه وسيأتي من كلام المؤلف ما يناسب هذا المعنى وهو قوله قطع
السائرين له والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم إلى آخره والغالب على الظن أن الذي
قصده المؤلف رحمه الله وذكره إنما هو لفظ القبول فغلط الناسخ فقلب بوروده ولا يحتاج في هذا إلى
حذف وتقريره على هذا الوجه أن نقول سلامة العمل من الآفات شرط في قبوله لأن صاحبه متق لله
تعالى وقد قال عز من قائل إنما يتقبل الله من المتقين وإنما يسلم العمل من الآفات بأن يتهم النفس في
القيام بحقه ورؤية تقصيره فيه فيغيب عنه إذ ذاك شهوده ويحتقر عنده وجوده فلا يساكنه ولا يعتمد
عليه وإن لم يكن على هذا الوصف بل كان ناظرا إليه ومستعظما له غائبا عن شهود منة الله تعالى عليه في
توفيقه له أوقعه ذلك في العجب فحبط لذلك عمله وخاب سعيه قال أبو سليمان رضي الله تعالى عنه
ما استحسنت من نفسي عملا فاحتسبته وقال علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه كل شيء من أفعالك إذا
اتصلت به رؤيتك فذلك دليل على أنه لا يقبل منك لأن المقبول مرفوع مغيب عنك وما انقطعت عنه
رؤيتك فذلك دليل على القبول وقد سئل بعض العارفين ما علامة قبول العمل قال نسيانك إياه وانقطاع
نظرك عنه بالكلية بدلالة قوله تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال فعلامة رفع
الحق تعالى ذلك العمل أن لا يبقى عندك منه شيء فإنه إذا بقي في نظرك منه شيء لم يرتفع إليه لبينونة بين
عنديتك وعنديته فينبغي للعبد إذا عمل عملا أن يكون عنده نسيا منسيا بما ذكرناه من اتهام النفس
ورؤية التقصير حتى يحصل له قبوله ((إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا)) الوارد عبارة
عما يرد على القلب من المعارف الربانية واللطائف الروحانية ليطهره بذلك ويزكيه حتى يصلح بذلك
للورود عليه والدخول إلى حضرته لأن الحضرة منزهة عن كل قلب متكدر بالآثار ملوث بأقذار
الأغيار فإذا إنما أورده عليك لتكون به عليه واردا ((أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الأغيار
وليحررك من رق الآثار)) الآثار والأغيار غاصبة ومسترقة لك وذلك لوجود حبك لها وسكونك إليها
واعتمادك عليها فإنما أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد من غصبك وليحررك من ملكية من استرقك
والإشارة إلى هذا المعنى بما ضرب الله تعالى من المثل للكافر في قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء
متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا فمن سلم من يد الأغيار وحرر من رق الآثار
يكون لمولى واحد ليس له سبب ولا شركة وكان سلما لله عز وجل ((أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن
وجودك إلى فضاء شهودك)) سجن وجوده هو شهوده لنفسه ومراعاته لحظه وفضاء شهوده أن

ورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك) أي صفاتك القائمة بك المانعة
مانع للمسجون من الخروج (إلى فضاء شهودك) أي شهودك للمولى المشتمل بالفضاء لعدم تحدده

يحولك عن الرؤية قال بعضهم حبك لنفسك اذا خرجت منها وقعت في راحة الابد ومقتضى هذا التقرير أن الو
وهي الدخول في حضرة الرب ويصح أن يكون المعنى أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا أي مقبلا عليه با
المجاهدات فتشتغل بذلك مع بقائك باوصاف نفسك وشهواتها المقتضية عدم الاخلاص في العبادة فيرد عليك
ويوصل لك الاخلاص فاذا حصل لك ربما تركن اليه وتعتمد عليه في قبول أعمالك ووصولك بها الى حضرة فير
واردا آخر تغيب به عن رؤية نفسك وتشاهد به مولاك بسرك * ثم قال (الانوار) الالهية التي ترد على قلب المريد
غالبا من الاذكار والرياضات (مطايا القلوب) توصلها الى مطلوبها التي هي متوجهة له وهو دخولها حضرة الرب
المطية راكبها الى مطلوبه (والاسرار) أي ومطايا الاسرار أيضا جمع سر وهو باطن القلب عند الصوفية
القلب لانه خلاف اصطلاحهم (النور جند القلب) أي يتوصل به الى ما يقصده ويتوجه اليه وهو حضرة الرب
الى ما يقصده من غلبة عدوه وهذا مستفاد مما قبله وانما أتى به توطئة لقوله  (كما

يغيب عن ذلك بشهوده عظمة الله تعالى وجلاله ورؤية قيام حركاته وسكناته قال أبو القاسم النصراباذي
رضي الله تعالى عنه حبك لنفسك اذا خرجت منها وقعت في راحة الابد وسيأتي من كلام المؤلف في معنى
قوله محبوس بوجودك الكائن في الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته
((الانوار مطايا القلوب والاسرار)) أنوار الايمان واليقين مطايا حاملة الاسرار والقلوب الى حضرة
علام الغيوب وتلك هي الواردات المذكورات ((النور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس فاذا أراد
الله أن ينصر عبده أمده بجنود الانوار وقطع عنه مدد الظلم والاغيار)) نور التوحيد واليقين وظلمة
الشرك والشك جندان للقلب والنفس والحرب بينهما سجال فاذا أراد الله نصرة عبده أمد قلبه بجنوده
وقطع عن نفسه مدد جنودها واذا أراد خذلان عبده فعلى العكس فاذا مال القلب الى العمل بأمر محمود
مؤلم في الحال ملتذ به في المآل ومالت النفس الى العمل بامر مذموم ملتذ به في الحال مؤلم في
المآل . وتنازعا وتقاتلا سارع النور الذي هو من أمر الله تعالى ورحمته الى نصرة القلب وبادرت الظلمة
التي هي من وساوس الشيطان ولمته الى نصرة النفس وقام صف القتال بينهما فان سبقت للعبد من الله
تعالى سابقة السعادة اهتدى القلب بنور الله تعالى واستهان بالعاجلة ورغب في الآجلة وعمل القلب بما
مال اليه وان آلمه في الحال لما يرجوه من التنعم به في المآل وان سبقت له من الله الشقاوة والعياذ بالله
ذهل القلب عن النور وأعمته الظلمة عن منفعة الآجل واغتر بلذة العاجل وعمل بما مالت اليه
نفسه وان آلمه في المآل لما يحصل لها من لذة الحال وعند التقاء الصفين والتحام القتال بين الجندين
لا سبيل للعبد الا فزعه الى الله تعالى ولياذه به وكثرة ذكره وصدق توكله عليه واستعاذته من
الشيطان الرجيم وهذه العبارات الخمس من قوله انما أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا الى هنا
تفنن فيها صاحب الكتاب وكررها بألفاظ مختلفة والمعاني فيها متقاربة وهذه عادته في مواضع كثيرة
من هذا الكتاب رضي الله تعالى عنه ((النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال
والادبار)) هذه ألفاظ مختلفة لمعان متغايرة فالنور يفيد كشف المعاني المغيبات حتى تتضح وتشاهد

الى الشهوة كالفطر وتنازعا وتقاتلا سارع النور الذي هو من الله تعالى ورحمته الى نصرة القلب والظلمة الى نص
الصفين والتحام القتل بين الجندين لا سبيل للعبد الا فزعه الى الله وتوكله عليه وهكذا في كل عمل صالح الى أن
حينئذ حكم النفس ونصير مقهورة مغلوبة * ثم قال (النور) الذي يفيضه الله على قلب المريد (له الكشف) أي
كحسن الطاعة وقبح المعصية (والبصيرة) التي هي ناظرة القلب (لها الحكم) أي ادراك ذلك ومشاهدته فكما لا
للمحسوسات الا بالانوار الظاهرية كسراج وشمس لا يمكن ادراك البصيرة لشئ من المعاني الا بالانوار الباطنية
والادبار) على ما كشف للبصيرة فاذا كشف لها عن حسن الطاعة وقبح المعصية أقبل القلب على الطاعة وأ
عن المعصية فلا تتلبس بها الجوارح هذا ويحتمل أن المعنى أن النور له الكشف عن المغيبات كاسرار القدر و
والبصيرة لها الحكم أي ادراك ذلك ثم هذا الكشف والادراك قد لا يكونان تامين فينبغي للمكاشف أن يتثبت في
ما كشف له فلا يخبر بشئ حتى يستفتي قلبه اما أن يقبل واما أن يدبر ولذا نجد بعض الاولياء يخبر عن أمور لا تقع و

زت منك) أي من حيث صدورها عنك باختيارك وحولك وقوتك فهذا فرح مذموم منهي عنه محبط لها
اررت من الله اليك) أي من حيث شهودها من الله نعمة منه ووصلة فهذا هو الفرح المحمود المطلوب من العبد
ثم استدل على ذلك بقوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) فاعمال تأتي
لى يده اعتماد من الله سبحانه وتعالى فينبغي أن يفرح بها من تلك الحيثية لا من حيثية صدورها منه وفعله لها
سائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم) الظاهرية (وشهود أحوالهم) القلبية لكن السبب في انقطاع
(أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها) وذلك لرؤيتهم نقصها لعدم حضور قلوبهم مع الله حال
ـهم في توبة (٤٤) أعمالهم حقها أو في صفاء أحوال قلوبهم فكان ذلك سببا في البراءة

والبصيرة التي هي ناظر القلب تفيد الحكم وهو صحة ما شاهدته والقلب له الاقبال عملا بمقتضى ما شاهدته البصيرة وله أيضا الادبار تركا للعمل بمقتضى ما شاهدته البصيرة ((لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك وافرح بها لأنها برزت من الله اليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)) . الفرح بالطاعة على وجهين فرح بها من حيث شهودها من الله تعالى نعمة منه ووصلة فهذا هو الفرح المحمود وهو الذي طلب من العبد وذلك هو مقتضى شكرها وفرح بها من حيث ظهورها من العبد باختياره وارادته وحوله وقوته فهذا هو فرح مذموم منهي عنه وهو كفران النعمة وهو من العجب المحبط للعمل فالفرح بها على هذا الوجه فرح بلا شيء وسيأتي في آخر الكتاب أنواع الفرح بالنعم وما يحمد منها وما يذم تامة مستوفاة ((قطع السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها)) لقد أسبغ الله نعمته على الفريقين حيث فعل معهم ذلك لأنه أبقاهم معه ولم يدعهم لسواه والواصلون فعل ذلك بهم طوعا منهم والسالكون فعل ذلك بهم كرها ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها فالواصلون قطعهم عن ذلك الشهود وهم له في حضرة قربه ومن شاهده لم يشهد معه غيره اذ محال أن يراه ويشهد معه سواه والسالكون قطعهم عن ذلك عدم تحققهم بالصدق والبراءة من الدعوى فهم أبدا متهمون لأنفسهم في توفية أعمالهم وتصفية أحوالهم وقال النهرجوري رضي الله تعالى عنه من علامات من تولاه الله في أحواله أن يشهد التقصير في اخلاصه والغفلة في أذكاره والنقصان في صدقه والفتور في مجاهدته وقلة المراعاة في فقره فتكون جميع أحواله عنده غير مرضية ويزداد فقرا الى الله في قصده وسيره حتى يفنى عن كل ما دونه وقال أبو عمرو اسمعيل بن نجيد رضي الله تعالى عنه لا يصفو لأحد قدم في العبودية حتى تكون أفعاله عنده كلها رياء وأحواله كلها عنده دعاوى وقال أبو يزيد رضي الله تعالى عنه لو صفت لي تهليلة واحدة ما باليت بعدها بشيء والى هذا المقام تشير الحكاية التي تروى عن الواسطي رضي الله تعالى عنه وذلك أنه لما دخل نيسابور سأل أصحاب أبي عثمان رضي الله تعالى عنه بماذا كان يأمركم شيخكم فقالوا كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشيها قال الاستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه وانما أراد الواسطي بهذا صيانتهم عن محل الاعجاب لا تعريجا في أوطان التقصير أو تجويز الاخلال بأدب من الآداب وقال رضي الله تعالى عنه ((ما بسقت أغصان ذل الا على بذر طمع)) البسوق الطول يقال بسقت

ت (ما بسقت) يقال بسقت النخلة بسوقا اذا طالت أي النخلة
ى بذر طمع) شبه الذل بشجرة ذات أغصان وفروع استعارة بالكناية والاغصان تخييل باق على حقيقته
ت ترشيح باق على حقيقته أو بمعنى وجدت وحصلت وشبه الطمع بالنواة التي تنشأ عنها الشجرة واضافة بذر
ه أي طمع شبيه بالبذر أي المبذور الذي تنشأ عنه الشجرة ذات الاغصان فكأنه يقول لا تعرض بذر الطمع في
ينشعب أغصانه وفروعه ولو قال ما بسقت شجرة الذل لكان أولى لأن الذي يتصف بالطول وينشأ عن
ـ الاغصان هذه بطريق التبع والطمع من أعظم العيوب القادحة في العبودية بل هو أصل جميع الآفات
اليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم وفي ذلك من

النخلة بسوقا اذا طالت قال الله تعالى والنخل باسقات والاغصان جمع غصن وهو ما تشعب عن سوق الشجر ويجمع أيضا على غصون والبذر الحب الذى يزرع وهذه كلها استعارات مليحة والطمع من أعظم آفات النفوس وعيوبها القادحة فى عبوديتها بل هو أصل جميع الآفات لانه محض تعلق بالناس والتجاء اليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم وفى ذلك من المذلة والمهانة مالا مزيد عليه ولا يحل للمؤمن أن يذل نفسه والطمع مضاد لحقيقة الايمان الذى يقتضى وجود العزة والعزة التى اتصف بها المؤمنون انما تكون برفع هممهم الى مولاهم وطمأنينة قلوبهم اليه وثقتهم به دون من سواه فهذه هى العزة التى منحها الله عبده المؤمن قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وكما أن العزة من صفات المؤمنين كذلك المذلة من أخلاق الكافرين والمنافقين قال الله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين قال أبو بكر الوراق الحكيم رضى الله تعالى عنه لو قيل للطمع من أبوك قال الشك فى المقدور ولو قيل له ما حرفتك قال اكتساب الذل ولو قيل ما غايتك قال الحرمان وقال أبو الحسن الوراق النيسابورى رضى الله تعالى عنه من أشعر فى نفسه محبة شئ من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ومن طمع فى شئ ذل وبذلك هلك وقد قيل فى ذلك (مفرد)

أتطمع فى ليلى وتعلم أنما * تقطع أعناق الرجال المطامع

فالطامع لامحالة فاسد الدين مفلس من أنوار اليقين قال فى التنوير وتفقد وجود الورع من نفسك أكثر مما تتفقد ماسواه وتطهر من الطمع فى الخلق فلو تطهر الطامع فيهم بسبعة أبحر ماطهره الا اليأس منهم ورفع الهمة عنهم قال وقدم على بن أبى طالب رضى الله عنه البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فأقامهم حتى جاء الى الحسن البصرى رضى الله عنه فقال يافتى انى سائلك عن أمر فان أجبتنى عنه أبقيتك والا أقمتك كما أقمت أصحابك وكان قد رأى عليه سمتا وهديا فقال الحسن سل عما شئت قال ماملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك من يتكلم على الناس قال وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول كنت فى ابتداء أمرى بثغر الاسكندرية جئت الى بعض من يعرفنى فاشتريت منه حاجة بنصف درهم ثم قلت فى نفسى لعله لا يأخذه منى فهتف بى هاتف السلامة فى الدين بترك الطمع فى المخلوقين قال وسمعته يقول صاحب الطمع لا يشبع أبدا ألا ترى أن حروفه كلها مجوفة الطاء والميم والعين ثم قال بعد هذا فعليك أيها المريد برفع همتك عن الخلق ولا تذل لهم فقد سبقت قسمته وجودك وتقدم ثبوته ظهورك واسمع ماقاله بعض المشايخ أيها الرجل ماقدر لماضغيك أن يمضغاه فلابد أن يمضغاه فكله ويحك بعز ولا تأكله بذل قلت تقدم الآن من كلامه فى التنوير ذكر الورع فى مقابلة الطمع وكذلك فى جواب الحسن لعلى رضى الله عنهما لما سأله مستخبرا له عن صلاح الدين وفساده فى الكلام الذى حكاه عنهما ولا شك أن الورع الظاهر لعامة الناس وهو ترك الشبهات والتحرج من اقتحام المشكلات لا يقابل الطمع كل المقابلة وقد ذكرنا الطمع ماهو وانما يقابله ورع الخاصة وهو عندهم صحة اليقين وكمال التعلق برب العالمين ووجود السكون اليه وعكوف الهمم عليه وطمأنينة القلب به ولا يكون له ركون الى غيره ولا انتساب الى خلق ولا كون فهذا هو الورع الذى يقابل الطمع المفسد وبه يصلح كل عمل مقرب وحال مسعد كما نبه عليه الحسن رضى الله عنه فى جوابه المذكور قال يحيى بن معاذ رضى الله عنه الورع على وجهين ورع فى الظاهر أن لا يتحرك الا لله وورع فى الباطن وهو أن لا يدخل قلبك الا الله ذكر أن بعضهم كان حريصا على أن يرى أحدا ممن هذه صفته فجعل يجتهد فى طلبه ويحتال على التوصل اليه بأن يأخذ الشئ بعد الشئ من ماله ويقصد به الفقراء والمساكين ويقول لمن يعطيه منهم حين المناولة خذ لالك فكانوا يأخذون ولا يسمع من أحد منهم جوابا مطابقا لما أراده بكلامه الى أن ظفر ذات يوم ببغيته وحصل على مقصوده ومنيته وذلك أنه

قال لأحد هم خذ لأنك تقال له آخذه لا مثلك فإن كان العبد استشراف الى خلق أو سبقية نظر اليوم قبل مجيء الرزق أو بعده فمقتضى هذا الورع والواجب في حق الأدب أن لا يقبل نفسه شيئاً مما يأتيه على هذه الحال عقوبة لنفسه في نظره الى أسبابه كقصة أيوب الجمال مع أحمد بن حنبل رضي الله عنهما وهي معروفة وكما روي عن الشيخ أبي مدين رضي الله عنه أنه أتاه جمال بقمح فأرادت نفسه زوالته بأتري من أين هذا فقال لها أما أعرف من أين هو وباعد قوله وأمر بعض أصحابه أن يدفعه لبعض الفقراء عقوبة لها لكونها رأت الخلق قبل رؤية الحق تعالى وقد قيل أحل الحلال ما لم يخطر لك على بال ولا سألت فيه أحداً من النساء والرجال وقد صرح بهذا المعنى الذي ذكرناه وأوضح الغرض الذي قصدناه شيخ الطريقة وامام أهل الحقيقة من المتأخرين أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه فانه قال اعلم أن الورع أن لا يكون بينك وبين الخلق نسبة في أخذ أو عطاء أو قبول أو رد وأن يكون السبق لله تعالى وهو أن يأتي اليه طاهراً من جميع الأشياء والعلم والعمل كما قال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقال أيضاً الورع أن لا يخطر الرزق بالبال ولا يكون بينه وبينه نسبة لا في التحصيل ولا بعد المباشرة لأنه لا يدري أيأكله أم لا وقال أيضاً الورع أن لا تتحرك ولا تسكن الا وترى الله في الحركة والسكون واذا رأى الله ذهبت الحركة والسكون وبقي مع الله والحركة طرف لما فيها كما قال بعضهم ما رأيت شيئاً الا رأيت الله فيه واذا رأى الله ذهبت الأشياء وقال أيضاً أجمع العلماء على أن الحلال المطلق ما أخذ من يد الله بسقوط الوسائط وهذا مقام التوكل ولهذا قال بعضهم الحلال هو الذي لا ينسى الله فيه الى غير هذا من العبارات التي تعبر الى هذا المعنى وقال بعض هذه الطائفة العبيد كلهم يأكلون أرزاقهم ثم يفترقون في المشاهدات فمنهم من يأكل رزقه بذل ومنهم من يأكل رزقه بامتهان ومنهم من يأكل رزقه بانتظار ومنهم من يأكل رزقه بعز بلا مهنة ولا انتظار ولا ذلة فأما الذين يأكلون أرزاقهم بذل فالسؤال يشهدون أيدي الخلق فيذلون لهم وأما الذين يأكلون أرزاقهم بامتهان فالصناع يأكل أحدهم رزقه بمهنة وكد وأما الذين يأكلون أرزاقهم بانتظار فالتجار ينتظر أحدهم نفاق سلعته فهو متعذب القلب معذب بانتظاره وأما الذين يأكلون أرزاقهم بعز من غير مهنة ولا انتظار ولا ذل فالصوفية يشهدون العزيز فيأخذون قسمتهم من يده بعزة قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه ليس مع الايمان أسباب انما الأسباب في الاسلام قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه معناه ليس في حقيقة الايمان رؤية الأسباب والسكون اليها انما رؤيتها والطمع في الخلق يوجد في مقام الاسلام وقد عقد المؤلف رحمه الله تعالى في لطائف المنن فصلاً في هذا المعنى وجعله لجميع لطائف الآداب الدينية أصلاً ومبنى ورأينا نقله في هذا الموضع من صواب العمل المتكفل ان شاء الله بنجاح الأمل قال رضي الله عنه اعلم رحمك الله أن ورع الخصوص لا يفهمه الا قليل فان من جملة ورعهم تورعهم عن أن يسكنوا لغيره أو يميلوا بالحب لغيره أو تمتد أطماعهم الى غير فضله وخيره ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع الوسائط والأسباب وخلع الأنداد والأرباب ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد على الطاعات والسكون الى أنوار التجليات ومن ورعهم ورعهم عن أن تفتنهم الدنيا أو تردهم الآخرة تورعوا عن الدنيا وفاء وعن الوقوف مع الآخرة صفاء قال الشيخ عثمان بن عاشوراء خرجت من بغداد أريد الموصل فأنا أسير واذا أنا بالدنيا قد عرضت علي بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها وزينتها ومشتهياتها فأعرضت عنها فعرضت علي الجنة بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها فلم أشتغل بها فقيل لي يا عثمان لو وقفت مع الأولى لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فها نحن لك وقسطك من الدارين يأتيك وقال الشيخ عبد الرحمن المغربي وكان مقيماً بشرق الاسكندرية عدة سنة من السنين فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع الى الاسكندرية فاذا على يقول لي المثنى العام القابل عندنا فقلت في

نفسي اذا كنت العام القابل ههنا فلا أعود الى الاسكندرية فخار لى الذهاب الى اليمن فأتيت الى عدن فأنا يوما على ساحلها واذا بالتجار قد أخرجوا بضائعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا رجل فرش سجادته على البحر ومشى على الماء فقلت في نفسي لم أصلح للدنيا ولا للآخرة فاذا على يقول لى من لم يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لنا وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله تعالى عنه الورع نعم الطريق لمن كمل ميراثه وأجل ثوابه فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم في عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون الا بالله ولله من حيث يعلمون هجم بهم العلم على حقيقة الامر فهم مجموعون في عين الجمع لا يتفرقون فيما هو أعلى ولا فيما هو أدنى وأما أدنى الادنى فالله يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا أو مصروف بدعوى وميراثه التعزز لخلقه والاستكبار على مثله والدلالة على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك والاكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزدد بعلمه وعمله احتقار النفسه وافتقار الربه وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله انه هو السميع العليم قال فانظر فهمك الله سبيل أوليائه ومن علينا بمتابعة أحبائه هذا الورع الذى ذكره الشيخ رضى الله عنه هل كان يصل فهمك الى مثل هذا النوع من الورع ألا ترى قوله فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهذا هو ورع الابدال والصديقين لا ورع المنقطعين الذى نشأ عن سوء الظن وغلبة الوهم انتهى وانما أوردنا هذه المعانى ههنا تتميما للفائدة المتعلقة بكلام صاحب التنوير من كون الورع مقابلا للطمع وسيأتى مزيد بيان فيها فى موضع أنسب من هذا عند قوله لا تمدن يديك الى الاخذ من الخلائق الى آخره فانظره فيه ((ماقادك شئ مثل الوهم)) الوهم أمر عدمى وهو ضد الحقيقة الوجودية والنفس الناقصة انقيادها الى الامور الوهمية الباطلة أشد من انقيادها الى الحقائق الثابتة لوجود المناسبة بينهما والطمع فى الناس انقياد الى الاوهام الباطلة لان الطمع تصديق الظن الكاذب والطمع فيهم طمع فى غير مطمع وأرباب الحقائق بمعزل عن هذا فلا تتعلق هممهم الا بالله ولا يتوكلون الا عليه ولا يثقون الا به قد سقط اعتبار الاوهام والخيالات التى هى متعلقة بالاغيار عن قلوبهم فزال عنهم الطمع فاتصفوا بصفة القناعة والورع فكانت لهم الحياة الطيبة والعيشة الراضية والقناعة مقام عظيم من مقامات اليقين وهى من بدايات أحوال الراضين قال بعض العارفين لا يكون العبد قانعا حتى لو جاء الى باب منزله جميع ما رغب فيه أهل الدنيا من الاتساع والنعمة فعرض عليه لم ينظر الى ذلك ولم يفتح بابه قناعة منه بحاله وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى معنى قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة قال هى القناعة ((أنت حر مما أنت عنه آيس وعبد لما أنت له طامع)) الطمع فى الشئ دليل على الحب له وفرط الاحتياج الى نيله وذلك عبودية له كما أن اليأس من الشئ دليل على فراغ القلب منه وغناه عنه وذلك حرية منه فالطامع عبد واليائس حر ولهذا قيل

العبد حر ما قنع * والحر عبد ما طمع

فاقنع ولا تطمع فما * شئ يشين سوى الطمع

وقيل لولا الاطماع الكاذبة لما استعبد الاحرار بكل شئ لا خطر له وقيل ان العقاب يطير فى فضاء عزه بحيث لا يرتقى طرف الى مطاره ولا تسمو همة الى الوصول اليه فيرى قطعة لحم معلقة على شبكة فينزله الطمع من مطاره فيعلق بالشبكة بجناحه فيصيده صبى يلعب به وقيل ان فتحا الموصلى رضى الله عنه

كان قائدا واستدل على من تابع الشهوات كيف صفته وكان بقربه صبيان مع أحدهما خبز بلا أدم ومع الآخر خبز مع كامخ فقال الذي لم يكن معه كامخ لصاحبه أطعمني من الكامخ فقال له بشرط أن تكون كلبي فقال نعم فجعل في رقبته خيطا وجعل يجره كانقياد الكلب فقال فهم للسائل أما انه لو رضي بخبزه ولم يطمع في كامخ صاحبه لم يصر كلبا لصاحبه وحكي عن بعضهم أنه دخل على تلميذ له فقدم التلميذ اليه خبزا قفارا ولم يكن له أدم فأخذ يتمنى في قلبه ان ليت كان له أدم يقدمه الى أستاذه فقام الاستاذ وقال تعال معي فجاء الى باب السجن فرأى الناس يضرب واحد ويقطع آخر ويعذب كل واحد بأنواع العذاب فقال الاستاذ للتلميذ ترى هؤلاء هم الذين لم يصبروا على الخبز القفار وقيل ان رجلا أخرج من السجن ورأى رجله قيد فسأل الناس فقال لانسان أعطى كسرة فقال لو قنعت بالكسيرة لما وضع القيد في رجلك ورأى رجل رجلا من الحكماء يأكل ما تساقط من البقل على رأس الماء فقال لو خدمت السلطان لم تحتج الى أكل هذا فقال الحكيم وأنت لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقد أردت أن أذكر هنا حكاية مناسبة لما نحن فيه لتعرف بها كيف تكون الهمة السنية والآداب المرضية في أخذ البلاغ من الدنيا والقناعة باليسير من الاشياء ورؤية منة الله تعالى في تيسير القليل والشكر له على ذلك قال بعضهم خرجنا من المدينة حجاجا فلما كنا بالزاوية رأينا وقفت بها رجل عليه ثياب رثة وله منظر وهيئة وصورة حسنة ومروءة فقال من يعين شاذا من يعني سائقا فقلت دونك هذه القربة فأخذها وانطلق ولم يلبث الا يسيرا حتى أقبل وقد امتلأت أثوابه طينا وأثرت القربة في كتفيه فوضعها وهو كالمسرور الضاحك ثم قال ألكم غيرها قلنا لا وأطعمناه قرصا باردا فأخذه وحمد الله سبحانه وشكره كثيرا ثم اعتزل وقعد يأكل أكل جائع فأدركتني عليه الشفقة فقمت اليه بطعام طيب كان معنا وأكثرت له منه فقلت قد علمت أنه لم يقع منك القرص بموقع فدونك هذا الطعام فطرق وجهي وتبسم وقال يا عبد الله انما هي فورة جوع فلا أبالي بأي شيء رددتها عني فرجعت عنه فقال لي رجل الى جنبي أتعرفه قلت لا قال انه رجل من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب هذا من ولد سليمان بن أبي جعفر المنصور كان يسكن البصرة فتاب فخرج منها ففقدها وعرف له أثر فأعجبني قوله ثم اجتمعت به وآنسته وقلت له يا فتى أنا رجل من اخوانك وقد بلغني موضعك فأحببت الاتصال بك فهل لك أن تعاد لي فان معي فضلا من راحلة جرابي خيرا وقال لو أردت هذا الكان لي معدا ثم أنس الي وجعل يحدثني فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وتجبر ومدح واني أمرت خادما لي أن يحشو لي فراشا من حرير ومخدة بورد نثير ففعلت فبينما أنا نائم اذا بقمع ورد قد غفلت عنه الخادمة فقمت اليها فأوجعتها ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج القمع من المخدة فأتاني آت في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال لي أفق من غشيتك وأبصر من حيرتك ثم أنشأ يقول

يا خدّ انك ان توسد لينا * وسدت بعد الموت صم الجندل

وامهد لنفسك صالحا تسعد به * فلتندمن غدا اذا لم تفعل

قال فانتبهت فزعا فخرجت من ساعتي الى ربي هاربا بعد اخبري قال الراوي فلما قضى حديثه به فتملأ أعجبني ومضى (من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان) النفوس الكريمة تقبل على الله تعالى بملاطفات احسانه وموالاة فضله وامتنانه والنفوس اللئيمة لا تنقاد الا بسلاسل الامتحان ووقوع المصائب في الاموال والابدان والقود بالسلاسل استعارة حسنة قال سيدي أبو مدين رضي الله عنه سنة الله عز وجل استدعاء العباد لعبادته بسعة الارزاق ودوام المعافاة ليرجعوا اليه بنعمته فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لان مراده عز وجل رجوع العبد اليه طوعا أو كرها (من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد

قيدها بعقالها) شكر النعم موجب لبقائها والزيادة منها وكفرانها وعدم شكرها موجب لزوالها وانفصالها قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أي اذا غيروا ما بأنفسهم من الطاعات وهي شكر النعم غير الله تعالى ما منه اليهم من الاحسان والكرم واجتمعت حكماء العرب والعجم على هذه اللفظة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد للموجود وصيد للمفقود وكان يقال النعم اذا روعيت بالشكر فهي أطواق واذا روعيت بالكفر فهي أغلال والشكر على ثلاثة أوجه شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بسائر الجوارح فشكر القلب أن يعلم أن النعم كلها من الله تعالى قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وشكر اللسان الثناء على الله تعالى وكثرة الحمد والمدح له ويدخل فيه التحدث بالنعم واظهارها ونشرها قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه تذكروا النعم فان تذكرها شكر ومن شكر اللسان ايضا شكر الوسائط بالثناء عليهم والدعاء لهم وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكر الناس لله أشكرهم للناس وسيأتي الكلام على هذا المعنى في آخر الكتاب ان شاء الله تعالى عند كلام المؤلف عليه وشكر سائر الجوارح أن يعمل بها العمل الصالح قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا فجعل العمل شكرا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام حتى انتفخت قدماه فقيل له يا رسول الله أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا وسأل رجل أبا حازم رضي الله عنه فقال له ما شكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا اعلنته واذا رأيت بهما شرا سترته قال فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا وعيته واذا سمعت بهما شرا دفنته قال فما شكر اليدين قال لا تأخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حقا هو لله فيهما قال فما شكر البطن قال أن يكون أسفله صبرا وأعلاه علما قال فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين قال فما شكر الرجلين قال ان رأيت شيأ غبطته استعملتهما فيه وان رأيت شيأ مقته كففتهما عن عمله وأنت شاكر لله تعالى فأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فأخذه بطرفه ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر وأجمع العبارات للشكر قول من قال الشكر معرفة بالجنان وذكر باللسان وعمل بالاركان والقدر اللازم من شكر النعم ما قاله الجنيد رضي الله عنه حين سأله السري رضي الله عنه قال الجنيد رضي الله عنه كنت بين يدي السري رضي الله عنه وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت أن لا يعصى الله بنعمه فقال يوشك أن يكون حظك من الله لسانك فلا أزال أبكي على هذه الكلمة (خف من وجود احسانه اليك ودوام اساءتك معه أن يكون ذلك استدراجا لك سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) الخوف من الاستدراج بالنعم من صفات المؤمنين وعدم الخوف منه مع الدوام على الاساءة من صفات الكافرين يقال من أمارات الاستدراج ركوب السيئة والاغترار بزمن المهلة وحمل تأخير العقوبة على استحقاق الوصلة وهذا من المكر الخفي قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون أي لا يشعرون بذلك وهو أن يلقي في أوهامهم أنهم على شيء وليسوا كذلك يستدرجهم في ذلك شيأ شيأ حتى يأخذهم بغتة كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به اشارة الى مخالفتهم وعصيانهم فتحنا عليهم أبواب كل شيء أي فتحنا عليهم أسباب العافية وأبواب الرفاهية حتى اذا فرحوا بما أوتوا من الحظوظ الدنيوية ولم يشكروا عليها


عليها فاذا ركنوا الى النعم وحجبوا عن المنعم أخذوا وقيل كلما أحدث

ى الادب) امامع الله تعالى كالاعتراض عليه وتعاطى التدبير معه والتصرف بأحكامه المنزلة له فى نفسه أو غيره
ى الى الخلق أو مع المشايخ كالاعتراض عليهم وعدم قبول اشاراتهم فيما يشيرون به عليه فقد قالوا عقوق
الوالدين يمحى وقال الاستاذ لم فانه لا يفلح وقال القشيرى من صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض
عليه التوبة وان بقى من أهل السلوك فاصدا لم يصل الى مقصوده فليعلم أن موجب حجبه اعتراض خامر قلبه على
فانه فات الشيوخ عزلة الفقراء المريدين اهـ وامامع بعض الناس بالاعتراض عليهم

رجوعهم عنها الينا أخذناهم بغتة أى بغتة فاذا هم مبلسون أى آيسون قانطون من الرحمة وقال
سهل بن عبد الله رضى الله عنه فى قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون نمدهم بالنعم وننسيهم
الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم أخذوا وقال ابن عطاء الله كلما أحدثوا خطيئة
جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة (من جهل المريد أن يسيء الأدب فتؤخر
العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الامداد وأوجب الابعاد فقد يقطع المدد عنه من حيث
لا يشعر ولو لم يكن الا منع المزيد وقد يقام مقام البعد وهو لا يدرى ولو لم يكن الا أن يخليك وما تريد)
هذا نوع من الاستدراج الذى تقدم ذكره وسوء أدب المريد موجب لعقوبته ولكن العقوبات مختلفة
فمنها معجلة ومنها مؤجلة ومنها جلية ومنها خفية فالعقوبة الجلية العقوبة بالعذاب والعقوبة الخفية العقوبة
بوجود الحجاب والعقوبة بالعذاب لأهل الخطايا والذنوب والعقوبة بالحجاب لأهل اساءة الادب بين يدى
علام الغيوب وقد تكون العقوبة الخفية والمؤجلة أشد على المريد من العقوبة الجلية والمعجلة ومثال
العقوبة الخفية ما ذكره من قطع المدد عنه واقامته مقام البعد منه وهذا هو مبدأ وقوع الحجاب الذى
ذكرناه فاذا ابتلى به المريد ولم تتداركه رحمة من الله تعالى فى الحال العتيد كان ذلك موجبا لسقوطه من
عين الله ووقوع الحجاب على قلبه وتبدل الانس بالوحشة وانتساخ الضياء بالظلمة ولم يمكنه بعد ذلك
معاودة الحال الاولى لانه اذ ذاك تنقطع عنه الامدادات المتصلة والواردات المتواصلة فتنكسف
عنه حينئذ شمس العرفان وتنزع عنه الكشوفات والبيان وهذه جنود الله تعالى فى قلب العبد فاذا
فقد النصرة من الله تعالى بذلك وقع فى الخذلان واستحوذ عليه الشيطان فأنساه الذكر وحان
منه سبيل المكر ورجع الى متابعة هوى نفسه الامارة وخرج من دائرة الصفوة المختارة نعوذ بالله
من سوء القضاء والقدر وعدم التوفيق الى مراعاة أوائل الامور وما احتج به المريد لنفسه من الكلام
الذى ذكره المؤلف رحمه الله يقتضى توجه هذه العقوبة اليه ضربة لازب لأن قوله لو كان هذا سوء
أدب الى آخره دليل على رضاه بحاله واستحسانه لأعماله وهذا هو الموجب له عدم المزيد الذى اقتضاه
قطع المدد عنه ولو كان المدد متواصلا اليه لازداد عندما يقع منه سوء الادب توا ضعا لربه وافتقارا اليه
وخوفا من مكره ولم يستحسن حال نفسه ولم يرضها قال سيدى أبو العباس رضى الله عنه كل سوء أدب
يثمر لك أدبا مع الله تعالى فهو أدب وهو الذى أوجب له أيضا التخلية بينه وبين ما يريد الذى اقتضى له
اقامته مقام البعد اذ لو كان مقاما فى القرب لبعد عن رؤية نفسه وكان متهما لها فى ارادتها وكان واقفا مع
مراد الله به فان أقدم على أمر بارادته وشهوته تداركه الله تعالى بالعصمة وعوق عليه ما أراده وسد عليه
مسالكه ولم يخل وما أراد من ذلك ويقال من علامة التوفيق ثلاث دخول أعمال البر عليك من غير
قصد منك اليها وصرف المعاصى عنك مع السعى فيها وفتح باب اللجا والافتقار الى الله تعالى فى كل الاحوال

دلكان ذلك كافيا فى قطع الامداد وقطعه مبدأ ومن
ولم تتداركه رحمة الله تعالى فى الحال كان ذلك موجبا لسقوطه من عين الله ووقوع الحجاب على قلبه وتبدل
م مقام) أى فى مقام (البعد وهو لا يدرى ولو لم يكن) من اقامته مقام البعد (الا أن يخليك وما تريد) بان يسلط
ـه عليها لكان ذلك كافيا فى البعد وان ذلك مبدأ الحجاب ومانع للقلب عن الدخول فى حضرة الرب سبحانه ومن
ن ما ذكره بقوله

ومن علامة الخذلان ثلاث تعسر الطاعات عليك مع السعي فيها ودخول المعاصي عليك مع الهرب منها وغلق باب الالتجاء الى الله تعالى وترك الدعاء في الاحوال والادب له موقع عظيم في التصوف ولذلك قال أبو حفص رضي الله عنه التصوف كله أدب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الاوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يظن القبول وقال أبو عبد الله بن خفيف قال لي رويم يا بني اجعل عملك ملحا وأدبك دقيقا وقال بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا فما أساء أحد الادب ظاهرا الا عوقب ظاهرا وما أساء أحد الادب باطنا الا عوقب باطنا وقال ذو النون المصري رضي الله عنه اذا خرج المريد عن حد الادب فانه يرجع من حيث جاء وقال الثوري رضي الله عنه من لم يتأدب للوقت فوقته مقت وقال ابن المبارك رضي الله عنه نحن الى قليل من الادب أحوج منا الى كثير من العلم وقيل لبعضهم يا سيئ الادب فقال لست بسيئ الادب فقيل له ومن أدبك فقال الصوفية والآداب اللازمة للمريد عامة في ظاهره وباطنه وآداب الظاهر تبع لآداب الباطن وآداب الباطن هي التحلي بمحاسن الاخلاق كلها وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أدبني ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الاخلاق فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ولا يحصل لك ذلك بعد توفيق الله تعالى وتأييده الا بالرياضة والمجاهدة قال ابن عطاء الله رضي الله عنه النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مأمور بملازمة الادب فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة فمن أطلق عنانها فهو شريكها في فسادها ويختلف ما ذكرناه من المجاهدة والرياضة باختلاف الاشخاص فرب شخص زكي الفطرة كريم السجية سهل المقادة لا يحتاج في ذلك الى كثير معاناة ولا تعب ورب شخص يكون حاله على عكس هذا فلا جرم يحتاج الى زيادة تعب وقوة ممارسة وشدة مجاهدة لرداءة فطرته ونقصان غريزته وبين هذين درجات لا تحصى ولهذا كله يحتاج المريد الى صحبة المشايخ والتأدب بآدابهم واتباع أوامرهم ونواهيهم لانه ان لم تجر أفعاله على مراد غيره لا يصح له الانتقال من الهوى ولو بلغ في الرياضة والمجاهدة كل مبلغ وذلك لكثافة حجاب نفسه وقد سئل الدقاق رضي الله عنه عماذا يقوم الرجل اعوجاجه فقال بالتأدب بامام فان من لم يتأدب بامام بقي بطالا فاذا دام العبد على ذلك تزكت نفسه وطهر قلبه وتهذبت أخلاقه وظهر على ظاهره أنوار ذلك فتكون حركات ظاهره وباطنه مزمومة بزمام الادب حتى تنتهي به الى المحافظة على اجتناب أمور غير مستنكرة في ظاهر العلم ويكون ترك محافظته عليها ذنبا من مثله وقد يعاتب عليه وقد يعاقب من أجله قال السري رضي الله عنه صليت العشاء واشتغلت بوردي ليلة من الليالي ومددت رجلي في المحراب فنوديت يا سري هكذا تجالس الملوك فضممت رجلي ثم قلت وعزتك وجلالك لا مددت رجلي أبدا قال الجنيد رضي الله عنه فبقي ستين سنة ما مد رجله ليلا ولا نهارا وقال أبو القاسم القشيري رضي الله عنه كان الاستاذ أبو علي الدقاق رضي الله تعالى عنه لا يستند الى شيء فكان يوما في مجمع فاردت ان أضع وسادة خلف ظهره لاني رأيته غير مستند فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت أنه توقى الوسادة لانه لم يكن عليها خرقة ولا سجادة فقال لا أريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فعلمت أنه لا يستند الى شيء أبدا وقال أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه كنت جالسا في مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أصلي عليها وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة فرأيت فقيرا عليه أثر النسك يسأل الناس فقلت في نفسي لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان أجمل به فلما انصرفت الى منزلي وكان لي شيء من الورد بالليل من البكاء والصلاة وغير ذلك فثقل على جميع أورادي فسهرت وأنا قاعد فغلبتني عيني فرأيت ذلك الفقير جاؤا به على خوان ممدود وقالوا لي كل لحمه فقد اغتبته وكشف لي عن الحال فقلت ما اغتبته وانما قلت في نفسي شيأ فقيل لي ما أنت ممن يرضى منك بمثله اذهب واستحله فأصبحت ولم أزل أتردد حتى رأيته في موضع يلتقط من الماء عند تزداد

الماء أوراقا من البقل مما تساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال أتعرفني يا أبا القاسم فقلت لا فقال غفر
الله لك الى غير ذلك من آدابهم رضي الله عنهم أجمعين والظاهر أن مراد المؤلف رحمه الله بإساءة
الادب ما كان فيه نوع من الرعونة واظهار الدعوى واتصاف العبد بصفة المولى واسقاطه وادلاله في
موقف الهيبة والحياء وما أشبه ذلك مما يخاف على صاحبه وقوع الاستدراج والمكر به ولكن ينبغي
للمريد أن لا يتهاون بشيء من الآداب ولا يستحقرها فان التهاون بذلك والاستحقار له من علامة الجهل
وعدم المعرفة بالله تعالى وهذا أقبح أنواع سوء الادب وان وقعت منه اساءة أدب فليكن خائفا من ذلك
مستعظما للامر فيه وليبادر الى التوبة والاعتذار والتنصل منها خشية أن توجه اليه العقوبة من حيث
لا يشعر وآكد ما ينبغي أن يجتنبه المريد من مقتضيات هذه الجملة الى ما ظهر لنا أنها مراد المؤلف رحمه
الله تعالى من أنواع سوء الادب أن يوطن خاطره على شيء من الاعتراض على الله تعالى وتعاطي التدبير
معه والتبرم بأحكامه المؤلمة في نفسه أو غيره وأن يسرح لسانه بالشكوى الى الخلق والعيب لما لا يوافق هواه
أو نقص في نظره مما يراه من الخلق فان خطر بباله أو جرى على لسانه شيء من ذلك فليبادر الى الاستغفار
منه والتفصي عنه وليعلم أن تشاغله بذلك من أعظم الحسنات وأفضل القربات وذلك يدخله في مقامات
الرضا ويوصله الى غاية النعيم والعطا كما أن توطينه عليه وتهاونه به من أعظم خطاياه وأكبر ذنوبه
ويؤديه ذلك الى سخط الاقدار والوقوع في دركات النار نعوذ بالله من ذلك * ضاع لبعض الصوفية ولد
صغير فلم يعرف له خبر ثلاثة أيام فقيل له لو سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى
أشد علي من ذهاب ولدي وقال بعض السادة أذنبت ذنبا فأنا أبكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد
في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما ذلك الذنب قال قلت مرة لشيء ليته كان وقال بعض
السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان أحب الي من أن أقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه وقال بعضهم
مرض الجنيد رضي الله عنه فقال اللهم عافني فسمع هاتفا يقول مالك والدخول بيني وبين ملكي ومن
مقتضياتها أيضا أن يعلق بقلبه شيء من الاعتراض على المشايخ والاولياء وأن يترك تعظيمهم واحترامهم
وأن لا يقبل اشارتهم فيما يشيرون به عليه فقد قالوا عقوق الاستاذين لا توبة له وقالوا أيضا من قال
لاستاذه لم لا يفلح وقال أبو القاسم القشيري رضي الله عنه من صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه
بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة وان بقي من أهل السلوك قاصدا لم يصل الى مقصوده
فليعلم أن موجبه اعتراض خامر قلبه على بعض شيوخه في بعض أوقاته فان الشيوخ بمنزلة السفراء
للمريدين قال وفي الخبر أن الشيخ في أهله كالنبي في أمته وكذلك من سوء أدبه تصديه للتعليم والهداية
وتصديه للامر والولاية وهمته للاستتباع والرياسة ورغبته للجاه والحشمة والقبول بين الناس
واستدعاؤه ممن يراه أن يكرمه ويعظمه ويتبرك به ويقبل يده ويسارع في قضاء حوائجه وذلك من أضر الاشياء
به وهو نتيجة استحسانه لما هو عليه وعدم تفقده لعيوبه واتهام نفسه في كل حال من أحواله وذلك مذموم
منه وقال أبو عثمان رضي الله عنه لا يرى أحد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه شيئا وانما يرى عيوب
نفسه من يتهمها في جميع الاحوال وقال أبو عبد الله المغربي رضي الله عنه من استحسن شيئا من أحواله
في حال ارادته فسدت عليه ارادته الا أن يرجع الى ابتدائه ويروض نفسه ثانيا وقال أبو عبد الرحمن
السلمي رضي الله عنه سمعت جدي يقول آفة المريد رضاه من نفسه بما هو فيه فان استشعر المريد
من نفسه شيئا مما ذكرناه فليبادر الى قطع مواده واستئصال عروقه من قبل أن يستحكم ذلك فيه
ويرسخ فيه فبدايات الامور هي التي ينبغي أن تراعى كثيرا * ومن أنواع سوء أدب المريد المفضي
الى عطبه نزوله عن مقتضيات الحقيقة الى رخص الشريعة فقد عدوا هذا من الجنايات الباطنية
الموجبة لانحطاط الرتبة والبعد عن محل القرب ولهذا قالوا اذا رأيت المريد انحط عن رتبة الحقيقة

الى رخص الشريعة فاعلم أنه قد نقض عهده مع الله وفسخ عقده بينه وبين الله وقال ابن خفيف رضى الله عنه الارادة استدامة الكد وترك الراحة وليس شئ أضر على المريدين من مسامحة النفس فى قبول الرخص والتأويلات وقال يوسف بن الحسين رضى الله عنه اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم أنه لا يجئ منه شئ وقال أبو اسحق ابراهيم بن شيبان من أراد أن يتعطل ويتبطل فليلزم الرخص ويعنى بالرخصة ههنا ما كان مضادا لحال المريد من تناول الشهوات واللذات والميل الى المألوفات والمعتادات والركون الى الدعة والراحات وارتكاب الشبهات والتأويلات فان حال المريد يقتضى مباينته لهذا كله وان كان بعض ذلك مباحا فى رخص الشرع لعامة الناس وكان ابراهيم الخواص رضى الله عنه يقول ألا ان هذه الشهوات التى أظلمت قلوب المتعبدين بعد صفاء نورها وفترت أبدانهم بعد اجتهادها وحجبت قلوبهم بعد قربها وأطالت آمالهم بعد قصرها وآنسوا بالمخلوقين بعد الهرب منهم وتوطؤا الفرش بعد الترك فسقتهم الدنيا بكاس سمها فنظروا الى ظاهرها بعد باطنها فناموا بعد السهر وشبعوا بعد الجوع واكتسوا بعد العرى * وقال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام انى انما خلقت الشهوات لضعفاء خلقى فاياك أن تعلق قلبك منها بشئ فأيسر ما أعاقبك به أن أنسخ حلاوة حبى من قلبك وفى أخبار داود عليه السلام ياداود تمسك بكلامى وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فأحجب محبتى عنك اقطع شهوتك لى فانى انما أبحت الشهوات لضعفة خلقى ما بال الاقوياء أن ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتى فانى لم أرض الدنيا لحبيبى ونزهته عنها ياداود لا تجعل بينى وبينك عالما مسكران بحبها يحجبك بسكره عن محبتى أولئك قطاع الطريق عن عبادى المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم ياداود تحبب الى بمعاداة نفسك وامنعها الشهوات أنظر اليك وترى الحجب بينى وبينك مرفوعة وقال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات أولاها أن يغلق باب العز ويفتح باب الذل والثانية أن يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة والثالثة أن يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد والرابعة أن يغلق باب النوم ويفتح باب السهر والخامسة أن يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر والسادسة أن يغلق باب الامل ويفتح باب الاستعداد للموت وقال ابراهيم الخواص رضى الله عنه كنت فى جبل لبنان فرأيت رمانا فاشتهيته فدنوت منه فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتنى فقال من عرف الله تعالى لم يخف عليه شئ فقلت أرى لك حالا مع الله تعالى فلوسألته أن يحميك ويقيك من هذه الزنابير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلوسألته أن يحميك ويقيك من شهوة الرمان فان لذع الرمان يجد الانسان ألمه فى الآخرة ولذع الزنابير يجد ألمه فى الدنيا وقال السرى رضى الله عنه ان نفسى تطالبنى منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة أن أغمس جزرة فى دبس فما أطعمتها فلما كان ترك الشهوات والتنعمات من شأن المريد ومن مقتضى حاله لزمه الوفاء به وكان عمله على خلافه نقضا وفسخا كما تقدم . قال جعفر بن نصير رضى الله عنه دفع الى الجنيد درهما وقال اشتر به التين الوزيرى فاشتريته فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها فى فيه ثم ألقاها وبكى وقال احمله فقلت له فى ذلك فقال هتف بى هاتف أما تستحى شهوة تركتها من أجلى ثم تعود اليها وعن شقيق بن ابراهيم قال لقيت ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه بمكة فى سوق الليل عند مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ناحية من الطريق يبكى فعدلت اليه وجلست عنده وقلت أى شئ هذا البكاء يا أبا اسحق فقال خير وعافية فعاودته مرة واثنتين وثلاثة فلما أكثرت عليه قال ياشقيق استر على فقلت يا أخى قل ما شئت قال لى اشتهت نفسى سكباجا فمنعتها جهدى فلما كان البارحة

كنت جالساً وقد غلبني النعاس فإذا أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر مملوءة بحار ورائحة كباج
قال فاجتمعت همتي عليه فقرب مني وقال يا ابراهيم كل فقلت ما آكل شيئاً قد تركته لله تعالى فقال لي فإذا
أطعمك الله تأكل فما كان لي جواب الا أن بكيت فقال لي رحمك الله كل قال ابراهيم فقلت له قد أمرنا
أن لا نطرح في وعائنا الا من حيث نعلم فقال لي كل رحمك الله فإنما أعطيته وقد قيل لي يا خضر اذهب
بهذا وأطعم نفس ابراهيم بن أدهم فقد رحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من منعها اعلم يا ابراهيم
اني سمعت الملائكة يقولون من أعطى ولم يأخذ طلب فلم يعط فقلت إن كان كذلك فها أنا بين يديك
لأجل العقد مع الله عز وجل ثم التفت فإذا أنا بفتى آخر ناوله شيئاً وقال له يا خضر لقمه أنت فلم يزل
يلقمني حتى شبعت فانتبهت ووجدت حلاوته في فمي قال شقيق رضي الله عنه فقلت أرني كفك فأخذت كفه
بكفي فقبلتها وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات اذا صححوا المنع يا من يقدح في الضمير اليقين يا من يشفي
قلوبهم من محبته أترى لشقيق عندك حالاً ثم رفعت يد ابراهيم الى السماء فقلت الهي بقدر هذه الكف
وبقدر صاحبها وبالجود الذي وجد منك جد على عبدك الفقير بفضلك واحسانك ورحمتك وإن لم يستحق
ذلك قال فقام ابراهيم رضي الله عنه ومشى حتى دخل المسجد الحرام وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن
ابن زيد رضي الله عنهما ان فلاناً يصف من قلبه منزلة ما أعرفها قال لأنك تأكل مع خبزك تمراً
وهو لا يزيد على الخبز شيئاً فقلت ان تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فأخذ يبكي فقال له
بعض أصحابه لا أبكى الله عينيك أعلى التمر تبكي فقال عبد الواحد دعه فإن نفسه قد عرفت صدق
عزمه في الترك هو اذا ترك شيئاً لم يعاوده أبداً وقال أحمد بن أبي الحواري اشتهى أبو سليمان الداراني
رضي الله عنه رغيفاً حاراً بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف وقال عجلت لي شهوتي بعد
إطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فاقبلني قال أحمد فما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى
وقال أبو بكر بن الجلاء رضي الله عنه أعرف انساناً تقول له نفسه أنا أصبر لك على طي عشرة أيام
وأطعمني بعد ذلك شهوة أشتهيها فيقول لها لا أريد أن أطوي عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة
وقال أبو سليمان رضي الله عنه ترك شهوة من شهوات النفس أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها
وقال أبو حامد الغزالي رضي الله عنه وقد اشتد خوف السلف رضي الله عنهم من تناول لذائذ الأطعمة
وتمرين النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا أن منع الله منه غاية السعادة حتى روى
أن وهب بن منبه رضي الله عنه قال التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين
فقال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي وقال الآخر أمرت باهراق زيت اشتهاه
فلان العابد وقال وهذا تنبيه على أن تيسير الشهوات ليس من علامات الخير قال الشيخ أبو حامد الغزالي
رضي الله عنه والأصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسباب ذلك
ويكون ذلك من الله ابتلاء واختباراً فينبغي أن يصبر ويستمر فانه ان عود نفسه كسر العزم ألفت ذلك
وفسدت واذا اتفق منه كسر عزم فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس من كتاب
المراقبة واذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وتفسد الرياضة عليه بالكلية
هذا كلام أبي حامد وهو حسن ومعناه صحيح مجرب فلتعتمد عليه أيها المريد وقد يعجل الله تعالى
لبعض هؤلاء العقوبة رحمة له ومنة عليه قال أبو تراب النخشبي رضي الله عنه ما تمنت نفسي شهوة من
الشهوات الا مرة واحدة تمنيت خبزاً وبيضاً وأنا في سفر فعدلت الى قرية فقام واحد وتعلق بي وقال هذا
كان مع اللصوص فضربوني سبعين درة ثم عرفني رجل منهم فقال هذا أبو تراب النخشبي فاعتذروا الي
وحملني رجل منهم الى منزله وقدم الي خبزاً وبيضاً فقلت في نفسي كلي بعد سبعين درة وقال بعضهم
اشتهى أبو الخير العسقلاني رضي الله عنه السمك سنين ثم ظهر له ذلك من موضع حلال فلما مد يده اليه

بأ كل دخلت شوكة من عظامه اصبعه فذهبت فى ذلك يده فقال يارب هذا لمن مديده بشهوة الى حلال
فكيف بمن مديده بشهوة الى حرام وقال ابراهيم الخواص رضى الله عنه كنت جائعا فى الطريق فوافيت
الرى فخطر ببالى أن لى بها معارف فاذا دخلتها أضافونى وأطعمونى فلما دخلت البلد رأيت فيه منكرا
احتجت أن آمر فيه بالمعروف فأخذونى وضربونى فقلت فى نفسى من أين أصابنى هذا الضرب على
جوعى فنوديت فى سرى انما أصابك ذلك لانك سكنت الى معارفك بقلبك وقلت انهم يطعمونى اذا دخلت
البلد وحكى عن ابراهيم بن سفيان رضى الله عنه أنه قال كنت بحلب واشتهيت شبعة من الخبز والعدس
فاتفق ذلك فأكلت حتى شبعت فرأيت على باب المسجد قوارير معلقة شبه غوزجات فتوهمتها خلا فقال
لى قائل أما تنظر اليها أنها خمر فقلت لزمنى فرض فدخلت الحانوت فلم أزل أصب دنا دنا حتى أتيت على
الجميع فأخذونى وضربونى مائتى خشبة وطرحونى فى السجن أربعة أشهر حتى دخل أستاذى أبو
عبد الله المغربى البلد فسمع بحالى فشفع لى فلما وقع بصره على قال ماشأنك قلت شبعة خبز وعدس وضربت
مائتى خشبة وسجنت أربعة أشهر فقال لى نجوت مجانا أى وردت عقوبة هذه الا كلة على ظاهرك ولم
تقدح فيما كنت فيه من سرائرك فكان ذلك رفقا من الله بك قال الامام أبو القاسم القشيرى وما أصدق
ما قال فان من أدب فى دنياه فيما يتعاطاه من متابعة هواه فقد خفف عنه فى عقباه بل ظهر بالتأدب
جوهره ومعناه وحكاية خير النساج رضى الله عنه المشهورة من معنى ما ذكرناه فانظرها ففيها عبرة
للمعتبرين قال الحافظ أبو نعيم رضى الله عنه حدثنى جعفر بن محمد بن نصير فى كتابه قال سألت خيرا
النساج أكان النسج حرفتك قال لا قلت فمن أين سميت به قال عاهدت الله واعتقدت أنى لا آكل الرطب
أبدا فغلبتنى نفسى يوما فأخذت نصف رطل فلما أكلت واحدة اذا برجل نظر الى وقال ياخير أين هربت
منى وكان له غلام اسمه خير فوقع على شبهه وصورته فخنقنى واجتمع الناس فقالوا والله هذا غلامك خير
فبقيت متحيرا وعلمت بماذا أخذت وعرفت جنايتى فحملنى الى حانوته الذى كان ينسج فيه صناعه فقالوا
ياعبد السوء تهرب من مولاك ادخل واعمل عملك الذى كنت تعمل وأمرنى بعمل الكرباس فدليت
رجلى على أن أعمل فأخذت بيدى آلته فكأنى كنت أعمل من سنين فبقيت معه شهرا أنسج له فقمت
ليلة فتمسحت وقمت الى صلاة الغداة فسجدت وقلت فى سجودى الهى لا أعود الى ما فعلت فأصبحت فاذا
الشبه قد ذهب عنى وعدت الى صورتى التى كنت عليها فأطلقت فثبت على هذا الاسم فكان سبب النسج
اتباعى شهوة عاهدت الله تعالى أن لا آكلها فعاقبنى بما سمعت وفى بعض الاخبار عن الله تعالى ان أدنى
ما أصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتى أن أحرمه لذيذ مناجاتى وسيأتى ان شاء الله تعالى كيفية مجاهدة
النفس عند قوله لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين ولهذا المعنى كرهوا التزويج من غير ضرورة
محققة لانه انما يقصد بذلك قضاء شهوته وبلوغ نهمته وذلك فى الضرر به بمنزلة السم القاتل وقد قالوا من
وافق شهوته عدم صفوته وقال بعضهم من هم بشئ مما أباحه العلم تلذذا عوقب بتضييع العمر وقسوة
القلب وتعب الهم بالدنيا وقال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا
من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث وقال ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته
وكان ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه يقول من تعود أفخاذ النساء لا يفلح وقيل لبعضهم لم لا تتزوج فقال
المرأة لا تصلح الا للرجال وأنا ما بلغت مبلغ الرجال ثم فيه مكابدة أمر غيره ومن مراعاة توفية حقوقه
ومعاناة أخلاقه واتباع مرضاته ما يشوش على المريد حاله ويكدر عليه وقته وقد كان له فى معاناة أمر
نفسه أعظم شاغل من أن تنضاف الى نفسه نفس أخرى مع ما يتسلط على باطنه من خوف الفقر ومحبة
الجمع والمنع وما يرتكبه بسبب ذلك من التأويلات والرخص وذلك كله مضاد لحال المريد وقد قالوا اذا
تزوج الصوفى فقد ركب السفينة فاذا ولد له فقد غرقت السفينة وكان بشر الحافى رضى الله عنه يقول لو

كنت أقول دعاءه حقت أن أكون جلوازا على الجسر وفى الخبر فى آخر الزمان قال وفى ذلك الوقت
حلت العزبة فقيل وكيف قال يعيرونه بالفقر فيتكلف ما لا يطيق فيورده موارد الهلكة وفى الخبر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ قيل يا رسول الله وما خفيف الحاذ قال
الذى لا أهل له ولا ولد وقال سهل بن عبد الله رضى الله عنه إياكم والاستماع إلى النساء والميل إليهن فإن
النساء مبعدات من الحكمة قريبات من الشيطان وهن مصايده وحظه من بنى آدم فمن عطف إليهن
بكليته فقد عطف على حظ الشيطان ومن حاد عنهن نفر منه وما مال الشيطان إلى أحد كميله إلى من
استرق بالنساء وإن الشر معهن حيث كن فإذا رأيتم فى وقتكم من قد ركن إليهن فايأسوا منه قيل له فحديث
النبى صلى الله عليه وسلم حبب إلى من دنياكم ثلاث فذكر النساء فقال النبى صلى الله عليه وسلم
معصوم وقد علمكم ما كان فيه معهن هى عدوة الرجل ظاهرا وباطنا إن أطعت له الصحبة أهلكته وإن
أضررت أعوته وإن الله عز وجل جعلهن فتنة نعوذ بالله من فتنتهن انتهى كلام سهل رضى الله عنه وقال
حذيفة المرعشى رضى الله عنه كان ينبغى للرجل لو خير بين أن يضرب عنقه وبين أن يتزوج امرأة فى
الفتنة لاختار ضرب العنق على تزويج المرأة فى الفتنة وإنما قال ذلك لما يؤول إليه أمر المتزوج من
اكتساب الحرام وارتكاب الآثام فى زمان الفتنة وضرب العنق أحسن حالا وأحمد عاقبة من التعرض
لارتكاب شئ من معاصى الله عز وجل فإن قارب شيئا من ذلك المريد فهو داء عضال فى حقه فقد قالوا رجعة
بعد الإرادة أقبح من سبعين زلة قبل الإرادة وفى المثل من عرف بالخيانة لا يعتمد عليه فى الأمانة وقال بعض
الأنبياء فى مناجاته رب لو عفوت عن فلان ذنوبه بعد عظيم ما عمل فأوحى الله إليه ليس الدنس فى القرب
كالدنس فى البعد وسئل بعضهم هل يجد العاصى حلاوة الطاعة فقال لا ولا من هم بالمعصية ومن قبيح
سوء أدب المريد أن يميل إلى أهل الدنيا بأن يتقرب منهم أو أن يصاحبهم قال الإمام أبو القاسم القشيرى
رضى الله عنه ومن شأن المريد التباعد من أبناء الدنيا فإن صحبتهم سم مجرب لأنهم ينتفعون به وهو
ينتقص بهم قال الله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وقد تقدم من
كلام المؤلف رحمه الله لا تصحب من لا ينهضك حاله ومن ذلك أيضا معاشرته للأحداث [illegible]
أرفاق النسوان فإن تعرض لاستجلاب ذلك منهن فهو أشد قال يوسف بن الحسين الرازى رضى الله عنه
رأيت آفات الصوفية فى صحبة الأحداث ومعاشرة الأضداد ورفق النسوان قال الإمام أبو القاسم ومن
أصعب الآفات فى هذه الطريق صحبة الأحداث ومن ابتلاه الله بشئ من ذلك فبإجماع من الشيوخ أن
ذلك عبد أهانه الله عز وجل وخذله بل عن نفسه شغله ولو بألف ألف كرامة أهله ثم قال بعد كلام كثير
فليحذر المريد من مجالسة الأحداث ومخالطتهم فإن اليسير منه فتح باب الخذلان وبدء حال الهجران ونعوذ
بالله من قضاء السوء وآداب المريد كثيرة وإنما نبهنا على بعض ما يعظم فيه الخطر والضرر ومما حذر منه
أئمتنا رضى الله عنهم وبالغوا فى التوصية به والنهى عنه وجميع ذلك يحتمل لأن يكون من مراد المؤلف رحمه الله
تعالى فى قوله من جهل المريد أن يسئ الأدب فرأينا أن لا نخلى هذا الموضع من هذا التنبيه لأن ذلك مهم
للمريدين كثيرا والله ولى التوفيق ((إذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى بوجود الأوراد وأدامه عليها
مع طول الإمداد فلا تستحقرن ما منحه مولاه لأنك لم تر عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين فلولا
وارد ما كان ورد)) عباد الله المخصوصون ينقسمون إلى قسمين مقربين وأبرار فالمقربون هم الذين أخذوا
عن حظوظهم وإراداتهم واستعملوا فى القيام بعبودية ربهم وطلب مرضاته وهؤلاء هم العارفون وا

قاموا بحقوق ربهم عبودية له وطلبا لمرضاته وهؤلاء هم العارفون والمحبون
ون مع حظوظهم وإراداتهم وقاموا بعبادة ربهم طمعا فى جنته وهربا من ناره وكل واحد منهم مورد فى مقامه

الذى هو فيه عبداالهى اقتضى منه القيام بحقوق ذلك المقام والى ذلك أشار بقوله (قوم أقامهم الحق) أى اختاره
الظاهر به حتى صلحوا لجنته وهم الزاهدون والعابدون كما مر (وقوم اختصهم بمحبته) حتى صلحوا لقربه وا
المحبون والعارفون والكل مشتركون فى الانتساب اليه وخدمته لكن خدمة الاولين أكثرها بالجوارح والا
(كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) أى ممنوعا فاذا شهد العبد انفراد الله تعالى بم
منعه ذلك مما ذكر من الاحتقار وقال أبو يزيد اطلع الله تعالى على قلوب أوليائه  فمنهم من لم يكن

والمحبون والابرار هم الذين بقوا مع حظوظهم واراداتهم وأقيموا فى الاعمال والطاعات ليجزوا عليها برفيع الدرجات فى الجنات وهؤلاء هم الزاهدون والعابدون وكل واحد منهم محدود فى مقامه الذى هو فيه عبد الهى اقتضى منهم القيام بحقوق مقاماتهم على اختلافها فاذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى فى أعمال البر الظاهرة ومواصلة الاوراد المتواترة وأمده فى ذلك بالمعونة والتيسير فذلك من اختيار الله تعالى له فلا تحتقرن ذلك لاجل أنك لم تر عليه سيما العارفين من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ والارادات بين يدى المريد المختار ولا بهجة المحبين من الشغف برضاة محبوبهم والانبساط والادلال بين يدى حبيبهم فلولا الوارد الالهى الذى أورده الله تعالى عليه ما استقام على عمله وورده فهو لم يخرج عن دائرة عنايته وحفظه ورعايته فلا تستحقر خطيرما محضه وتستقل كثير ما منحه وهل ذلك الا من وجود جهلك ونقصان عقلك وسيأتى من كلام المؤلف رحمه الله لا يستحقر الوارد الا جهول ((قوم أقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا)) الحق تعالى له الاختيار التام والمشيئة النافذة لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فطائفة أقامهم الحق تعالى لخدمته حتى صلحوا لجنته وهم الزاهدون والعابدون كما تقدم وطائفة اختصهم بمحبته حتى صلحوا لقربه والدخول الى حضرته وهم العارفون والعلماء قال يحيى بن معاذ رضى الله عنه الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة فاذا شهد العبد انفراد الله تعالى بهذه الاقامة والتخصيص منعه ذلك مما ذكرناه من الاستحقار وسلم الامر لمن بيده التدبير والاختيار قال أبو يزيد رضى الله عنه اطلع الله تعالى على قلوب أوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا فشغلهم بالعبادة وذكر الحافظ أبو نعيم فى كتابه حلية الاولياء عن سهل بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال ان الله تعالى يطلع على أهل قرية أو بلدة فيريد ان يقسم لهم من نفسه قسما فلا يجد فى قلوب العباد ولا قلوب الزهاد موضعا لتلك القسمة من نفسه فيمن علمهم أن يشغلهم بالتعبد عن نفسه وقال أبو العباس الدينورى رضى الله عنه ان لله عبادا لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته وله عباد لم يستصلحهم لخدمته فأهلهم لمعرفته والاشارة بالآية الكريمة التى ذكرها المؤلف رحمه الله بينة فى هذا المعنى وقال رضى الله عنه ((قلما تكون الواردات الالهية الا بغتة لئلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد)) الواردات الالهية هدايا من الله تعالى وتحف وكرامات يكرم بها عباده فلا تكون فى الغالب الا بغتة أى فجأة لئلا يدعوها ويرون أنفسهم أهلا لها بوجود استعدادهم وتهيئهم وتحف الله تعالى وهداياه مقدسة عن أن تعلل بأمر ومنزهة عن أن تقابل باعمال بر بل هى محض كرم وفضل من الكريم المتفضل ((من رأيته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا عن كل ما شهد وذاكرا كل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله)) الاجابة عن كل سؤال والتعبير بكل مشهود والذكر لكل معلوم أمارات على وجود جهل من اتصف بها كما قال أما الاجابة عن كل سؤال فلاقتضائها منه الاحاطة بجميع المعلومات وذلك محال فى حقه قال الله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فكيف يتصور منه مع هذا الاجابة عن كل سؤال لولا وجود جهله وأيضا فانه يجب عليه أن يراعى حال

فشغلا
الوا
قل
أى
العا
العر
بها:
الغا
من
من
(انا
بروت
الا
فى الا
بنحو
وسـ
يتقم
أحـ
همـ
الا
لهـ
وار
أن
الله
تحد
الص
تحد
وحد
ناد
من

 (مجيبا عن كل ما سئل) أى سئل عنه من العلوم التى يفيضها الله على قلوب السالكـ
التى يختص بها العارفين (ومعبرا عن كل ما شهد) أى شهده وذاقه بباطنه وهى تلك العلوم والمواهب (وذاكرا كل
(فاستدل بذلك على وجود جهله) لان اجابته عن كل سؤال تقتضى احاطته بكل المعلومات وذلك محال فى حقه قال

أفعال السائل فقد لا يكون في بعض السائلين أهلية للمسؤل عنه فتكون اجابة منه من الجهل وتعبيره عن كل
شأن السر الذي يجب كتمانه وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار والسر أمانة الله تعالى عند العبد فافشاؤه بالتعبير
والمشهودة لا يستعمل فيها الا الاشارة والايماء واستعمال العبارة فيها اظهار لها وفيه افشاء لها ثم ان العبارة
والعلاقات الامور الذوقية يستحيل ادراكها بالعبارات المنطقية وذكره لكل معلوم له دليل على عدم تفرقته
فيما لا يصح ذكره لما يلزم عليه من الضرر والفساد وانكار الناس له قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة
المكنون لا يعلمه الا أهل المعرفة بالله فاذا أظهروه أنكره أهل الغرة بالله  وقال علي بن الحسين بن علي رضي

السائل من وجود الاهلية لما سأل عنه فيمتنع من اجابة من لا أهلية فيه لذلك ويفعل ما فعله رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه مع السائل الذي جاء يسأله أن يعلمه من غرائب العلم فانه استفصله وقال
له ما فعلت في رأس العلم وفي كذا وفي كذا فأجابه السائل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذهب فاحكم
ما هنالك ثم تعال حتى أعلمك من غرائب العلم وكما أخذ الله تعالى على العلماء أن لا يكتموا العلم عن أهله كذلك
أخذ عليهم أن يصونوه عن غير أهله فمن لا يسلك هذا المسلك فهو جاهل وأما التعبير بكل مشهود فلأن
فيه نوعا من افشاء السر الذي يجب كتمه وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار والسر أمانة الله تعالى عند
العبد وافشاؤه بالتعبير عنه خيانة والله تعالى لا يحب الخائنين وأيضا فان الامور المشهودة لا يستعمل
فيها الا الاشارة والايماء واستعمال العبارة فيها افصاح بها واشهار لها وفي ذلك افشاء لها واذا عبر عنها فان
ان العبارة عنها لا تزيدها الا غموضا لان علاقات الامور الذوقية يستحيل ادراك حقائقها بالعبارات
المنطقية فيؤدي ذلك الى الانكار والقدح في علوم السادة الاخيار قال أبو علي الروذباري رضي الله
تعالى عنه علمنا هذا اشارة فاذا صار عبارة خفي وأما الذكر لكل معلوم فلعدم تفرقته بين المعلومات
وقد يكون له علم يختص به فاذا ذكره لغيره استضر به وان كان ينتفع به هو فلعدم تفرقته بين المعلومات في
ذكرها من وجود جهله ‹‹انما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار لا تسع
ما يريد أن يعطيهم ولانه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها›› انما جعل ثواب المؤمنين في
الدار الآخرة فيما ظهر لنا لوجهين أحدهما أن الدنيا لا تسع ما يريد أن يعطيهم من أنواع النعيم حسا
ومعنى أما الحس فلان الدنيا متناهية المساوات ضيقة الاقطار ويعطي الله تعالى لآحاد المؤمنين في
الدار الآخرة في ملك واحد منهم كما ورد في الخبر مسيرة خمسمائة عام فاذا طلبت بحواصلهم فتضيق لا محالة
مسافة الدنيا عن كلية جزائهم وأما المعنى فلان الدنيا موسومة بالدناءة والنقص والخساسة والحقارة
والاشياء التي يتنعم بها أهل الجنة أمور شريفة رفيعة كما جاء في الاخبار موضع سوط في الجنة خير
من الدنيا وما فيها وان نور سوار حوراء يطمس نور الشمس وما أشبه هذا ويكفي في ذلك قوله عز من
قائل فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل
أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والثاني أن الله تعالى
أجل أقدار عباده المؤمنين فلم يجعل لهم الجزاء على طاعاتهم في دار فانية منقضية متصرمة لان كل
ما يفنى وان طالت مدته كلا شيء بل أعطاهم الخلود في النعيم والبقاء الدائم في الملك المقيم وما هيأه

وقد ذقناه بحمد الله فصدق ما شئل وما شئد وما علم واحد وانما يختلف باعتبار ... ثمروا
عبارة وعموم ذكره (انما جعل) تعالى (الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار لا تسع ما يريد أن
حسا ولا معنى أما الاول فلانها ضيقة الاقطار ويعطي الله لآحاد المؤمنين في الدار الآخرة في ملك واحد منهم
ورد في الخبر فاذا طلبت بحواصلهم فتضيق لا محالة مسافة الدنيا عن كلية جزائهم وأما الثاني فلان الدنيا موسومة
التي يتنعم بها أهل الجنة أمور شريفة رفيعة كما جاء في الاخبار موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها
نور الشمس وما أشبه هذا (ولانه أجل اقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها) لان كل ما يفنى وان
لهم الخلود في النعيم والبقاء الدائم في الملك المقيم

ثمرة تسميته اياهم باسمه الكريم وهو الحي الذي لا يموت * جاء في تفسير قوله تعالى وملكا كبيرا أنه
يرسل الله تعالى الملك الى وليه و يقول له استأذن على عبدي فان أذن لك فادخل والا فارجع فيستأذن
عليه من سبعين حجابا ثم يدخل عليه ومعه كتاب من الله عز وجل عنوانه من الحي الذي لا يموت الى
الحي الذي يموت فاذا فتح الكتاب وجد مكتوبا فيه عبدي اشتقت اليك فزرني فيقول هل جئت بالبراق
فيقول نعم فيركب البراق فيغلب الشوق على قلبه فيحمله شوقه و يبقى البراق الى أن يصل الى بساط اللقاء
((من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول آجلا)) ثمرة العمل وجدان الحلاوة فيه والنعيم
به و بتصور ذلك في أكثر الاعمال بالمواظبة عليه على حال تكره واستثقال له هذا هو غالب الامر قال
بعض العارفين ليس شيء من البر الا ودونه عقبة يحتاج الى الصبر فيها فمن صبر على شدتها أفضى الى الراحة
والسهولة وانما هي مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوى ثم مكابدة في ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم وقال عتبة
الغلام رضي الله تعالى عنه كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال ثابت البناني
رضي الله تعالى عنه كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وقال بعض العلماء كنت أقرأ
القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه
رضي الله عنهم ثم رفعت الى مقام فوقه و كنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تصدق الله تعالى بمنزلة أخرى فأنا الآن كأني أسمعه من المتكلم به
فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه وما ذكرناه من الحلاوة والنعيم انما هو ثمرة الاعمال الصحيحة
المستقيمة السالمة من الرياء والدعوى قال أبو تراب رضي الله تعالى عنه اذا صدق العبد في العمل وجد
حلاوته قبل أن يعمله واذا أخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشرة العمل والاعمال الموصوفة بهذه
الصفات مقبولة بفضل الله تعالى ورد في الخبر لا يقبل الله تعالى من مسمع ولا مراء دليل خطابه أن العمل
السالم من الرياء والسمعة مقبول من قوله عز من قائل انما يتقبل الله من المتقين وقبول الله تعالى لعمل
العبد ورضاه به هو ثوابه المعجل كما يقول المؤلف بعد هذا وذلك علامة على وجود الجزاء عليه في الدار
الآخرة حسبما يأتي في قوله وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا
وقال أبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنه كل عمل ليس له ثواب في الدنيا ليس له جزاء في الآخرة
فحصل من هذا أن وجدان الحلاوة علامة على وجود القبول المقتضي لوجود الرضا والجزاء ولذلك قال
الحسن رضي الله تعالى عنه تفقدون الحلاوة في ثلاث فان وجدتموها فابشروا وامضوا لقصدكم وان لم
تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق عند تلاوة القرآن وعند الذكر وعند السجود وزاد غيره وعند
الصدقة و بالاسحار وقيل في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنة معجلة وهي حلاوة الطاعات
ولذاذة المناجاة والاستئناس بفنون المكاشفات وجنة مؤجلة هي فنون المثوبات وعلو الدرجات
قلت وهذه الحلاوة المذكورة لا تكون الا في مقام المعرفة الخاصة وهي التي تنافي المعصية قيل لبعضهم
هل تعرف الله تعالى فغضب على السائل وقال أتراني أعبد من لا أعرفه فقال له أو تعصي من تعرفه
وقيل لبعضهم بم تعرف أنك عرفته فقال لم أقصد مخالفته الا ورد على قلبي استحياء منه وقال اسمعيل
ابن نجيد رضي الله تعالى عنه التهاون بالامر من قلة المعرفة بالآمر فان العصيان في حال العرفان بعيد
فان وقعت منه زلة أو هفوة بحكم و كان أمر الله قدرا مقدورا وجد لا محالة لذلك مرارة وألما في قلبه
فوجدان هذه المرارة والالم في المعصية علامة على صحة ما وجد من الحلاوة والنعيم في الطاعة فهذه هي
الحلاوة التي هي الميزان للاعمال المقبولة وغير المقبولة كما ذكرناه وأما الحلاوة التي يجدها من دون أهل
هذا المقام في بعض العبادات فمدخولة معلولة الا ما فيها من تنشيط العباد للمواظبة على العبادة والحلاوة
على الاطلاق اذا وجدها العامل في العمل لا ينبغي له أن يقف معها ولا يفرح بها ولا يسكن اليها وكذلك
أيضا لا ينبغي له أن يقصد بعمله الى نيلها لما له فيها من اللذة والحظ فان ذلك مما يقدح في اخلاص عبادته

وصدق ارادته ولكن اعتناؤه بحصولها لتكون ميزانا للاعمال لمرضها كالاحوال فقط * قال الواسطي رضي
الله تعالى عنه استحلاء الطاعات سموم قاتلة قال في لطائف المنن وصدق الواسطي فأقل ما في ذلك أنه اذا
فتح لك باب حلاوة الطاعة تصير فيما تعمل بها طالبا للحلاوة فيفوتك صدق الاخلاص في نهوضك لها وغير
دوامها الا فيما بالوفاء ولكن لما وجدت من الحلاوة والمتعة فتكون في الظاهر قائما لله وفي الباطن انما
قمت لحظ نفسك ويخشى عليك أن تكون حلاوة الطاعة جزاء تعجلته في الدنيا فتأتي يوم القيامة ولا جزاء
لك (اذا أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيما اذا يقيمك) هذا ميزان صحيح وقد روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أراد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه فان
الله عز وجل ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه وهذا الانزال المذكور المنسوب الى العبد هو
معنى الاقامة المذكورة اذ العبد لا عمل له على التحقيق قال الفضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه انما
يطيع العبد ربه على قدر منزلته منه وقال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله تعالى عنه واذا كان العبد
ينظر مولاه مكرما ولحرماته معظما والى محبوبه ومرضاته مسارعا كان الله عز وجل له في الآخرة
لوجهه مكرما ولشأنه معظما والى مسرته من النعيم المقيم مسارعا واذا كان العبد بحق مولاه متهاونا
ولأمره مستخفا ولشعائره مستصغرا كان الله عز وجل له مهينا ولشأنه متهاونا والى ما يكره من
العذاب الاليم له مسارعا والعياذ بالله من ذلك وقال وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه قرأت في بعض
الكتب يا ابن آدم أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يصلحك اني عالم بخلقي انما أكرم من أكرمني
وأهين من هان عليه أمري لست ناظرا في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي (متى رزقك الطاعة
والغنى به عنها فاعلم أنه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة) المطلوب من العبد شيآن اقامة الامر في
الظاهر والتعلق بالله في الباطن وهو الاستغناء به عن غيره فاذا رزق الله تعالى العبد هذين الامرين فقد
أسبغ الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة وأوصله الى غاية الامل في الدنيا والآخرة سبحانه جل وعلا وقال
رضي الله تعالى عنه (خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك) اذ كان لا بد من الطلب منه فاطلب ما هو
طالبه منك من الاستقامة على سبيل العبودية له فذلك خير لك من طلبك لحظوظك ومن ادبك الا انك حينئذ
تكون به وله وبمعنى طلوبك عاجلا من غير تأخير وأما ان طلبت منه حظ نفسك ونيل مرادك فقد
يحصل وذلك تأخير ومع ما يفوتك حينئذ من حسن الادب في الطلب * يحكى عن أبي الحسين الديلمي
رضي الله تعالى عنه أنه قال وصف لي بانطاكية انسان أسود يتكلم على القلوب قال فقصدته فلما رأيته
رأيت معه شيأ من المباحات يريد أن يبيعه فساومته وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الي ثم قال اقعد فانك
جائع منذ يومين حتى اذا بعنا هذا نعطيك من ثمنه شيأ قال فمضيت الى غيره وتغافلت كأني لم أسمع ما قال
وساومت غيره ما كان بين يديه ثم رجعت اليه وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الي وقال اقعد فانك جائع منذ
يومين حتى اذا بعنا هذا نعطيك من ثمنه شيأ قال فوقع في قلبي منه هيبة فلما باع ذلك أعطاني شيأ ومضى قال
فمضيت خلفه لعلي أستفيد منه شيأ قال فالتفت الي وقال اذا عرضت لك حاجة فأنزلها بالله الا أن يكون
لك فيها حظ فتحجب بها عن الله تعالى ومن دعاء أبي القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه اللهم وكل سؤال
سألتك فمن أمرك لي بالسؤال فاجعل سؤالي اليك سؤال محابك ولا تجعلني ممن يتعمد بسؤاله مواضع
الحظوظ بل يسأل القيام بواجب حقك ومن دعائه أيضا اللهم اني أسألك مثلما هو لك واستعيذك من
كل أمر يسخطك اللهم لا تشغلني بشغل من يشغل عنك مما أراده منك الا أن يكون لك اللهم اجعلني ممن
يذكرك ذكر من لا يريد بذكره منك الا ما هو لك اللهم اجعل غايته تصدي اليك ما هو لك ولا تجعل تصدي
اليك ما أطلبه منك (الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض اليها من علامات الاغترار) هذا
هو الحزن الكاذب الذي يكون معه البكاء الكاذب كما قالوا كم من عين جارية وقلب قاس وهو من مكر

سلك

(الحزن على فقدان الطاعة) بضم الفاء وكسرها أي عدم وجودها في الحال (مع عدم النهوض اليها) في المستقبل (فمن علامات الاغترار) أي التعويل على ما لا حقيقة له وهذا هو الحزن الكاذب الذي يكون معه البكاء الكاذب كما قيل كم من مغرور آمن مكر الله الحق حيث منعه ما ينفعه وأعطاه ما يغتر به من الحزن والبكاء فانه قد يستحسن بذلك حاله ويعتد به وأما الحزن الصادق وهو الذي يبعث على الطاعات ويكون معه البكاء الصادق فهو من مقامات السالكين قال أبو علي الدقاق صاحب الحزن يقطع من طريق الله في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه في سنين (ما العارف من اذا أشار) الى شئ من أسرار الحق سبحانه (وجد الحق أقرب اليه من اشارته) بأن كان حاضرا معه لم يغب عنه بل هو ملاحظ في حال اشارته وأقرب اليه منها فهذا ليس بعارف حقيقة لأنه حينئذ ملاحظ أن هناك مشيرا ومشارا اليه ومشارا به وما دام يتعقل أنه مشير والحق مشار اليه وذلك الكلام فهو الى الآن لم يفن عن نفسه ولم يخرج عن دائرة حسه والاشارة ألطف من



الله تعالى الحق حيث منعه ما ينفعه وأعطاه ما يغتر به من الحزن والبكاء سمعت رابعة رضي الله تعالى عنها رجلا يقول واحزناه فقالت قل واقلة حزناه لو كنت محزونا لم يتهيأ لك أن تتنفس وأما الحزن الصادق فبخلاف هذا وهو مقام من مقامات السالكين وهو يبعث على الانكماش في الاعمال والنهوض الى الطاعات على كل حال قال الشيخ أبو علي الدقاق رضي الله تعالى عنه صاحب الحزن يقطع من طريق الله عز وجل في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه في سنين وفي الخبر ان الله يحب كل قلب حزين وفي التوراة ان الله اذا أحب عبدا نصب في قلبه نائحة واذا أبغض عبدا نصب في قلبه مزمارا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكر وقيل الحزن اذا فقد من القلب خرب ومن لم يذق طعم الحزن لم يذق لذة العبادة واذا الحزن الذي يجده العبد من نفسه ان لم يبعثه على النهوض والانكماش والاجتهاد فذلك من علامات الاغترار وليس بمقام السالكين الابرار ((ما العارف من اذا أشار وجد الحق أقرب اليه من اشارته بل العارف من لا اشارة له لفنائه في وجوده وانطوائه في شهوده)) الاشارة ألطف من العبارة وهي كناية وتلويح وايماء لا تصريح وهي التي يستعملها أهل هذه الطريقة فيما بينهم عند ذكرهم لاسرار التوحيد كما تقدم عند قوله من رأيته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا عن كل ما شهد فالمشير الى الله تعالى الملاحظ لاشارته وان وجد الله تعالى أقرب اليه من اشارته غير عارف على التحقيق لانه يوصف التفرقة بشهوده للاغيار بل العارف الفاني في وجوده المنطوي في شهوده الذي غاب عن الاشارة والمشير والمشار به سئل الشيخ أبو علي الدقاق رضي الله تعالى عنه عن المريد فقال حقيقة المريد أن يشير الى الله تعالى فيجد الله مع نفس الاشارة قيل له فالذي يستوعب حاله قال هو الذي يجد الله باسقاط الاشارة وسئل أبو علي الروذباري رضي الله تعالى عنه عن الاشارة فقال الاشارة الابانة عما يتضمنه الوجد من المشار اليه لا غير وفي الحقيقة ان الاشارة تصحبها العلل والملل بعيدة من عين الحقائق وقال الشبلي رضي الله تعالى عنه وكل اشارة أشار بها الخلق الى الحق فهي مردودة عليهم حتى يشيروا الى الحق بالحق وليس لهم الى ذلك طريق وقال أبو يزيد رضي الله تعالى عنه أبعدهم من الله أكثرهم اشارة اليه ((الرجاء ما قارنه عمل والا فهو أمنية)) الرجاء مقام شريف من مقامات اليقين وهو يبعث على الاجتهاد في الاعمال كما ذكرناه في

ونـ
التي
رضـ
بينهم
الله
التو
الله
والا
من
وان
اليه
في
عـ
النف
(بل
(من
لا اشـ
وقعد
وجو
شهو
العا
لفنا

وانطوائه عن شهودها ويحتمل عوده للحق سبحانه وتعالى أي ان العارف حقيقة هو الذي غاب عن الاشارة والمشير منه اشارة لا يشهدها ولا يشعر بها لكون المشير والمشار اليه حينئذ هو الله تعالى لان العارف حينئذ في مقام الجمع غائب عن رؤية نفسه قال الشيخ يوسف العجمي قدس الله سره من تكلم في مقام الجمع فليس بمتكلم وانما المتكلم عبده وهو قوله في الخبر القدسي فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق اه وسئل بعضهم عن الفناء فقال هو أن تبدو العظمة فتنسيه الدنيا والآخرة والدرجات والاحوال والمقامات والاذكار وتفنيه عن كل شئ وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الفناء فيغرق في التعظيم اه (الرجاء) أي الحقيقي (ما قارنه عمل) أي ما كان باعثا على الاجتهاد في الاعمال لان من رجا شيأ طلبه ومن خاف من شئ هرب منه (والا) يقارنه عمل بل كان يفتر صاحبه عن العمل ويجرئه (فهو أمنية) أي فليس برجاء حقيقة عند العلماء بل هو أمنية واغترار بالله تعالى ويقال له أيضا رجاء كاذب قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا والخلف الردئ من الناس وقال صلى الله ع

الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني (مطلب العارفين من الله تعالى) أعلى من مطلب
وزهادا أو علماء لأن مطلبهم إنما هو (الصدق في العبودية) وهو التزام آدابها والتحلي بأخلاقها (والقيام بحقوق الربوبية
له والصبر على ما ابتلاه ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه وترك الاختيار عليه والتدبير معه ودوام المراقبة
وب التواضع والذلة والاستطابة للفقر والتمسك بحبل الرجاء مرتديا برداء الخشية إلى غير ذلك من أوصاف العبودية
ولا كان مرتقيا عما عاهد الله عليه (والقيام بحقوق الربوبية) في ظاهرهم بالطاعة وفي باطنهم بالمراقبة له ودوام
لا يطلبون منه الا هديهم الأمرين من غير حظ لهم ولا بقاء مع نفس بخلاف من عداهم فإنه لم يفارق الحظوظ
ذا كان  مطلبهم أعلى المطالب قال أبو مدين قدس الله سره شتان بين من

المريد لأن من رجا شيئا طلبه ومن خاف من شيء هرب منه وأما الرجاء الكاذب الذي يفتر صاحبه من
العمل ويجرئه على المعاصي والذنوب فليس هذا رجاء عند العلماء ولكنه أمنية واغترار بالله تعالى وقد
ذم الله قوما ظنوا مثل هذا وأصروا على حب الدنيا والرضا بها وتمنوا المغفرة على ذلك فسماهم خلفا
والخلف الردى من الناس فقال عز من قائل فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا
الأدنى ويقولون سيغفر لنا قال معروف الكرخي رضي الله تعالى عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب من
الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقال معروف
الكرخي أيضا رضي الله عنه رجاؤك الرحمة ممن لا تطيعه خذلان وحمق واعلم أنه ليس في أفعال الحق
سبحانه ما يوجب أن يؤمن عقابه انتهى وأمثاله مما يمنع اليأس من رحمته وكما لا يحسن أن لا يظهر من لطفه
في خلقه لا يحسن الطمع في جانبه ويؤمن أخذه وانتقامه فإن من قطع أشرف عضو بربع الدينار
لا يؤمن أن يكون عذابه هذا كذا وقد قال وأما من زعم أن الرجاء مع الإصرار صحيح فليزعم أن طلب الزرع
في القفر وقد ثبت في البخاري الصحيح في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى الأماني وقال الحسن رضي
الله تعالى عنه إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليس لهم حسنة يقول أحدهم أحسن
الظن بربي وهو يكذب لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل وتلا قول الله عز وجل وذلكم ظنكم الذي ظننتم
بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وكان يقول رضي الله تعالى عنه عباد الله اتقوا هذه الأماني فإنها
أودية الهلكة تحلون فيها والله ما آتى الله عبدا بأمانيه خيرا في الدنيا ولا في الآخرة وكتب أبو عمير
المصوري إلى بعض إخوانه أما بعد فإنك قد أصبحت تؤمل طول عمرك وتتمنى على الله الأماني بسوء
فعلك وإنما تضرب حديدا باردا (مطلب العارفين من الله تعالى الصدق في العبودية والقيام بحقوق
الربوبية) مطلب العارفين من ربهم أعلى من مطالب غيرهم سواء كانوا عبادا أو زهادا أو علماء لأن
مطلب العارفين من ربهم إنما هو الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية فقط من غير مراعاة
حظ ولا بقاء مع نفس وكل من عداهم لم يفارقوا الحظوظ والأعراض في مطالبهم وقد تقدم من كلام
المؤلف رحمه الله تعالى خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك قال سيدي أبو مدين رضي الله تعالى
عنه شتان بين من همته الحور والقصور وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور (بسطك كي
لا يبقيك مع القبض وقبضك كي لا يتركك مع البسط وأخرجك عنهما كي لا تكون لشيء دونه) القبض

سل قواهم وتستعين عوالمهم بما ترتاح إليه من سمات والبسط
عند الا لأهل النهايات كي تستقيم أحوالهم وتصفو أعمالهم ويدوموا بين يدي مولاهم بلا علة ويؤخذ من ذلك
أن الناقصات بالنسبة إلى ما دونهما لأنهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده لكنهما يتوصل بهما إلى التمكن في
الربوبية بهما ثم الراحة عنهما بفنائه عن نفسه وبقائه بربه وهما من أحوال المبتدئين من العارفين يتلونون
ن المريدين في الرجاء والخوف ويفترقان بأن الرجاء والخوف متعلقان بتوقع أمر يحصل في المستقبل فإن معه
محبوب فرحا وما لا توقع معه فقبض في الأول وبسط في الثاني وسببهما الواردات التي ترد على باطن العارف
قوة الوارد وضعفه فإذا تجلى للقلب وارد الجلال حصل به القبض وإذا تجلى له وارد الجمال حصل به

البسط فالقبض بوارد حاصل في الوقت وكذلك البسط لان العارف لا يهتم لنفسه حتى يراعي مستقبلات الا
بسطوا أخوف منهم) أي أكثر خوفا من أنفسهم (اذا قبضوا) وذلك لملازمة البسط لهوى أنفسهم فيخافون
ندموا اليه من التحدث بالاحوال والكرامات وغيرها وربما كان في ذلك  الطرد والبعد

والبسط من الحالات التي يتلون بها العارفون وهما بمنزلة الخوف والرجاء للمريدين المبتدئين وسببهما الواردات التي ترد على باطن العبد وقوتهما وضعفهما بحسب قوة الواردات وضعفها والمقصود ههنا أنهما صفتان ناقصتان بالنسبة الى مافوقهما فانهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده فمن لطف الله بعبده تلوينه فيهما ثم اخراجه عنهما بفنائه عن نفسه وبقائه بربه قال فارس رضي الله تعالى عنه القبض أولا ثم البسط ثم لاقبض ولا بسط لان القبض والبسط يقعان في الوجود وأما مع الفناء والبقاء فلا وكان الجنيد رضي الله تعالى عنه يقول الخوف يقبضني والرجاء يبسطني والحقيقة تجمعني والحق يفرقني اذا قبضني بالخوف أفناني عني واذا بسطني بالرجاء ردني علي واذا جمعني بالحقيقة أحضرني واذا فرقني بالحق أشهدني غيري فغطاني عنه فهو في ذلك كله محركي غير ممسكي وموحشي غير مؤنسي فحضوري لذوق طعم وجودي فليته أفناني عني فمتعني أو غيبني عني فروحني وقد تكلم صاحب كتاب عوارف المعارف في القبض والبسط بكلام بديع طويل تركت نقله ههنا اختصارا فمن أراده فلينظره هناك (العارفون اذا بسطوا أخوف منهم اذا قبضوا ولا يقف على حدود الادب في البسط الا قليل) انما اشتد خوف العارفين في البسط مالم يشتد في القبض من قبل ملازمته لهوى أنفسهم بخلاف القبض كما سيقوله المؤلف الآن فيخافون حينئذ من رجوعهم اليه وذوقهم لطعم نفوسهم وفي ذلك الطرد والبعد وقد كتب يوسف بن الحسين الرازي الى الجنيد رضي الله تعالى عنهما لا أذاقك الله طعم نفسك فانك ان ذقتها لا تذوق بعدها خيرا أبدا ومن ثم يتأكد عليهم في ذلك ملازمة الادب ودوام الانقباض والانكسار وذلك أمر عسير في هذا الحال ولذلك لا يقف على حدود الادب في البسط الا قليل كما قال المؤلف رحمه الله تعالى وقد قيل قف على البساط واياك والانبساط وقال رجل لابي محمد الجريري رضي الله تعالى عنه كنت على بساط الانس وفتح علي طريق البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي فكيف السبيل اليه دلني على الوصول الى ما كنت عليه فبكى أبو محمد وقال يا أخي الكل في قهر هذه الخطة لكني أنشدك أبياتا لبعضهم وأنشأ يقول

قف بالديار فهذه آثارهم * تبكي الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بربعها مستخبرا * عن أهلها أو سائلا أو مشفقا
فاجابني داعي الهوى في رسمها * فارقت من تهوى فعز الملتقى

وسئل بعض المشايخ عن هذه الزلة فقال انبساط مع الحق بغير أدب قال الاستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه ومن هذا خشي الاكابر والسادة قال في لطائف المنن البسط مزلة أقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجئهم والقبض أقرب الى وجود السلامة لانه وطن العبد اذ هو في أسر قبضة الله واحاطة الحق محيطة به ومن أين يكون للعبد البسط وهذا شأنه والبسط خروج عن حكم وقته والقبض هو اللائق بهذه الدار اذ هي وطن التكليف وابهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى قال وأخبرني بعض الصوفية قال رأى شيخنا شيخه في المنام بعد موته مقبوضا فقال له يا أستاذ مالك مقبوضا فقال له يا بني القبض والبسط مقامات من لم يوفهما في الدنيا وفاهما في الآخرة قال وكان هذا الشيخ الغالب عليه في حياته البسط انتهى (البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح والقبض لا حظ للنفس فيه) في هذا اشارة لما تقدم من أن مراعاة الادب في

تأخذ منه حظها ومن شأن النفس اذا وجدت حظها الغفلة ونسيان الحقوق والدعوى باظهار ما عندها من الـ
والاسرار والتحدث بالخصوصية والتلذذ بنسبة الخوارق والاشارة الى الكرامات وادراك المقامات كل على حـ
للعبودية بخلاف القبض فانه لا حظ للنفس فيه فلا تتمالك أن تظهر شيأ من ذلك فهو أقرب للسلامة ووجود الـ

البسط أمر عسير وذلك أن في البسط وجود حظ النفس فيستولي عليها الفرح بذلك فلا يتمالك أن
يقع في سوء الأدب والقبض ليس فيه حظ للنفس فلذلك كان أسلم وكان الأستاذ أبو علي الدقاق رضي
الله تعالى عنه يقول القبض حق الحق منك والبسط حق العبد منه ولأن يكون بحقه منك أتم من أن
يكون بحظك منه وأما آداب القبض والبسط فلا أعلم الآن من استوفى الكلام فيهما من علماء
الصوفية ومصنفيهم وإنما وجدنا لهم من ذلك إشارات إلى أمور جملية كقول الإمام أبي القاسم
القشيري رضي الله تعالى عنه بعد أن تكلم على لفظي القبض والبسط وتبيين معانيهما إلى أن قال وقد
يكون قبض يشكل على صاحبه سببه يجد في قلبه قبضا لا يدري ما موجبه وسببه وسبيل صاحب هذا
القبض التسليم حتى يمضي ذلك الوقت لأنه لو تكلف نفيه أو استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختياره
زاد في قبضه ولعله يعد ذلك منه سوء أدب وإذا استسلم لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض فإن الحق
سبحانه قال والله يقبض ويبسط وقد يكون بسط يرد بغتة ويصادف صاحبه فلتة لا يعرف له سببا يهز
صاحبه ويستفزه فسبيل صاحبه السكون ومراعاة الأدب فإن في هذا الوقت له خطر عظيم فليحذر
صاحبه مكرا خفيا كما قال بعضهم فتح علي باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي اهـ كلام الإمام
أبي القاسم وقد رأيت كلاما مبسوطا مستوفى في آداب القبض والبسط لسيدي أبي الحسن الشاذلي
رضي الله تعالى عنه فأحببت أن أذكره هنا لتتم به الفائدة التي تعرض لها المؤلف رحمه الله تعالى
وإن كان كلام الشيخ أبي الحسن في ذلك أعم مما هو عند غيره من أئمة الصوفية قال رضي الله تعالى عنه
القبض والبسط قلما يخلو العبد منهما وهما يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار والحق سبحانه يقتضي منك
العبودية فيهما فمن كان وقته القبض فلا يخلو من أن يعلم سببه أو لا يعلم وأسباب القبض ثلاثة ذنب نره
أحدثته أو دنيا ذهبت عنك أو نقصت لك أو ظالم يؤذيك في نفسك أو في عرضك أو ينسبك لغير دين أو غير
ذلك فإذا ورد عليك القبض من أحد هذه الأسباب فالعبودية تقتضي أن ترجع إلى العلم مستعملا لما
أمرك الله تعالى أما في الذنب فبالتوبة والإنابة وطلب الإقالة وأما فيما ذهب عنك من الدنيا أو نقص
فبالتسليم والرضا والاحتساب وأما فيما يؤذيك به ظالم فبالصبر والاحتمال واحذر أن تظلم نفسك فيجتمع
عليك ظلمان ظلم غيرك لك وظلمك لنفسك فإن فعلت ما التزمت به من الصبر والاحتمال أثابك سعة الصدر
حتى تعفو وتصفح وربما أثابك من نور الرضا ما ترحم به من ظلمك فتدعو له فتجاب فيه دعوتك وما أحسن
ذلك إذا رحم الله بك من ظلمك فتلك درجات الصديقين الرحماء وتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين
وأما إذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا فالوقت وقتان ليل ونهار فالقبض أشبه شيء بالليل والبسط أشبه
شيء بالنهار فإذا ورد القبض بغير سبب تعلمه فالواجب عليك السكون والسكون عن ثلاثة أشياء عن
الأقوال والحركات والإرادات فإن فعلت ذلك فعن قريب يذهب عنك الليل بطلوع شمس نهارك أو يبدو
نجم تهتدي به أو قمر تستضيء به أو شمس تبصر بها والنجوم نجوم العلم والقمر قمر التوحيد والشمس شمس
المعرفة وإن تحركت في ظلمة ليلك فقلما تسلم من الهلاك واعتبر بقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل
والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون فهذا حكم العبودية في القبضين جميعا وأما من
كان وقته البسط فلا يخلو من أن يعلم له سببا أو لا والأسباب ثلاثة الأول زيادة في الطاعة أو نوال في
المطاع كالعلم والمعرفة والسبب الثاني زيادة من دنيا بكسب أو كرامة أو هبة أو صلة والسبب الثالث
بالمدح والثناء من الناس وإقبالهم عليك بطلب الدعاء منك وتقبيل يديك فإذا ورد عليك البسط من أحد
هذه الأسباب فالعبودية تقتضي أن ترى أثر النعمة والمنة من الله عليك واحذر أن ترى شيئا من ذلك
لنفسك وحصنها أن لا يلازمها خوف السلب مما به أنعم عليك فتكون ممقوتا هذا في جانب الطاعة
والنوال من الله تعالى وأما الزيادة من الدنيا فهي نعمة أيضا كالأولى وخف مما بطن من آفاتها وأما مدح

(ربما أعطاك) شيأ من الدنيا ولذاتها (فمنعك) التوفيق لطاعته والاقبال عليه والفهم منه (وربما منعك) من الا
فمنع الله لك من نيل شهواتك ولذاتك والكون مع شئ عاداتك عطاء جزيل منه لانه أبقاك معه واقتطعك عن حظو
ذلك هو المنع على التحقيق وان كان عطاء في الظاهر فلا تنظر لظاهر العطاء والمنع بل لحقيقة الامر وحينئذ فيجب على
والاختيار لمولاه (متى فتح لك باب الفهم في المنع) بان فهمت أن ذلك المنع رحمة منه بك (١٥) ولولا أنه

الناس لك وثناؤهم عليك فالعبودية تقتضي شكر النعمة بما ستره عليك وخف من الله تعالى أن يظهر
ذرة مما بطن منك فيمقتك أقرب الناس اليك فهذه آداب القبض والبسط في العبودية وأما البسط الذي
لا يملك سببا لحق العبودية فيه ترك السؤال والادلال والصولة على النساء والرجال اللهم الا أن تقول
سلم سلم الى الممات فهذه آداب القبض والبسط في العبودية جميعا ان عقلت والسلام انتهى ما ذكره
الشيخ أبو الحسن وكلامه في ذلك حسن والحمد لله الذي بيده سوابغ المنن ((ربما أعطاك فمنعك وربما
منعك فأعطاك)) منع الله تعالى عبده من نيل شهواته ولذاته والكون مع شئ من عاداته عطاء جزيل
منه لانه أبقاه معه واقتطعه عن حظوظه وأغراضه وجرده منها وعكس هذا هو المنع على التحقيق وان
كان عطاء في الظاهر قال الشيخ محيي الدين بن العربي اذا منعت فذلك عطاؤه واذا أعطيت فذلك منعه
فاختر الترك على الاخذ فالواجب على العبد أن يترك التدبير والاختيار لمن بيده ذلك فان يعدم منه خيرا
((متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع عين العطاء)) سيأتي بيان هذا من كلام المؤلف رحمه الله في قوله
متى أعطاك أشهدك بره ومتى منعك أشهدك قهره الى آخره ((الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة
فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها والقلب ينظر الى باطن عبرتها)) الاكوان ههنا كل ما يمكن أن يكون
للنفس فيه حظ من متاع الدنيا وزهرتها وهي رائقة الظاهر قبيحة الباطن كما قيل

على وجه مي مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

فهي من حيث ظاهرها محبوبة حلوة خضرة وبالنظر الى باطنها جيفة قذرة فالنفس تنظر الى زينتها
الظاهرة فتغتر بها فتهلك صاحبها والقلب ينظر الى قبائحها الباطنة فيعتبر بها فيسلم من شرها وقد روى
في الكتب السالفة أن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام يا روح الله صف لنا أولياء الله تعالى الذين
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال عليه السلام هم الذين بهم نطق الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب
وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها وعاينوا آجل
الدنيا حين عاين الناس عاجلها فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم فصار
ذكرهم فيها فوتا وفرحهم فيها حزنا ما عارضهم منها رفضوه وما أشرف لهم بغير الحق وضعوه خلقت
الدنيا عندهم فلم يجددوها وخربت فيما بينهم فلم يعمروها وماتت في صدورهم فلم يحيوها بعد موتها
وبنوا بها آخرتهم أحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره
ويضيئون به لهم الخبر العجيب وعندهم الخبر العجيب وكان بعض الاولياء يقول ما سطع لي زينة من زخرف
الدنيا الا كشف لي باطنه فظهر لي غرور عنها قال أبو طالب المكي فهذه عناية من الله تعالى لمن واليه من
أوليائه المقربين منه فمن شهد الدنيا بأول وصفها لم يغتر بآخره ومن عرفها بباطن حقيقتها لم يعجب
بظاهرها ومن كشف له بعاقبتها لم يستهوه زخرفها وكان عيسى عليه السلام يقول ويلكم علماء السوء
مثلكم مثل قناة حش ظاهرها جص وباطنها نتن ((ان أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعز
يفنى)) العز الذي لا يفنى هو الغنى عن الاسباب كلها بوجود مسببها الا انه باق لا يفنى فالتعلق به عز لا يفنى
والعز الذي يفنى هو الغنى بالاسباب مع الغيبة عن مسببها الا انها فانية فالتعلق بها عز فان لا يبقى والتعلق

 مسببها الا انه باق فيكون تعلقك به عزا لا يفنى (فلا تستعزن بعز يفنى) بأن تستغني بما مع
فانية فيكون تعلقك بها عزا لا يبقى بل يزول بزوالها فان اعتززت بالله دام عزك ولم يقدر أحد أن يذلك وان اعتززت
أو نحوهما بان ركنت اليه وجعلته معتمدك وغفلت عن مولاك فلا بقاء لعزك اذ لا بقاء لمن أنت به معتز ولذا سمع بـ
فقال له ما شأنك فقال مات أستاذي فقال له العارف ولم جعلت أستاذك من يموت

وى) أيها المريد (مسافة الدنيا عنك) بأن لا تشتغل بلذاتها وشهواتها ولا تركن اليها بل تغيب عنها (حتى ترى
منك) أى تكون (٦٦) نصب عينيك لتستغيث على قلبك بهذا هو الطى الحقيق الذى يكرم الله به أولياءه وبه

بالله عز لا يفنى وليس لك الا أحدهما لاجتماعهما ضدان لا يجتمعان فان اعتززت بالعز الباقى بالله تعالى لم يقدر
أحد أن يذلك يحكى أن رجلا أمر بالمعروف لهرون الرشيد فحرد عليه هرون الرشيد وكانت له بغلة
سيئة الخلق فقال اربطوه معها فتقتله برجلها ففعلوا ذلك فلم تضره فقال اطرحوه فى بيت وطينوا عليه الباب
ففعلوا ذلك فرؤى فى بستان وباب البيت مسدود فأخبر هرون الرشيد بذلك فأتى بالرجل فقال من أخرجك
من البيت فقال الذى أدخلنى البستان فقال ومن أدخلك البستان فقال الذى أخرجنى من البيت فقال
أركبوه دابة وطوفوا به فى البلد وليقل قائل ألا ان هرون قد أراد أن يذل عبدا أعزه الله فلم يقدر وان
أردت العز بالاسباب خذلك وأسلمك أحوج ما تكون اليها وكنت فى غاية الذل والهوان حكى عن
بعضهم أنه قال رأيت رجلا فى الطواف بين يديه شاكرية يطردون الناس فيه ثم بعد ذلك بمدة رأيت انسانا
يتكفف الناس على الجسر يسأل شيأ قال فنظرت اليه وشبهته بذلك الرجل فقال لأى شئ تنظر فقلت
أشبهك برجل رأيته فى الطواف من شأنه كذا وكذا فقال أنا ذلك الرجل تكبرت فى موضع يتواضع فيه
الناس فوضعنى الله فى موضع يترفع فيه الناس قال فى التنوير فان اعتززت بالله دام عزك وان اعتززت
بغيره فلا بقاء لعزك اذ لا بقاء لمن أنت به معتز قال وأنشدنا بعض الفضلاء لنفسه

اجعل بربك شأن عزك يستقر ويثبت
فان اعتززت بمن يموت * فان عزك ميت

قال ودخل انسان على بعض العارفين وهو يبكى فقال ما شأنك قال مات أستاذى فقال له ذلك العارف ولم
جعلت أستاذك من يموت ويقال لك اذا اعتززت بغير الله تعالى وفقدته واستندت الى غيره فعدمته وانظر
الى الملك الذى طاف عليه ما كان الحجر قسمه ثم لنسفنه فى اليم نسفا انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل
شئ علما ((الطى الحقيقى أن تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب اليك منك)) طى
مسافة الدنيا انما يتصور من العبد اذا أشرق نور اليقين فى قلبه فحينئذ تنعدم الدنيا فى نظره وتنطوى فى
اعتباره ويرى الآخرة حاضرة لديه موجودة عنده بل يراها أقرب اليه منه اذ ذاته غائبة منطوية فى
الاعتبار فان كانت هذه مشاهدته لا يتصور منه حب العائب الفانى وهو الدنيا واستبداله بالحاضر الباقى
وهو الآخرة ولذلك كان أصل الرغبة فى الدنيا وايثارها على الآخرة ضعف اليقين فمن لم يشرق فى
قلبه نور اليقين لم يشاهد الملك الكبير ومن لم يشاهده أحب الدنيا وهى لا شئ ولم يكن قيمته عند الله تعالى
شيأ فهذا هو الطى الحقيقى لمسافة الدنيا الذى يكرم الحق به أولياءه وبه تتحقق عبوديتهم لربهم
عز وجل لا طى مسافة الارض الذى ربما يكون استدراجا ومكرا ولا طى الليالى والايام بالوصال
للصيام وترك الشراب والطعام اذا لم يتمحض طاعة وبراً وسيأتى من كلام المؤلف رحمه الله تعالى
لو أشرق نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب اليك من أن ترحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت
كسفة الفناء عليها ((العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله احسان)) عطية الخلق لك حرمان على
التحقيق لما فيه من رؤيتك لغير الله ووقوفك مع حظوظك وشهواتك ومنع الله لك احسان لانه أوصلك
الوقوف ببابه وعافاك من وجود حجابه وان شئت قلت العطاء من الخلق حرمان لما فيه من وجود
محبتك لهم على ذلك وتقلدمننهم فى أخذ عطيتهم والمنع من الله احسان لانه حبيبك وكل ما يفعل الحبيب
محبوب ولله در من قال

ولا ألبس النعماء وغيرك ملبسى * ولا أقبل الدنيا وغيرك واهبى

الانه أوصلك الوقوف ببابه وعافاك من وجود حجابه وان شئت قلت العطاء من الخلق حرمان لما ... وفى ...
على ذلك وتقلد منتهم فى أخذ عطيتهم والمنع من الله احسان لانه حبيبك وكل ما يفعله المحبوب محبوب * ...
تجعل شكرك من الله منعما واعتد نعمة غيره عليك مغرما اه ونحوه يناسب المعنى الاول

(جل ربنا أن يعامله العبد نقدا) أى حالا بأنواع الطاعات (فيجازيه نسيئة) بأن لا يعطيه شيأ من جزاء عمله فى الد
الكريم القادر فجزاء العمل لا يختص بالدار الآخرة بل ربما أظهر الله تعالى منه لبعض أوليائه شيأ فى الدنيا ع
الاعمال و يتحققون بقبولها ثم بين ذلك الجزاء المعجل بقوله (كفى من جزائه) أى مجازاته اياك (على الطاعة أن
توفيقه لها واقداره عليها والا فصفتك الذاتية التكاسل عن الطاعة  وعدم

وفى وصية على رضى الله عنه لا تجعل بينك و بين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما وقال بعض الحكماء حمل المنن أثقل من الصبر على العدم وقال آخر عز النزاهة أشرف من سرور الفائدة وقال رضى الله عنه (جل ربنا أن يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئة) جزاء المعاملة لا يختص بالدار الآخرة بل ربما أظهر الحق تعالى منه لبعض أوليائه فى الدنيا أنموذجا يحملهم على الاجتهاد فى الاعمال و يتحققون به وجود قبولها فى كل الاحوال وذلك لعظيم كرمه وعميم فضله جل وعلا (كفى من جزائه اياك على الطاعة أن رضيك لها أهلا) هذا بيان جزائهم المعجل وهو أنه عرفهم من عظمته وجلاله وكبريائه ما استحقروا معه أنفسهم أن يكونوا أهلا لأن يكلفهم القيام بطاعته و يعدهم فيها بتيسيره ومعونته فباهم حينئذ حبه واستولى عليهم قربه فانخنست اذ ذاك نفوسهم واضمحل وجودهم وذهب بهم الحياء كل مذهب وهذا هو غاية الجزاء ونهاية العطاء عند العلماء العارفين الذين يمنعهم وجدانه عن التطلع الى غيره من الحظوظ الآجلة (كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم فى طاعته وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته) هذا بيان آخر لما يكرمهم به من الجزاء المعجل وهو أن العاملين لربهم يفتح لهم من المعارف ويورد على قلوبهم من أنواع اللطائف ما يتنسمون منه روح الانس و ينعمون به فى حضرة القدس وهذا من علامات وجود الرضوان الاكبر الذى يتلاشى دونه كل جزاء ويستحقر كان بعضهم يقول التملق للحبيب والمناجاة للقريب فى الدنيا ليس من الدنيا هو من الجنة ظهر لاهل الله تعالى فى الدنيا لا يعرفه الا هم ولا يجده سواهم روحا لقلوبهم وقال بعض العلماء ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة الا ما يجده أهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال أحمد بن أبى الحوارى رضى الله عنه دخلت على أبى سليمان الدارانى رضى الله عنه يوما وهو يبكى فقلت له وما يبكيك فقال يا أحمد ولم لا أبكى انه اذا جن الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه وافترش أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وتقطرت فى محاريبهم أشرف الجليل سبحانه فنادى يا جبريل بعينى من تلذذ بكلامى واستراح الى ذكرى وانى لمطلع عليهم فى خلواتهم أسمع أنينهم وأرى بكاءهم فلم لا تنادى فيهم يا جبريل ما هذا البكاء هل رأيتم حبيبا يعذب أحبابه أم كيف يجمل بى أن آخذ قوما اذا جنهم الليل تملقوا الى فبى حلفت اذا وردوا على القيامة لاكشفن لهم عن وجهى الكريم حتى ينظروا الى وأنظر اليهم (من عبده لشئ يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه) عمل العاملين لاجل حصول الجزاء أو فرارا من عقوبة المولى مدخول معلول ليس من شأن الحاذقين المحققين لان قيام العبد بحق أوصاف مولاه يقتضى أن لا يعمل لاجل حظه من جلب ثواب أو دفع عقاب لانه عبد يستحق عليه مولاه كل شئ ولا يستحق هو عليه شيأ وهذا من أعلى المحبة لله تعالى لان المحب مجتمع الهم بأمر محبوبه لا مراد له الا ما أراد فعلى العبد أن يعمل لربه عز وجل لاجل جلاله وعظمته وما هو عليه من محامد صفاته التى لا يشارك فيها فان خالف هذا وعمل على طلب حظه لم يقم بحق صفات مولاه وكان ذلك نتيجة جهله وغفلته وعدم حبه لربه ومعرفته قال سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه

مولا
جر
لما
الزا
حة
المـ
لحا
تعـ
ذ
(
فائـ
أى
الموا
الله
يز
بعـ
بشـ
ما
قلو
المـ
الذ
بالا
وا
عا
(
أى
الـ
بعـ
الـ
و

المحب وصفاء وقته و يخاف فيه غوائل الادلال (من عبده) تعالى (لشئ يرجوه منه) وهو الثواب (أو ليدفع بطاع
حصولها له فى الدار الآخرة وقوله (عنه) متعلق بيدفع (فما قام بحق أوصافه) بل هو قائم بحظ نفسه من جلب
بخلاف ما اذا عبده لاجل جلاله وعظمته وما هو عليه من محامد صفاته التى لا يشارك فيها اذ من كان كذلك يستح
حينئذ يكون قائما بحق أوصافه أى موفيا لها حقها فقد أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان أود الاوداء الى
لكن ليعطى الربوبية حقها وفى الحديث لا يكن أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط

ما طلعت شمس ولا غربت على أحد على وجه الأرض إلا وهم جهال بالله تعالى إلا من يؤثر الله تعالى على
نفسه وروحه ودنياه وآخرته . وفي أخبار داود عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه أن أود الأوداء إليّ
من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفيما نقل وهب بن منبه من الزبور ومن أظلم ممن عبدني
لجنة أو لنار لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا لأن أطاع أو كما قال عز وجل وفي أخبار عيسى عليه
السلام إذا رأيت الفتى مشغوفا بطلب الرب فقد ألهاه ذلك عما سواه ومر عيسى عليه الصلاة والسلام
على طائفة من العباد قد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية فقال من أنتم فقالوا نحن عباد الله
تعالى فقال ولأي شيء تعبدتم قالوا خوفنا الله من ناره فخفنا منها فقال حق على الله أن يؤمنكم مما خفتم
منه ثم جاوزهم فرأى آخرين أشد عبادة منهم فقال لأي شيء تعبدتم قالوا شوقنا الله إلى الجنان وما أعد
فيها لأوليائه فنحن نرجوها فقال حق على الله أن يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم ومر بآخرين يتعبدون
فقال ما أنتم قالوا نحن المحبون لله عز وجل لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا إلى جنته ولكن حبا له وتعظيما لجلاله
فقال أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقيم فأقام بين أظهرهم وفي لفظ آخر أنه قال للأولين مخلوقا
خفتم ومخلوقا أحببتم وقال للآخرين أنتم المقربون قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه وممن روى
عنه هذا القول وأقيم في هذا المقام جماعة من التابعين بإحسان منهم أبو حازم المدني كان يقول إني
لأستحيي من ربي أن أعبده خوفا من العذاب فأكون مثل عبد السوء إن لم يخف لم يعمل وأستحيي أن
أعبده لأجل الثواب فأكون كالأجير السوء إن لم يعط أجره لم يعمل ولكن أعبده محبة له قال الشيخ
أبو طالب المكي وقد روينا معنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكن أحدكم كالعبد
السوء إن خاف عمل ولا كالأجير السوء إن لم يعط الأجر لم يعمل وقال بعض إخوان معروف رضي الله
عنه له أخبرني عنك يا أبا محفوظ أي شيء أهاجك على العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقلت ذكر
الموت فقال وأي شيء الموت فقلت ذكر القبر قال وأي شيء القبر فقلت خوف النار ورجاء الجنة فقال
وأي شيء هذا إن ملكا هذا كله بيده إن أحببته أنساك جميع هذا وإن كان بينك وبينه معرفة كفاك
جميع هذا قال أبو طالب وحدثونا عن علي بن الموفق قال رأيت في النوم كأني أدخلت الجنة فرأيت رجلا
قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائما
على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضهم الجنة ويرد آخرين قال ثم جاوزتهما إلى حظيرة
القدس فرأيت في سرادقات العرش رجلا قد أشخص بصره ينظر إلى الله تعالى لا يطرف فقلت
لرضوان من هذا فقال هو معروف الكرخي عبد الله تعالى لا خوفا من ناره ولا شوقا إلى جنته بل حبا
له فقد أباحه النظر إليه إلى يوم القيامة وذكر أن الآخرين بشر بن الحرث وأحمد بن حنبل رضي الله
تعالى عنهما قال أبو طالب المكي وروينا عن رابعة العدوية وكانت إحدى الصين وكان سفيان
الثوري يجلس بين يديها ويقول علمينا مما أفادك الله من طرائف الحكمة وكانت تقول له نعم الرجل
أنت لولا أنك تحب الدنيا وكان يعترف لها ويسلم قولها وكان عالما زاهدا إلا أنه كان يؤثر كتب الحديث
والإقبال على الناس وهي أبواب الدنيا وقال لها الثوري يوما لكل عقد شريطة ولكل إيمان حقيقة
فما حقيقة إيمانك فقالت ما عبدت الله خوفا من النار فأكون كالعبد السوء إن خاف عمل ولا حبا
للجنة فأكون كالأجير السوء إن أعطي عمل ولكن عبدته حبا له وشوقا إليه والآثار والحكايات في
هذا المعنى كثيرة لا تحصر فإذا عمل المريد لي ما ذكرناه كان عبدا لله حقا فإن طلب منه الثواب أو
استعاذ به من العقاب فإنما يطلبه أو يستعيذ به افتقارا لوعده وفرارا من دعوى رؤية حظه وإنما الملك
أحب منه وأذن له فيه من طلبه لفضله وإحسانه وكرمه وامتنانه وهذا وما أشبهه هو المعنى بالحديث
المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ما تقول في الصلاة

(متى أعطاك) أيها العارف المتيقظ (أشهدك بره) أى صفات بره من الجود والكرم والاحسان واللطف وا
منعك أشهدك قهره) أى صفاته القهرية أى التى تقتضى القهر والغلبة من الجبرية والكبرياء والعزة والاستغنا
كلتا الحالتين (متعرف اليك) أى مقبل عليك ومريد منك أن تعرفه فان الواحد منا اذا أراد أن يعرفه غيره اما
يعاتبه فكل منهما سبب فى معرفة ذلك الغيرله (ومقبل بوجود لطفه عليك) لان مشاهدتك الصفات بره وقهره لط
منه عليك فينبغى لك أن تشكره عليها والحاصل أن المطلوب من العباد أن يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الا
الحسنى ولا سبيل لهم الى معرفته الا بتعرفه لهم وتعرفه لهم انما يكون بما ينزله بهم (٦٩) من النوازل ويورد

قال أتشهد ثم أقول اللهم انى أسألك الجنة وأعوذ بك من النار أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ
فقال حولها ندندن الا أن يكون رجاؤه لحصول ذلك وخوفه من فقده باعثاً له على القيام بطاعته
وملازمة عبادته فيكون عمله اذ ذاك مدخولا معلولا هذا هو مذهب العارفين والمحققين وعليه تنبنى
قواعد التصوف كلها ((متى اعطاك أشهدك بره ومتى منعك أشهدك قهره فهو فى كل ذلك متعرف اليك
ومقبل بوجود لطفه عليك)) المطلوب من العباد أن يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات العلية
والاسماء الحسنى ولا سبيل لهم الى معرفته الا بتعرفه لهم وتعرفه لهم انما يكون بما ينزل بهم من النوازل
ويورده عليهم من الاحكام ثم هو على قسمين ما وافق الهوى والطبع ويسمى ذلك عطاء ومنحا وما خالفهما
ويسمى منعا فبوجود العطاء تشهد صفاته البرية من الجود والكرم والاحسان واللطف والعطف وغير
ذلك وبوجود المنع تشهد صفاته القهرية من الجبر والكبرياء والعزة والاستغناء فينبغى لك أيها العبد أن
لا تفرق بينهما ان أردت معرفة ربك ولم يستغرقك حب حظك اذ المنع لك عطاء على التحقيق فهو فى كلتا
الحالتين منعم عليك ومقبل بوجود لطفه اليك وهذا هو بيان ما تقدم من قوله متى فتح لك باب الفهم فى
المنع عاد المنع هو عين العطاء والله أعلم قال سفيان الثورى رضى الله عنه أتيت أبا حبيب البدوى أسلم
عليه ولم أكن رأيته فقال لى أنت سفيان الثورى الذى يقال قال فقلت نعم فنسأل الله عز وجل بركة
ما يقال قال فقال لى يا سفيان ما رأينا خيرا قط الا من ربنا قلت أجل قال فمالنا نكره لقاء من لم نر خيرا قط
الا منه ثم قال يا سفيان منع الله اياك عطاء منه لك وذلك أنه لم يمنعك من بخل ولا عدم وانما منعه نظر منه
واختيار يا سفيان ان فيك لانسا ومعك شغلا قال ثم أقبل على غنيمته وتركنى ((انما يؤلمك المنع لعدم فهمك
عن الله فيه)) اذا كان منع الله سبحانه وتعالى وعطاؤه نعمتين عظيمتين كما ذكرناه الآن فينبغى أن يكون
فى كلتيهما قرة عين المريد فان تألم بأحدهما وهو المنع وتلذذ بالآخر وهو العطاء فذلك لعدم فهمه وقصور
علمه وانما الاكمل والافضل له أن يألم بالعطاء ويلذ بالمنع كما قال ابراهيم الخواص رضى الله عنه لا يصح
الفقر للفقير حتى تكون فيه خصلتان احداهما الثقة بالله تعالى والاخرى الشكر لله فيما زوى عنه مما
ابتلى به غيره من الدنيا ولا يكمل الفقير حتى يكون نظر الله له فى المنع أفضل من نظره له فى العطاء وعلامة
صدقه فى ذلك أن يجد للمنع من الحلاوة ما لا يجد للعطاء لا يعرفه غير باريه الذى خصه بمعرفته وأياديه
فهو لا يرى سوى مليكه ولا يملك الا ما كان من تمليكه وكل شئ له تابع وكل له خاضع اه ((ربما فتح لك
باب الطاعة وما فتح لك باب القبول وربما قضى عليك بالذنب فكان سببا فى الوصول)) ينبغى أن لا ينظر
العبد الى صور الاشياء ولينظر الى حقائقها فصور الطاعات لا تقتضى وجود القبول لها لما قد تضمنته

وأعريت عيالى وانما تفعل هذا بخواص عبادك فبأى سبب أستوجب منك هذا أى من أعمال البر والخير ومن
فانية ولذاتها منقضية فتفرح بما ادخر لك فى الآخرة الى غير ذلك مما يفتح الله به على قلب المريد الصادق فاذا فتح ع
المنع عين العطاء (ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول) الاضافة فيهما بيانية أو من اضافة المشبه به للمش
بالذنب فكان سببا فى الوصول) وذلك ان الطاعة قد تقارنها آفات قادحة فى الاخلاص فيها كالاعجاب بها والا
بفعلها وذلك مانع من قبولها والذنب قد يقارنه الالتجاء الى الله والاعتذار اليه واحتقار نفسه وتعظيم من لم يفعله فى
الله له ووصوله اليه فينبغى أن لا ينظر العبد الى صور الاشياء بل الى حقائقها فيخاف ان كان مطيعا ويرجو ان كان
معنى هذه الحكمة بقوله

من الآفات القادحة في الإخلاص فيها وذلك مانع من وجود القبول لها ووجود مرارة الذنب لا يقتضي
الإبعاد والطرد بل ربما يكون ذلك سببا في وصوله إلى ربه ووصوله في حضرة قربه كما قيل رب ذنب
أدخل صاحبه الجنة وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله
فيغفر لهم وذلك أنه ربما عمد العبد بالطاعة أن يعتمد عليها أو يتكبر بفعلها أو يستحقر من
لم يفعلها أو يعجبه عمله وتوقعه في الذنب الالتجاء إلى الله تعالى منه والاعتذار إليه منه واستصغار نفسه
وتعظيم من لم يفعله . قال أبو حازم رضي الله عنه إن العبد ليعمل الحسنة تسره حين يعملها وما خلق الله
من سيئة أضر له منها وإن العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها وما خلق الله له من حسنة أنفع له منها
وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة تسره فيتيه بها ويرى أن له فضلا على غيره ولعل الله أن يحبطها
ويحبط معها عملا كثيرا وإن العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها ولعل الله أن يحدث له بها وجلا
حتى يلقى الله تعالى وإن خوفها لفي جوفه لباق ثم بين المؤلف رحمه الله هذا المعنى بقوله (( معصية أورثت
ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا )) الذل والافتقار من صفات العبودية والعز
والاستكبار ما اتصاف بهما إلا من صفات الربوبية ولا خير في الطاعات إذا لزم عنها التحلي بما هو من
صفات الربوبية لأنها تحبطها وتبطلها كالأعمال الواقعة بالمعصية إذا لزم منها صفات العبودية لأنها أيضا
تمحوها وتزيلها قال سيدي أبو مدين رضي الله عنه انكسار العاصي خير من صولة المطيع وكان سيدي
أبو العباس المرسي رضي الله عنه كثير الرجاء لعباد الله الغالب عليه شهود وسع الرحمة وكان يكرم
الناس على قدر رتبهم عند الله تعالى حتى إنه ربما دخل عليه مطيع فلا يعبأ به وربما دخل عليه عاص
فأكرمه لأن ذلك الطائع أتى وهو متكبر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصي دخل عليه بكسرة معصيته
وذلة مخالفته وقد تقدم مثل هذا عند قوله لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله
تعالى ومن هذا المعنى ما روي عن أبان بن عياش أنه قال خرجت يوما من عند أنس بن مالك رضي الله
عنه بالبصرة فرأيت جنازة يحملها أربعة من الزنج ولم يكن معهم رجل آخر فقلت سبحان الله سوق
البصرة وجنازة مسلم لا يشيعها أحد لأكونن خامسهم فصليت معهم فلما وضعوها للمصلى قالوا لي تقدم
فقلت أنتم أولى به فقالوا كلنا سواء فتقدمت فصليت عليه وقلت لهم ما القصة فقالوا اكترتنا هذه
المرأة قال فقعدت حتى دفنوه فلما كان بعد ساعة انصرفت تلك المرأة وهي تضحك فدخل قلبي شيء وقلت
لا يسعك إلا الصدق فأخبريني أيش القصة فقالت إن هذا ابني ما ترك شيئا من المعاصي إلا عمله فمرض
بعد ثلاثة أيام فقال يا أماه إذا مت فلا تخبري بوفاتي جيراني فإنهم لا يحضرون جنازتي ويشمتون بي
واكتبي على خاتمي هذا لا إله إلا الله محمد رسول الله واجعليه على كفي فلعل الله تعالى يرحمني به
وضعي رجلك على خدي وقولي هذا جزاء من عصى الله وإذا دفنتني فارفعي يديك إلى الله تعالى وقولي
إني رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما أوصى به فلما رفعت يدي إلى السماء سمعت صوته
بلسان فصيح انصرفي يا أماه فقد قدمت على رب كريم رحيم غير غضبان علي فإنما ضحكت من هذا ومن
المعنى الآخر ما روي أن رجلا من بني إسرائيل أتى عابدا من بني إسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد
فقال له العابد ارفع فوالله لا يغفر الله لك فأوحى الله عز وجل أيها المتألي علي بل أنت لا يغفر الله لك قال
الحارث المحاسبي رضي الله عنه لأنه تألى على الله عز وجل أن لا يغفر الله له لعظم قدر نفسه عنده وأن
الإساءة إليه عند الله عز وجل عظيمة لا يغفرها الله تعالى لموضع عبادته وسجوده لأنه عند نفسه عظيم
القدر عند الله عز وجل فجمع بين عجب وكبر واغترار بالله عز وجل ومن المعنيين جميعا ما روي أن عيسى
عليه الصلاة والسلام خرج ومعه صالح من صالحي بني إسرائيل فتبعهما رجل خاطئ مشهور بالفسق فيهم

(نعمتان ماخرج موجود عنهما) أى هما عامتان لكل موجود (ولابد لكل مكون) أى موجود (منهما) أى لا ينفك عنهما موجود من الموجودات (نعمة الايجاد ونعمة الامداد) الاضافة للبيان فيهما



فقعد متنبذا عنهما متكبرا فدعا الله سبحانه وتعالى وقال اللهم اغفرلى ودعا هذا الصالح وقال اللهم لا تجمع بينى وبين هذا العاصى فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام انى قد استجبت دعاءهما جميعا رددت ذلك الصالح وغفرت لذلك المجرم وروى عن الشعبى أيضا عن الخليل بن أيوب أن رجلا كان فى بنى اسرائيل يقال له خليع بنى اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر من بنى اسرائيل يقال له عابد بنى اسرائيل وعلى رأس العابد غمامة تظله فقال الخليع فى نفسه أنا خليع بنى اسرائيل وهذا عابد بنى اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله عز وجل أن يرحمنى به فجلس اليه فقال العابد فى نفسه أنا عابد بنى اسرائيل وهذا خليع بنى اسرائيل يجلس الى فأنف منه وقال قم عنى فأوحى الله عز وجل الى نبى ذلك الزمن مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وفى حديث آخر فتحولت الغمامة على رأس الخليع قال الحرث المحاسبى وانما أراد الله عز وجل من عباده قلوبهم لتكون جوارحهم تبعا لقلوبهم فاذا تكبر العالم أو العابد وأنف تواضع الجاهل أو العاصى وذل هيبة لله عز وجل وفرقا منه فهو أطوع لله عز وجل من العابد أو لعالم بقلبه ((نعمتان ماخرج موجود عنهما ولابد لكل مكون منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد)) نعمة الايجاد ونعمة الامداد نعمتان لازمتان لكل مكون موجود لانه فى ذاته معدوم متلاش فنعمة الايجاد أزالت العدم السابق ولولا ذلك لم يزل معدوما ونعمة الامداد أزالت العدم اللاحق ولولا ذلك لتلاشى وفنى * قال سيدى أبو مدين الحق تعالى مستبد والوجود مستمد والمادة من عين الوجود فلو انقطعت المادة انهدم الوجود وهذا توطئة لما يريد بيانه من الفقر الذاتى للعبد ((انعم عليك أولا بالايجاد وثانيا بتوالى الامداد)) هذا أحد جزئيات الكلية المتقدمة وهو وجودك ودوام وجودك ومما لا ينبغى أن يتغافل عنه من أنواع هذا الجنس نعمة ايجاد الايمان ومحبة الطاعة فى قلبك وامدادهما وكذلك كراهة الكفر والمعصية فان ذلك من النعم العظيمة التى لا مدخل للعبد فيها ولا له وسيلة اليها ولولا تولى الله تعالى له بتينك النعمتين فى القسمين لتاه فى ظلمات الضلالات وغرق فى بحار الجهالات وقد نبه الله عز وجل على هذا المعنى فى كتابه الكريم فقال عز من قائل ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة * قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه ان من أفكر فى صنوف الضلال وكثرة طرق المحال وشدة أغاليط الناس فى البدع والاهواء وما يتشعب بكل قوم مختلق النحل والآراء ثم أفكر فى ضعفه ونقصان عقله وكثرة تحيره فى الامور وشدة جهله وتناقض تدبيره فى أحواله وشدة حاجته الى الاستعانة بأشكاله فى أعماله ثم رأى خالص يقينه وقوة استبصاره فى دينه ونقاء وجه توحيده عن غبرة الشرك وصفاء عين عرفانه عن رهج الشك علم أن ذلك ليس من طاقته ولا بجهده وكده وسعيه وجده بل بفضل ربه وسابغ طوله قال الله تعالى ذكره وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فهو الظاهر بنعمائه وآثار نعمه عليك متظاهرة والباطن بآلائه وزوائد كرمه لديك متواترة انتهى فعلى العبد أن يعرف قدر هذه النعمة ويتوكل على مولاه فى بقائها وحفظها عليه ولا يعتمد فى ذلك على عقله وعلمه قال بعض العارفين من نظر فى توحيده الى عقله لم ينجه توحيده من النار وعن ذى النون المصرى رضى الله عنه ما هو قريب من هذا من كان فى توحيده ناظرا الى نفسه لم ينجه توحيده من النار حتى يكون نظره اليه فى توحيده اياه عز وجل فهذا هو شكر هذه النعمة العظيمة * قال الشيخ أبو طالب المكى بعد أن ذكر ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله أحبوا الله لما أسدى اليكم من نعمه ولما يغذوكم به أيضا فى أفضل ما غذانا به نعمة الايمان به والمعرفة له وغذاؤه لنا منه دوام ذلك ومدده بروح

لشبحه تقوم به بنيته كالاقوات ومنها ما يكون قوتا لمعناه وروحه كالايمان والعلوم والمعارف فان الانسان شيآ الاول عام للمؤمنين والكافرين كنعمة الايجاد والثانى خاص بالمؤمنين * ثم ذكر ما هو كالنتيجة لما تقدم بقوله

ذاتك أن معنى الإيجاد والإمداد لازمتان لك والمليء ذاتك عدم لولا إعطاء الفاقة الذاتية لك والاضطرار لازم
المولى في امداد وجودك وفي ادامته عليك لكن هذا الاضطرار يخفى على غالب الناس ويغفلون عنه ابدا من
زة أموالهم فيغيبون حينئذ عن صفتهم الذاتية وعن مولاهم فيورد عليهم أسباب الاضطرار ليذكرهم ذلك
أي أسباب الاضطرار وهي الامور القهرية من مرض وجوع وعطش وحر وبرد وغير ذلك (مذكرات لك بما
م (خفي عليك منها) أي الفاقة والاضطرار فاذا كنت في غفلة من اضطرارك الذاتي وأورد عليك مرضا أو فقرا
لك صفتك الذاتية بعد أن كانت مغطاة عنك بالصحة والجدة فتقوم حينئذ بحق العبودية وتدعو ربك (٧٣)

منه وتشتغل عليه في تصريف الأحوال اذ هو أصل الأعمال التي هي مكاسب النوال فلو قلب قلوب أهل
التوحيد كما يقلب جوارحهم في الذنوب ولو قلب قلوب أهل الشك والضلال كما يقلب بالمعاني الاعمال أي
شيء كان يصنع وعلى أي شيء كانوا يقدرون وأي شيء كانوا يملكون وروي هذا من أعظم العلم ومعرفة
هو شكر نعمة الايمان والجهل به داعية عن نعمة الايمان توجب الفقر بفوات الايمان أي من
كسب معقول أو استطاعة قوة وحول هو كفر نعمة الايمان وأعانه على من توهم ذلك أن يسلب
الايمان لا يعدل شكر نعمة الله كفر الايمان كلام الشيخ أبي طالب رضي الله عنه وهو حسن في هذا
المعنى (فاقتك لك ذاتية وورود الأسباب مذكرات لك بما خفي عليك منها والفاقة الذاتية لا ترفعها
العوارض) اذا ثبت أن معنى الايجاد والامداد لازمتان لك وأن حقيقة ذاتك عدم لولا ايجاده فالفاقة الذاتية
لك والاضطرار لازم لوجودك وان كنت غنيا بوجود النعمتين المذكورتين فان ذلك أمر عرضي
والامور الذاتية لا ترفعها الامور العرضية وانما أورد عليك الأسباب التي تضاد وجودك أو بقاء وجودك
ليذكرك بذلك ما خفي عليك من وجود الفاقة الذاتية لك والاضطرار اللازم لوجودك فلا تزم من ذلك
وتقوم بحق عبوديتك ولا تجاوز حدك وطورك قال بعضهم انما حمل فرعون على قوله أنا ربكم
الأعلى طول العافية والغنى لبث أربعمائة سنة لم يتصدع رأسه ولا حم جسمه ولم يضرب عليه عرق
ولو ابتلي بالوجع ولو أخذته الشقيقة ساعة واحدة أو المليلة لم يرد لشغله بذلك عن دعوى الربوبية
* قال في لطائف المنن الاضطرار وصف حقيقة العبد اذ هو ممكن وكل ممكن مضطر الى ممد يمده وممد
عدد وكان الحق سبحانه هو الغني أبدا عما سواه مضطر اليه أبدا ولا يزول عن العبد هذا الاضطرار لا في
الدنيا ولا في الآخرة ولو دخل الجنة فهو محتاج الى الله تعالى فيها غير أنه حمى اضطراره في المنة التي
أورعت عليه ملابسها وهداه وحكم الحقائق اذ لا تختلف حكمها لا في الغيب ولا في الشهادة ولا في
الدنيا ولا في الآخرة ولهم لصحته الكشف أي علم كان في أي وقت كان ولا زيادة سفتها التفصيل أي
ارادة كان في أي وقت كان ومن أسقط أوراده لم تفارقه اضطراره وقد عتب الله أقواما اضطروا
اليه عند وجود أسباب ألجأتهم الى الاضطرار فلما زالت زال اضطرارهم قال سبحانه واذا مسكم
الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه الآية وقال واذا مس الانسان الضر دعانا الآية قل من ينجيكم من
ظلمات البر والبحر الآية الى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى ولما لم تصل عقول العوام الى
ما تطلبه حقائق وجودهم سلط الحق عليهم الأسباب المثيرة للاضطرار ليعرفوا فرط ربوبيته وعظمة
الهيبته انتهى (خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد فيه الى وجود ذلتك) انما كان

الذاتية لا ترفعها العوارض) وهذا معنى قوله فاقتك لك ذاتية أي ان الاضطرار لازم لوجودك هذا
معنى المذكورين بأن ذلك أمر عرضي والامور الذاتية لا ترفعها الامور العرضية فما يحصل للعبد من النعمة
الاشياء كالم الموع يده لا يزيل الفاقة الذاتية لانه يجوز في حقه تعالى أن يزيل ذلك ويبدله بضده (اقتضى
بر أوقاتك) أيها المريد الصادق (وقت تشهد فيه وجود فاقتك) بان يزوي عنك الدنيا وشهواتها (وترد فيه
الى ذلك) أي حقرك وانما كان هذا خير الاوقات لك لوجود حضورك فيها مع ربك وانقطاع تعلقك من الوسائط
للشيء بخلاف الوقت الذي تشهد فيه وجود غناك وعزك فان نفسك تبرأ منك حكي عن عطاء السلمي أنه لقي
لعام ولم يقدر على شيء من قلبه بذلك

وقال يارب ان لم تطعمني ثلاثة أيام أخر لاصلين لك ألف ركعة وقيل ان فتحا الموصلي رضي الله عنه رجع ليلة الى
ولا حطبا فأخذ يحمد الله ويتضرع اليه ويقول الهي باي سبب وباي وسيلة  و

هذا خير الاوقات لك لوجود حضورك فيها مع ربك وانقطاع نظرك عن الوسائط والاسباب الموجبة لبعدك
وحجبك فهي لامحالة خير أوقاتك وهي مواسمك وأعيادك حسبما بقوله المؤلف رحمه الله تعالى بعد هذا
* حكي عن عطاء السلمي رضي الله عنه أنه بقي سبعة أيام لم يذق شيأ من الطعام ولم يقدر على شئ فسر قلبه
بذلك غاية السرور فقال يارب ان لم تطعمني ثلاثة أيام أخر لاصلين لك ألف ركعة وقيل ان فتحا الموصلي رضي
الله عنه رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشاء ولا سراجا ولا حطبا فأخذ يحمد الله تعالى ويتضرع اليه ويقول
الهي لاي سبب وبأي وسيلة واستحقاق عاملتني بما عاملت به أولياءك وقال بشر الحافي رضي الله عنه
بلغني أن بنت الفتح الموصلي عريت فقيل له ألا تطلب من يكسوها فقال لا أكسوها حتى يرى الله عريها
ويصبر عليها قال فكان اذا كان ليالي الشتاء جمع عياله ومال بكسائه عليهم ثم قال اللهم أفقرتني وأفقرت
عيالي وجوعتني وجوعت عيالي وأعريتني وأعريت عيالي باي وسيلة توسلت اليك وانما تفعل هذا
بأوليائك وأحبابك فهل أنا منهم حتى أفرح وقيل ان الفضيل بن عياض رضي الله عنه بكى في ليلة فرة ثم
قال الهي أجعتني وأجعت عيالي وأعريتني وأعريت عيالي وأقعدتني وأقعدت عيالي في بيت ليس فيه
مصباح وقد كنا نفعل هذا بأوليائك وأهل طاعتك الهي فبأي عمل أستحق هذا منك حتى أدوم لك عليه
* وقيل للربيع بن خيثم رضي الله عنه قد غلا السعر فقال نحن أهون على الله من أن يجيعنا انما يجيع
أولياءه ((متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الانس به)) فتح باب الانس بالله تعالى هو
الاستيحاش من الناس ولذلك قيل الاستئناس بالناس من علامات الافلاس فاذا فتح لك هذا الباب
استوحشت من الاغيار كلها وتحققت في أنسك بربك ومعنى الوحشة منها أن تشمئز بقلبك منهم وتنقبض
عنهم بسرك ولا يكون للاشياء وقع عندك ولا تجد فيها متنفسا لك كما جاء عن أبي يزيد البسطامي رضي الله
عنه حين اطلع على أنواع من العجائب ووجه بسني الرغائب وكشف له عن الملكوت الاعلى فقيل له هل
استحسنت منها شيأ فقال لم أر شيأ أستحسنه فقيل له أنت عبد الله حقا فاذا كان العبد على هذا الوصف
كان ذلك علامة على تحققه بمقام الانس ونزوله في حضرة القدس وسيأتي هذا المعنى في قوله في مناجاته
أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم ((متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك)) اطلاق
اللسان بالطلب هو أن يحل عنه عقدة الصمت الذي أوجبه الاستغناء بالاغيار وعدم رؤية الفاقة
والافتقار فاذا حل عنه هذه العقدة بشهود فقره وفاقته وأطلق لسانه بالطلب كان اذ ذاك داعيا بلسان
الاضطرار وكان مجاب الدعوة لصدق الوعد باجابة دعوة المضطر والله لا يخلف الميعاد وأنشدوا

لو لم ترد نيل ما أرجوه من طلب * من فيض جودك ما ألهمتني الطلبا

وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أذن له في
الدعاء منكم فتحت له أبواب الرحمة وما يسئل الله شيأ قط أحب اليه من أن يسئل العفو والعافية في الدنيا
والآخرة وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أعطي الدعاء لم يحرم الاجابة قال الشيخ
أبو بكر الخفاف رضي الله عنه وكيف لا يجيبه وهو يحب صوته ولولا ذلك ما فتح له باب الدعاء وعن أنس
ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا
وسحه عليه سحا فاذا دعا قالت الملائكة صوت معروف وقال جبريل يارب عبدك فلان اقض حاجته فيقول
الله دعوا عبدي فاني أحب أن أسمع صوته فاذا قال يارب قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك لا تدعوني
بشئ الا أستجيب لك ولا تسألني شيأ الا أعطيتك اما أن أعجل لك ما سألت واما أن أدخر لك عندي أفضل

 الاضطرار (فاعلم أنه يريد أن يعطيك) أي يحصل لك مطلوبك لصدق الوعد باجابة الدعاء
الميعاد ولقوله عليه الصلاة والسلام من أعطي الدعاء لم يحرم الاجابة أي اما بعين المطلوب أو بغيره عاجلا أو آجلا
الدعاء صادرا عن اختيار وقصد أما اذا جرى على لسانه من غير قصد فان الاجابة بعين المطلوب لا تكاد تتخلف

اره) أي احتياجه بل هو دائم مستمر لشهوده قبضة الله الشاملة المحيطة ولمعرفته بنفسه وبما هي عليه من الفاقة
بخلاف غيره فانه تارة يضطر فيدعو وتارة يدعو من غير اضطرار وذلك أن اضطرار العامة بمثيرات الاسباب
مشهدهم واذا زالت زال اضطرارهم ولو شهدوا قبضة الله الشاملة المحيطة لعلموا أن اضطرارهم الى الله تعالى دائم
قراره) أي لا يركن ولا يستند بقلبه لغير الله تعالى لوجود وحشته من الاشياء ونفوره بقلبه عنها كما تقدم بيانه
استيحاش من الخلق واطلاق اللسان بالطلب نعتان من نعوت العارفين ثم قال (أنار الظواهر) أي المكونات من
جعلها منيرة (بأنوار آثاره) أي آثار أوصافه أي بأنوار الكواكب من شمس وقمر ونجوم التي هي آثار لا وصافه
صارت مكشوفة لنا بأنوار الكواكب وحينئذ ترى المكونات وبأخذ ... الظواهر



منه وأما أن أدعو عليك من السلاء ما هو أعظم من ذلك ((العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله
قراره)) معرفة العارفين هي معرفتهم بأنفسهم وبما هي عليه من الفاقة والافتقار الى العزيز الجبار وبقدر
ما يتحققون بذلك من أنفسهم تكون معرفتهم بالله عز وجل كما جاء في الخبر من عرف نفسه عرف ربه
فلذلك كان العارف لا يفارقه الاضطرار * قال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه في قوله تعالى أمن
يجيب المضطر اذا دعاه الولي لا يزال مضطرا قال الاستاذ تاج الدين بن عطاء الله قدس الله سره معنى كلام
الشيخ هذا أن العامة اضطرارهم بمثيرات الاسباب واذا زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة دائرة الحس
على مشهدهم ولو شهدوا قبضة الله تعالى الشاملة المحيطة لعلموا أن اضطرارهم الى الله تعالى دائم وأما لم
يكن له مع غير الله قرار لوجود وحشته من الاشياء ونفوره بقلبه عنها كما تقدم وكأنه رحمه الله قصد بذا أن
يعلمك أن ما تقدم له من الاستيحاش من الخلق واطلاق اللسان بالطلب من الحق نعتان من نعوت العارفين
((أنار الظواهر بأنوار آثاره وأنار السرائر بأنوار أوصافه لاجل ذلك أفلت أنوار الظواهر ولم تأفل أنوار
القلوب والسرائر ولذلك قيل

ان شمس النهار تغرب بالليـ * ـل وشمس القلوب ليست تغيب))

أنوار الظواهر التي بها أنارها الحق تعالى هي الادراكات والاحساسات والحركات التي اتصف بها ظاهر
العبد وأنوار السرائر التي بها أنارها الحق تعالى هي المعارف والعلوم واللطائف الادراكات والفهوم التي
اشتمل عليها باطنه وسره فأنوار الظواهر متعلقة بأنوار الآثار الحادثات وأنوارها معانيها واللطائف
المنحكة فيها وأنوار السرائر متعلقة بأنوار الصفات الازليات ولاجل اختلاف التعلقين في
الحدوث والقدم والغنى والفقر والفناء والبقاء كان ما ذكره المؤلف رحمه الله من أفول أنوار ما تعلق
بالحادث الفاني وعدم أفول أنوار ما تعلق بالقديم الباقي ثم أنشد المؤلف البيت المذكور مستشهدا به
على ما ذكره ومعناه بين وقبله

طلعت شمس من أحب بليل * واستضاءت فما لها من غروب

وفي هذا تنبيه على أن الامور الباقية هي التي ينبغي أن يغتبط بها ويفرح بحصولها ويعتنى بتربيتها
ومراعاة حالها بخلاف الامور الفانية الآفلة وحينئذ يكون العبد على ملة ابراهيم عليه السلام
حيث قال لا أحب الآفلين ويروى أن رجلا سأل سهل بن عبد الله رضي الله عنه عن القوت فقال
هو الحي الذي لا يموت فقال انما سألتك عن القوام فقال القوام هو العلم فقال سألتك عن الغذاء

ر الى الظواهر باعتبار كونه منورا لها والا فهو قائم بالكواكب (ولم تأفل) فقال
(أنوار القلوب والسرائر) أي الانوار الناشئة عن مشاهدة الصفات القديمة التي لا تزول وما ينشأ عن القديم
طبيعته بالاوصاف البشرية بالنسبة للعارفين ثم تزول وذلك النور ثابت في قلوبهم (ولذلك) أي لاجل أفول أنوار
ار السرائر (قيل) أي قال الشاعر (ان شمس النهار تغرب بالليل) أي واذا غربت ذهب ضوؤها (وشمس
غربت مدور نصفه الباء وقبله طلعت شمس من أحب بليل * فاستضاءت فما لها من غروب وفي هذا
انية هي التي ينبغي أن يغتبط بها ويفرح بحصولها ويعتنى بتربيتها ومراعاة حالها بخلاف الامور الفانية الآفلة
ملة ابراهيم عليه السلام حيث قال لا أحب الآفلين

فقال الغذاء هو الذكر فقال انما سألتك عن طعم الجسد فقال مالك وللجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخرا اذا دخلت عليه علة فرده الى صانعه أما رأيت الصنعة اذا عيبت رددتها الى صانعها حتى يصلحها وفى معناه أنشدوا

كمل حقيقتك التى لم تكمل * والجسم دعه فى الحضيض الاسفل
أتكمل الفانى وتترك باقيا * هملا وأنت بامره لم تحفل
فالجسم للنفس النفيسة آلة * مالم تحصله بها لم تحصل
يفنى وتبقى دائما فى غبطة * أو شقوة وندامة لا تنجلى
أعطيت جسمك خادما تخدمته * أتملك المفضول رق الافضل
شرك كثيف أنت فى أحباله * مادام يمكنك الخلاص فجعل
من يستطيع بلوغ أعلى منزل * ماباله يرضى بأدنى منزل

((وقيل فى هذا المعنى أيضا))

ياخادم الجسم كم تشقى لخدمته * وتطلب الربح فيما فيه خسران
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها * فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

((ليخفف ألم البلاء عليك علمك بانه سبحانه هو المبلى لك فالذى واجهتك منه الاقدار هو الذى عودك حسن الاختيار)) اذا علم العبد ان الله تعالى رحيم به ومستعطف عليه وناظر اليه فكل مايورده عليه من أنواع البلايا والرزايا ينبغى له أن لا يكترث بذلك ولا يباليه فانه لم يتعود منه الا خيرا له فليحسن به ظنه وليعتقد أن ذلك اختيار له وان فى ذلك مصالح خفية لا يعلمها الا هو كما قال الله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم * قال أبو طالب المكى فى هذه الآية فالعبد يكره العيلة والفقر والخمول والضر وهو خير له فى الآخرة وقد يحب الغنى والعافية والشهرة وهو شر له عند الله تعالى وأسوأ عاقبة * وفى معنى ذلك قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل ظاهرة العوافى وباطنة البلايا لانها نعمة فى الآخرة فاذا كل مايصيب المؤمن فهو نعمة كائنا ما كان فلله الحمد على نعمه قال فى التنوير انما يقويهم على حمل أقداره شهود حسن اختياره وأنشد فيه لنفسه بقوله

وخفف عنى ما ألاقى من العنا * بانك أنت المبتلى والمقدر
وما لامرئ عما قضى الله معدل * وليس له منه الذى يتخير

وكان الاستاذ أبو على الدقاق رضى الله عنه يقول خرجت مرة وكنت فى صورة وحشة من ذلك فدخلت الحمام فقذف على قلبى بشئ من الرضا فكنت ألثم كل واحدة من تلك القروح فخرجت ولم يبق منها أثر (وقال) الاستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه سمعت الاستاذ أبا على الدقاق يقول فى آخر عمره وقد اشتدت به العلة من أمارات التأييد حفظ التوحيد فى أوقات الحكم ثم قال كالمفسر لقوله مشيرا الى ما كان فيه من حاله هو أن يقرضك بمقاريض القدرة فى امضاء الاحكام قطعة قطعة وأنت ساكن خامد وقال الجنيد رضى الله عنه كنت نائما عند سرى السقطى رضى الله عنه فنبهنى وقال لى ياجنيد رأيت كأنى قد وقفت بين يديه فقال لى ياسرى خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتى فخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقى معى العشر وخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر وبقى معى عشر العشر وخلقت النار فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر عشر العشر فقلت للباقين معى لا الدنيا أردتم ولا الجنة أخذتم ولا من النار هربتم ولا من البلاء فررتم فماذا تريدون قالوا انك لتعلم مانريد فقلت لهم انى أسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم مالا تقوم به الجبال الرواسى أتصبرون قالوا اذا كنت أنت المبتلى فافعل ماشئت فهؤلاء عبادى حقا

(من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره) قصور النظر في عدم رؤية اللطف في القدر
انما هو من ضعف اليقين وقلة حسن الظن بالمقدر الحكيم ولو كمل نظر العبد وقوي بصره لرأى في
ذلك من الفوائد والمصالح ما لا يحصى وما غاب عنه أكثر ولذلك كما روي عن بعض الصالحين
العارفين أنه قال لقد مرضت مرضة فأحببت أن لا تزول وكان عمران بن الحصين رضي الله عنه قد
استسقى بطنه فلبث ملقى على ظهره منبطحا ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له على سرير من جريد
وكان تحته نقب لحاجته وبوله فدخل عليه مطرف أو أخوه العلاء بن الشخير فجعل يبكي لما رأى
من حاله فقال له لم تبكي قال لأني أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فإن أحبه إلي أحبه الله تعالى
إلي ثم قال أحدثك شيئا لعل الله تعالى ينفعك به واكتم علي حتى أموت إن الملائكة تزورني فآنس
بها وتسلم علي فأسمع تسليمها * وقال بعضهم دخلنا على سويد بن شعبة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا
أن تحته شيئا حتى كشف فقالت له امرأته أهلي فداؤك ما نطعمك وما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت
الحراقيف وأصبحت نضوا ما أطعم طعاما ولا أسيغ شرابا منذ كذا فذكر أياما ثم قال ما يسرني أني
نقصت من هذا قلامة ظفر فهؤلاء شاهدوا في البلايا عطايا وفي محنه منته وفي عنفه لطفه فأوجب
لهم ذلك من الرضا عنه فيه والتنعم به والتلذذ ما حملهم على أن لا يختاروا زوال ذلك عنهم ولا نقصانه
ووجوه الألطاف والمنن في البلايا لا تحصى ولكنا نذكر منها ههنا ما يزداد المريد به قوة وحسن ظن بربه
عز وجل ويحمله ذلك على القيام بواجبها فنقول البلايا التي يبتلي الله بها عباده مناقضة لإراداتهم
ومنغصة لشهواتهم وكل ما أرغم النفس وعكسها وآلمها فهو محمود العاقبة من قبل أن ذلك راده إلى الله
تعالى وملازمة بابه بصدق الالتجاء والافتقار وهذا هو أعظم فوائد البلايا ويجد ذلك من نفسه كل من نزلت
به بلية أو أصابته رزية وفيها أيضا ضعف النفس وذهاب قوتها وبطلان صفاتها المذمومة وذلك يمنع العبد
في الذنوب والمعاصي وتنكسر به الرغبة في الدنيا والحرص على اتباع الهوى وقد قيل لا يخلو المؤمن
من علة أو قلة أو ذلة أو زمانة أو فاقة وفي الخبر عن الله تعالى الفقر سجني والمرض قيدي أحبس بذلك
من أحببت من عبادي وفيها أيضا تحصل له طاعات القلوب وأعمالها وذرة منها خير من أمثال الجبال
من أعمال الجوارح وذلك مثل الصبر والرضا والزهد والتوكل وحب لقاء الله تعالى قيل لعبد الواحد
ابن زيد رضي الله عنه ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال حبيبي أخبرني عنك هل قنعت به
قال لا قال فهل أنست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فإنما مزيدك منه الصلاة والصيام قال نعم
قال لولا أني أستحيي منك لأخبرتك أن معاملتك خمسين سنة مدخولة قال أبو طالب المكي رضي الله
عنه أراد بذلك أنه لم يفتح لك باب عمالك إلى مقامات المقربين فيوجدك مواجيد العارفين فيكون مزيدك منه
أعمال القلوب التي يستعمل بها كل محبوب مطلوب لأن القناعة به حال الموقن والأنس به مقام
المحب والرضا وصف المتوكل أي إنما أنت عنده في طبقة أصحاب اليمين فمزيدك منه مزيد العموم من
أعمال الجوارح وهذه إشارة إلى ما قلناه من أفضلية أعمال القلوب على أعمال الجوارح فمن وفقه الله
تعالى إلى منازلة هذه المقامات وتوفية حقوقها في البلايا النازلة به فقد حصل على كنوز البر وذكر أبو
ابراهيم إسحق بن ابراهيم التجيبي القرطبي المالكي رحمه الله في كتاب النصائح له أن عروة بن الزبير رضي
الله عنه اشتكى قرحة في ساقه فلعت به إلى نشر عظم ساقه في الموضع الصحيح منها فقال له الأطباء ألا
نسقيك مرقدا فلا تحس بما نصنع بك فقال لا ولكن شأنكم فنشرت الساق ثم حسموها بالنار
فما حرك عضوا ولا أنكر تامة حتى مسته النار فما زاد على أن قال حسي وأصيب حينئذ ابنه محمد وكان
من أحب ولده إليه فلما رأى القدم بيد بعضهم قال أما إن الله تعالى يعلم أني لم أمش بها إلى معصية قط
ثم قال يا غلام اغسلها وكفنها وادفنها في مقبرة المسلمين ثم جعل يقول لئن أخذت لقد أبقيت ولئن

ابتليت لقد عافيت ولئن أخذت لقد طالما أعطيت وذكر ابن قتيبة فى عيون الاخبار له عن المدائنى قال قدم رجل من عبس ضرير محطوم الوجه على الوليد فسأله عن سبب ضرره فقال بت ليلة فى بطن واد ولا أعلم على وجه الارض عبسيا يزيد ماله على مالى فطرقنا سيل أذهب ما كان لى من مال وأهل وولد الا صبيا رضيعا وبعيرا صعبا فند البعير والصبى معى فوضعته واتبعت البعير لاحبسه فما جاوزت الا ورأس الولد فى بطن الذئب قد أكله فتركته واتبعت البعير فاستدار فرمحنى رمحة حطم بها وجهى وأذهب عينى فأصبحت لا ذا مال ولا ذا أهل ولا ذا ولد ولا ذا بدن فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم أن فى الناس من هو أعظم بلاء منه وروى عن عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه أنه خرج مع بعض اخوانه الى ناحية من نواحى البصرة فآواهم السير الى كهف جبل فاذا فيه عبد مقطع بالجذام يسيل جسده قيحا وصديدا فقالوا له يا هذا لو دخلت البصرة فتعالجت من هذا الذى بك فرفع طرفه الى السماء وقال يا سيدى بأى ذنب سلطت هؤلاء على ليسخطونى عليك ويكرهونك الى سيدى لك العتبى من ذلك الذنب وأستغفرك منه ولا أعود فيه أبدا قال ثم أعرض عنا بوجهه فانصرفنا وتركناه وروى عن بشر بن الحرث الحافى رضى الله عنه أنه قال رأيت بعبادان رجلا قد قطعه البلاء وقد سالت حدقتاه على خديه وهو مع ذلك كثير الذكر عظيم الشكر لله تعالى قال واذا هو صرع من جنة به قال فوضعت رأسه فى حجرى وجعلت أسأل الله تعالى أن يكشف ما به وأدعو فأفاق فسمع دعائى فقال من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربى ويعترض عليه فى نعمته على ونحى رأسه من حجرى قال بشر فعاقدت الله تعالى أن لا أعترض على عبد فى نعمة أراها عليه من البلاء وقد روى فى بعض الاخبار أن يونس وجبريل عليهما الصلاة والسلام التقيا فقال يونس لجبريل دلنى على أعبد أهل الارض فأتى به على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه قال واذا هو يقول متعتنى بهما حيث شئت وسلبتنيهما حيث شئت وأبقيت لى فيك الامل يا بر يا وصول فقال يونس يا جبريل انما سألتك أن ترينى صواما قواما قال ان هذا كان قبل البلاء هكذا وقد أمرت أن أسلبه بصره فأشار الى عينيه فسالتا فقال متعتنى بهما حيث شئت وسلبتنيهما حيث شئت وأبقيت لى فيك الامل يا بر يا وصول فقال جبريل هلم تدعو وندعو معك أن يرد الله عليك يديك ورجليك وبصرك فتعود الى العبادة التى كنت فيها فقال ما أحب ذلك قال ولم قال اذا كانت محبته فى هذا فمحبته أحب الى من ذلك قال يونس يا جبريل والله ما رأيت أحدا أعبد من هذا قال جبريل يا يونس ان هذا طريق ليس يوصل الى رضاه بشئ أفضل منه وفى الخبر اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضى اصطفاه وفيها أيضا يحصل له كفارة الذنوب والخطايا ويستوجب من الله جزيل الهبات والعطايا ولا سبيل له الى ذلك الا بما يرد عليه من أنواع البلايا لان العبد قد يعجز عن القيام بوظائف الطاعات ويتكاسل عن المواظبة على نوافل الخيرات فيكون حينئذ محروما من ثوابها غير حاصل له تكفير سيآته بها وان قدر عليها ولم يتكاسل عنها لم يأمن تخليصها من الشوائب وتسليمها من الآفات والمعايب وحينئذ يبطل عمله ويخيب من انتفاعه به أمله فليحسن العبد ظنه بمولاه وليعلم أن ما اختاره له خير له مما يختاره لنفسه بشهوته وهواه فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للرجل الذى قال له أوصنى قال لا تتهم الله فى شئ قضاه عليك وذكر مسلم رحمه الله من حديث صهيب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المؤمن ان أمره كله خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان أصابه شر فشكر كان خيرا له وان أصابه ضر فصبر كان خيرا له وذكر البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه الا كفر الله به من سيآته وذكر أيضا من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله تعالى عنه به سيئاته كما تحط
الشجرة أوراقها وذكر البخاري ومسلم أيضا من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من مسلم يشاك بشوكة فما فوقها إلا كتبت له درجة ومحيت عنه بها خطيئة وذكر
البخاري أيضا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وفي
حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المريض إذا برئ وصح من
مرضه كمثل البردة تقع من السماء في صفائها ولونها وروي عن عيسى عليه السلام أنه قال لا يكون
عالما من لم يفرح بدخول المصائب والأمراض على جسده وماله لما يرجو بذلك من كفارة خطاياه وروي
عن نبينا صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة في الحمى والغمى وغير ذلك وروى البزار من حديث أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وعليه حمى فوجد
حرها من فوق اللحاف فقال ما أشدها عليك يا رسول الله قال إنا كذلك يشدد علينا البلاء ليضاعف لنا
الأجر قال يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الصالحون لئن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى
ما يجد إلا العباءة يحويها وإن كان أحدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما
يفرح أحدكم بالرخاء وقيل في معنى قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين أي من
الآثام والذنوب بالحمى والأمراض كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه للحمى اذهبي إلى
أهل قباء وقد روي في بعض الأخبار بدلا من أهل قباء الأنصار وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى
يوما شخصا أسود فقال من أنت فقالت أم ملدم آكل اللحم وأشرب الدم وحري من فيح جهنم شورة الحمى
فقال عليه السلام اذهبي إلى الأنصار وإن لهم علينا حقا وقال فأصبح النبي صلى الله عليه وسلم ولم ير أحدا
من الأنصار يحضر الصلاة فطلبهم فقيل أخذتهم الحمى فقال قوموا بنا نعودهم فقال لهم إن الحمى طهارة
وكفارة فقالوا يا رسول الله ادع الله لنا حتى يريد بأمنها وذكر مسلم رحمه الله من حديث جابر رضي الله
عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال ما لك يا أم السائب أو
يا أم المسيب تزفزفين قالت الحمى لا بارك الله فيها فقال لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب
الكير خبث الحديد وذكر البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول إن الله عز وجل قال إذا ابتليت عبدي المؤمن بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة
يريد عينيه كذا قال في آخر الحديث من قول أحد الرواة والحبيبتان هما العينان وهما الكريمتان أيضا
وروي أن أنس بن مالك وأبا ظلال رضي الله عنهما كانا في بيت ثابت البناني فقال أنس يا أبا ظلال متى
فقدت بصرك قال وأنا صبي لا أعقل فقال ألا أحدثك حديثا حدثنيه حبيبي رسول الله صلى الله عليه
وسلم يرويه عن جبريل ويرويه جبريل عن ربه عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال
سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي ومن طريق هلال بن سويد
وهو أبو ظلال المذكور أنه سمع أنسا رضي الله عنه يقول مر بنا ابن أم مكتوم وسلم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ألا أحدثكم بما حدثني به جبريل عليه السلام عن هذا وأمر به الذي ذهبت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني جبريل أن الله عز وجل يقول حق على من أخذت كريمتيه
ليس له جزاء إلا الجنة وفي حديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أصيب عبد بعد ذهاب دينه
بأشد من ذهاب بصره وما ذهب بصر عبد فصبر إلا لقي الله ولا حساب عليه وذكر البخاري ومسلم
رحمهما الله تعالى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة سوداء أتت النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت يا رسول الله إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال إن شئت صبرت ولك الجنة وإن
شئت دعوت الله أن يعافيك قالت أصبر قالت وإني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف فدعا لها إلى غير

(لايخاف عليك) اذا كنت متلبسا بحال من الاحوال كطاعة أو معصية أو نعمة أو بلية (أن تلتبس الطرق عليك) التي توصلك الى ربك عند تلبسك بحال من تلك الاحوال لان الشريعة مبينة لذلك فان من نظر في الكتاب والسنة و في الطاعة أن تشهد منته بها عليك وفي المعصية الاستغفار والتوبة منها وفي النعمة الشكر عليها وفي البلية الصبر عليك) في هذه الاحوال (من غلبة الهوى عليك) حتى يعميك عن رؤية طريق قصدك عما ذكر بأن تعجب بالطاعة وتستثقل النعمة فلا تشكرها وتجزع في البلية ويحتمل أن المعنى لايخاف عليك أيها المريد الصادق أن تلتبس الاعمال الموصلة الى الله من صلاة وصيام وذكر أي يلتبس عليك (٧٩) الاولى منها لقصير تعم

ذلك مما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب مما لايحصى كثرة وفيها أيضا يحصل له تجديد التوبة وأداء الحقوق والتبعات والظلامات وكثرة الاستغفار وحسن التذكار وكثرة ذكر الموت اذ ذاك أبلغ مايذكر به فقد قيل الحمى بريد الموت وقد قيل في قوله تعالى أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لايتوبون ولاهم يذكرون أي يختبرون بها وفي حديث عائشة وأنس رضي الله عنهما قيل يارسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم قال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة وفي لفظ الحديث الآخر من يذكر ذنوبه فتحزنه وقد كان السلف رضي الله عنهم يستوحشون اذا خرج عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس أومال ويقال لايخلو المؤمن في كل أربعين يوما أن يراع روعة أو يصاب بنكبة وكانوا يكرهون فقد ذلك في هذا العدد من غير أن يصابوا فيه بشئ وفيها أيضا يقع له خلف مايفوته من الطاعات ونوافل العبادات فيكتب له في مرضه مثل ما كان يعمل من ذلك في صحته وذلك أبلغ له في الوصول الى غرضه لانه من اختيار الله تعالى له وهو خير مما اختاره لنفسه وفي الخبر يقول الله تعالى للملائكة اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمله في صحته فانه في وثاقي ان أطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي وفي الحديث الصحيح من حديث أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد أوسافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا الى غير ذلك من الالطاف التي لايعلمها وانما ذكرنا هذه المعاني ههنا لانها لائقة بكلام المؤلف رحمه الله وكأنها مفسرة له وأيضا فان العبد محتاج اليها غاية الاحتياج لانه في حال نزول البلايا يتسخط ويجزع ويضطرب ايمانه ويتزلزل ايقانه فيحتاج الى مذكر يذكره بأمثال هذه المعاني ليحصل له بذلك من الرضا وحسن الظن بالله تعالى او المحبة له مايرجى له بذلك ان مات من فوره حسن الخاتمة وحب لقاء الله تعالى والاعمال بخواتيمها وهذا الغرض هو الذي أوجب لنا في هذا الفصل الاكثار من الحكايات واظهار نسبة أكثر الاحاديث فيه الى رواتها الثقات لتطمئن قلوب أهل البلاء بذلك وتسلك الى الله واضحات تلك المسالك والله ولي التوفيق ((لايخاف عليك أن تلتبس الطرق عليك وانما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك)) الطريق الى الله تعالى واضحة لاتخفى لان الحق تعالى هو الذي تولى ذلك وبه أنزل الكتب وأرسل الرسل ونصب عليه الادلة والبراهين فلا يخاف على العبد من التباسها عليه وانما يخاف من غلبة الهوى عليه حتى يعميه ذلك عن ربه قال أحمد بن خضرويه البلخي رضي الله عنه الطريق واضح والحق لائح والداعي قد أسمع فما التحير بعد هذا الامن العمى ((سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية في اظهار العبودية)) سر الخصوصية هو حقيقة المعرفة التي اختص بها أهل ولاية الله تعالى بحيث لايبقى معها وجود لغير ولا كون وذلك لما جعله فيهم من التهيئ والقابلية فن لطيف حكمة الله تعالى

الصنعة التي يتعاطاها ومخاصمته للناس في حال معاملته معهم وقد يظهر الله آثار الخصوصيات على بعض الـ تعالى ليتكمل بهم غيرهم (وظهر) للعباد (بعظمة الربوبية) أي بربوبيته العظيمة (في اظهار) آثار (الـ الاحوال التي تطرأ على العبيد فتقتضي افتقارهم للرب كالمرض والفقر فان العبد اذا قام به حال من تلك الاحوال وظهر له عظمة ربوبيته أي ربوبيته العظيمة أي أن له ربا بالكماله يزيل عنه ماقام به ولولا ذلك لم يعرفه فعظمه العباد من وراء حجاب العبودية ولولا ذلك لكان باطنا لايظهر ولذا قال الشاذلي قدس سره العبودية جوهرة
فسبحان اللطيف الخبير

نعترض عليه وتنسى ما أنت به (إ)...ب (تأخر مطلبك) أي ما طلبته منه ما طلبنا كان كالخصوصيات أو نظائرها

إذا طلبت (٨٠) منه شيئا ولم يسرع لك الإجابة فلا تسئ به ظنك ولا تطالبه بالوفاء بذلك فإنه يفعل ما يشاء لا يسأل

أي ستر ذلك عما أظهره من البشرية التي من لوازمها وجود الغير والكون ولولا هذا الستر لكان سر الله مبتذلا غير مصون كما قال في لطائف المنن ولا بد للشمس من سحاب وللحسناء من نقاب ثم أن من حقيقة ظهور البشرية الاتصاف بصفة الافتقار والاحتياج وغير ذلك من أوصاف الحدوث وذلك وجه حقيقة التعبد والسالة فظهر لنا من ذلك لزوم وجود العبودية وهذه هي عظمة الربوبية التي ظهرت لنا من وراء حجاب العبودية ولولا ذلك لكان باطنا لا ظاهرا كما قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه العبودية جوهرة أظهرتها الربوبية فسبحان اللطيف الخبير من هو على كل شئ قدير والشيخ الذي ذكره المؤلف رحمه الله ههنا في غاية المناسبة لما ذكره من المعنى (لا تطالب ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك) إذا دعوت ربك وسألت منه مطلبا من المطالب ولم تظهر لك الإجابة فحسن بظنك ولا تطالبه بالوفاء بذلك فإنه يفعل ما يشاء لا يسأل عما يفعل ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك فإنما أهل المطالبة لزومها أدبها من وجوه أحدها أنك دعوت لتجاب في دعائك ويحصل لك بذلك غرض وهذا مما يقدح في كمال عبوديتك وسيأتي هذا المعنى عند قوله لا يكن طلبك سببا إلى العطاء منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لإظهار العبودية وقياما بأحكام الربوبية والثاني اعتقادك أنه لم يستجب لك إذ ظهر لك عدم الإجابة فإنه ليس من شرط الإجابة أن تظهر لك بل له أن يجيبك بغير ما في ذلك من المصالح والإجابة إليه أمرها يعملها ما شاء مما يعلمه أو تجهله وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا ليأسك إلى آخره والثالث وهو أشدها اعتراضك على ربك في حكمه ومطالبتك له إذا تأخرت إجابته عليك ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى الحالة التي يكون عليها العبد قائما بحق الأدب وواصلا إلى غاية الأرب فقال (متى جعلك في الظاهر ممتثلا لأمره ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره فقد أعظم المنة عليك) هذان الأمران هما اللذان يلزمانك في إقامة العبودية لربك لا غير فإن يسرهما الله تعالى لك وأقامك في مراعاة أحكامهما ووفقك لذلك فقد أعظم المنة عليك فماذا تشوف وما الذي تلتمس بعدهما إن كنت عبدا حقيقيا قال سيدي أبو الحسن رضي الله عنه صحبت إنسانا في الله تعالى في البادية واعتزلنا في مغارة عسى أن نكون من أولياء الله تعالى وأن يفتح الله علينا بما فتح الله عليهم فأقمنا زمانا نقول لعل في هذه الجمعة لعل في هذا الشهر فلم يفتح الله علينا بشئ كذلك وإذا شيخ على باب المغارة يستأذن فأذنا له فدخل وسلم ووقف فقلنا له من أنت فقال عبد الملك فعلمنا أنه من أولياء الله فقلنا له كيف حالك فقال كيف حالك يرددها كالمنكر علينا ثم قال كيف حال من يقول لعل في هذه الجمعة أكون وليا في هذا الشهر أكون وليا فلا ولاية ولا فلاح ولا دنيا ولا آخرة يا نفس ألا تعبدين الله تعالى كما أمرك مخلصة لوجهه كما أمرك قال الله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ثم انصرف عنا فانتبهنا لغلطنا وتيقظنا من أين دخل علينا وعلمنا أن الله تعالى رحمنا به ورجعت على نفسي باللوم والتوبيخ وقلت لها يا نفس من أنت وما علمك وما خطرك أنت لا شئ وتبا واستغفرنا الله تعالى قال ففتح الله علينا بجوده وفضله (ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه) التخصيص ههنا هو أن يظهر الحق تعالى على بعض عباده أثر عنايته وتوليته لطفه ورعايته فمنهم من يستمر له ذلك حتى يتحقق بالمعروفات ويتخلص من رؤية الأغيار والأكوان وهؤلاء هم خواص المقربين أهل العلم بالله والحب له ومنهم من يوقفه عن بلوغ ذروة الكمال ويربيه في حاله بما يليق به من علوم وأعمال وهؤلاء عامة المقربين وخاصة أصحاب

الظاهر وعبودية الباطن فهذان الأمران هما اللذان يلزمانك في إقامة العبودية لربك ... اليمين

الذي تلتمس بعد حصولهما إن كنت عبدا حقيقيا وهل درجات أهل الكمال إلا التقلب في عبودية الظاهر

كل من ثبت تخصيصه) بإظهار أمر خارق للعادة على يده كطي الأرض والطيران في الهواء والمشي على الماء

النفوس ورعونات ما تدعو إليه من الشهوات والحالات فكأنه يقول ليس كل مخصص بالآيات والكرامات

الذين العباد الزهاد وأهل المجاهدة والاوراد وهؤلاء وان شاركوا الاولين فيما يتحفهم الحق تعالى من لطائف الكرامات وفيما يخصهم اياه من القيام بوظائف الطاعات والعبادات فلم يتخلصوا من رؤية نفوسهم ولم ينفكوا عن مراعاة حظوظهم بل هم ساكنون الى الاسباب محجوبون بوجود الحجاب وقد يختص الحق تعالى هؤلاء باظهار الكرامات على أيديهم وبسببهم تسكينا لنفوسهم وتثبيتا لليقين فى قلوبهم ويمنعها الاولين لانهم لا يحتاجون اليها لما هم فيه من الرسوخ فى اليقين والقوة والتمكين كما قال صاحب كتاب عوارف المعارف وقد يكون من لا يكاشف بشئ من معانى القدر أفضل ممن يكاشف بها اذا كاشفه الله تعالى بصرف المعرفة فالقدرة أثر القادر ومن أهل لقرب القادر لا يستغرب ولا يستكثر شيأ من القدرة ويرى القدرة تجلى له من سجف أجزاء عالم الحكمة وسئل الشبلى رضى الله عنه وقيل له ان أبا تراب ذكر انه جاع فى البادية فرأى البادية كلها طعاما فقال عبد رفق به ولو بلغ الى محل التحقيق لكان كمن قال أبيت عند ربى فيطعمنى ويسقينى قال فى لطائف المنن واعلم أن الكرامات تارة تظهر للولى فى نفسه وتارة تظهر منه لغيره فان ظهرت للولى فى نفسه فالمراد تعريفه بقدرة الله تعالى وفرديته وأحديته وأن قدرته لا تتوقف على الاسباب وأن العوائد هو ما حكم عليها ليست هى حاكمة عليه وانما جعل العوائد والوسائط والاسباب حجب قدرته ومحب شمس أحديته فالواقف عندها مخذول والنافذ منها اليه من هو بالعناية موصول قال وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى بالعلم والقدرة والارادة والصفات الازلية مجتمع لا يفترق وأمر لا ينفقد كأنها صفة واحدة قائمة بذات الواحد لا يستوى من تعرف الله اليه بنوره بمن تعرف الى الله بعقله ولا جل أنها تثبيت لمن أظهرت له ربما وجدها أهل البدايات فى بداياتهم وفقدها أهل النهايات فى نهاياتهم اذ ما عليه أهل النهايات من الرسوخ فى اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون معه الى مثبت وهكذا كان السلف رضى الله عنهم لم يحوجهم الحق سبحانه وتعالى الى ظهور الكرامات الحسية لما أعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم الاشهادية ولا يحتاج الجبل الى مرساة فالكرامة رافعة لزلزلة الشك فى المنة ومعرفة تفضل الله تعالى فيمن أظهرت عليه وشاهدة له بالاستقامة مع الله سبحانه وتعالى والناس فى الكرامات على ثلاثة أقسام قوم يجعلونها غاية الامر فان وجدوها عظموا من ظهرت عليه وان فقدوها لم يتوجهوا بالتعظيم اليه وقسم قالوا وما هى الكرامات انما هى خدع يخدع بها أهل الارادة ليقفوا بها على حدودهم حتى لا يلحقوا مقاما ليس هو لهم حتى قال أبو تراب النخشبى لابى العباس الرقى ما يقول أصحابك فى هذه الامور التى يكرم الله بها على عباده فقال ما رأيت أحدا الا وهو مؤمن بها فقال أبو تراب من لم يؤمن بها فقد كفر انما سألتك من طريق الاحوال فقال ما أعرف لهم قولا فقال أبو تراب بل قد زعم أصحابك أنها خدع من الحق وليس الامر كذلك انما الخدع فى حال السكون اليها فاما من لم يقترح بها ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين وكان هذا من أبى تراب رضى الله عنه بعد أن عطش القوم وهم أصحابه فضرب بيده الارض فنبع الماء فقال انى أريد أن أشرب به فى قدح فضرب بيده الارض فناوله قدحا من زجاج أبيض فشرب وسقانا قال أبو العباس الرقى وما زال القدح معنا الى مكة قال الشيخ أبو الحسن والقول الفصل فى ذلك أنه لا ينبغى أن تطلب أدبا مع الله تعالى ومن ظهرت عليه عظم لانها شاهدة له بالاستقامة مع الله تعالى قال والقسم الثالث وهو أن تظهر الكرامات فى الولى لغيره والمراد بذلك تعريف ذلك العبد الذى شهدها بصحة طريق هذا الولى الذى ظهرت عليه الكرامة اما أن يكون جاحدا فيرجع الى الاعتراف أو كافرا فيعود الى الايمان أو شاكا فى خصوصية هذا العبد فأظهرت عليه ليعرفك الله بما فيه من ودائع الاحسان انتهى كلامه وقال أبو نصر السراج سألت أبا الحسن بن سالم فقلت له ما معنى

الكرامات وهم قد أكرموا بشيء تركوا الدنيا اختيارا وكيف أكرموا بأن تحصل لهم الحجارة ذهبا فما
وجه ذلك فقال لا يعطيهم ذلك لقدرها ولكن يعطيهم ذلك حتى يحضروا بذلك على نفوسهم عند اضطرابها
وحرصها من فوت الرزق الذي قسم الله لهم فيقولون الذي يقدر على أن يصير لك الحجارة ذهبا كهو ذا
ينظر إليه قادر على أن يسوق إليك رزقك من حيث لا تحتسبين فيحضروا بذلك على تصحيح نفوسهم عند
فوت الرزق ويقطعوا بذلك تحجج نفوسهم فيكون ذلك سببا لرياضة نفوسهم وتأديبها قال أبو نصر وقد
حكى لنا ابن سالم في معنى ذلك حكاية عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال كان رجل بالبصرة يقال
له إسحق بن أحمد كان من أبناء الدنيا فخرج من الدنيا أعني من جميع ماله وتاب وصحب سهلا فقال يوما
لسهل يا أبا محمد إن نفسي هذه ليست تترك الصياح والصراخ من خوف فوت القوت والقوام فقال له
سهل خذ تلك الحجر وسل ربك أن يصيره لك طعاما تأكله فقال له ومن إمامي في ذلك حتى أفعل فقال
إمامك إبراهيم عليه السلام حيث قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن
قلبي المعنى وذلك أن النفس لا تطمئن إلا برؤية العين لأن من جبلتها الشك فقال إبراهيم رب أرني كيف
تحيي الموتى حتى تطمئن نفسي فإني مؤمن بذلك والنفس لا تطمئن إلا برؤية العين قال فكذلك الأولياء
يظهر الله لهم الكرامات تأديبا لنفوسهم وتهذيبا لها وزيادة لهم انتهى كلام أبي نصر وقال بعض العلماء
ما رأيت هذه الكرامات إلا على أيدي البله من الصادقين وكان رجل يصحب سهل بن عبد الله رضي
الله عنه فقال له يوما ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء من بين يدي قضبان ذهب وقضبان فضة فقال سهل
أما علمت أن الصبيان إذا بكوا أعطوا خشخاشة ليشتغلوا بها وحكى جعفر الخالدي عن الجنيد رضي
الله عنه قال جاءني أبو حفص النيسابوري مرة ومعه عبد الله الرباطي وجماعة وكان فيهم رجل أصلع
قليل الكلام فقال يوما لأبي حفص قد كان فيمن مضى لهم الآيات الظاهرة يعني بها الكرامات وليس
لك شيء من ذلك فقال له أبو حفص رضي الله عنه تعالى فجاء به إلى سوق الحدادين إلى كير عظيم فأحمى فيه
حديدة عظيمة فأدخل يده في الكير فأخذ الحديدة المحماة فأخرجها فبردت في يده فقال له يجزيك هذا
فسئل بعضهم عن معنى إظهار ذلك من نفسه فقال كان مشرفا على حاله يخشى على حاله أن يتغير عليه
إن لم يظهر له ذلك فخصه بذلك شفقة عليه وصيانة لحاله وزيادة لإيمانه بل ربما يسمعها العارفون
ويخاف منها المحققون قال بعض السلف ألطف ما يخادع به الأولياء الكرامات والمعونات وذكر عن
أبي حفص أو غيره أنه كان جالسا وحوله أصحابه قال فنزل ظبي من الجبل فبرك عندهم قال فبكى أبو
حفص فسئل عن بكائه فقال كنتم حولي ووقع في قلبي أن لو كان لي شاة ذبحت لكم فلما برك هذا الظبي
عندنا شبهت نفسي بفرعون حين سأل الله تعالى أن يجري معه النيل فأجراه معه فبكيت وسألته
الإقالة ثم ما غبت وأطلقت الظبي ويحكى أن بعض الأبدال قال لتلميذ من تلامذة الشيخ أبي مدين رضي
الله عنه ما لنا لا يعتاص علينا شيء وهو يعتاص عليه أقل الأمور مع أنا في مقامه وهو لا يفي مقامنا
فبلغ ذلك الشيخ أبا مدين فقال قل له تركنا مرادنا للمراد وعن بعضهم أنه كان يسير في البادية فانتهى إلى
بئر وإذا الماء ارتفع إلى رأس البئر فقال أنا أعلم أنك قادر على هذا ولكن لا أطيقه فلو قيضت لي بعض
الأعراب ليصفعني صفعات ويسقيني شربة ماء كان أسلم لي ثم إني لا أعلم أن ذلك الرفق ليس من جهته
قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه إذا رأيت الرجل يشير إلى الآيات والكرامات فطريقه طريق الأبدال
وإذا رأيته يشير إلى الآلات والنعمات (١) فطريقه طريق المحبة وهو أعلى من الذي قبله وإذا
رأيته يشير إلى الذكر ويكون قلبه معلقا بالذكر الذي ذكره فطريقه طريق العارفين وهو أعلى درجة
من جميع الأحوال وقال أبو يزيد رضي الله عنه كنت في بدايتي يريني الحق تعالى الآيات والكرامات
فلم ألتفت إليها فلما رأى كذلك حملني إلى معرفته سبيلا ((لا يستقر الورد لأجل الوارد يوحدني

الدار الا آخرة والورد ينطوى بانطواء هذه الدار وأولى ما يعتنى به مالا يخلف وجوده الورد هو طالبه منك
والوارد أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه ) الورد عبارة عما يقع بكسب
العبد من عبادة ظاهرة أو باطنة والوارد هو الذى يرد على باطن العبد من لطائف وأنوار فينشرح بها
صدره ويستنير بها قلبه وسره فالورد ما من العبد للحق تعالى من معاملة وعبودية والوارد ما من
الحق سبحانه للعبد من لطف وكرامة والورد أحق ما يعتنى به العبد ويراعيه من الوارد لوجهين أحدهما
ان الورد مختص بهذه الدار لا يقع الا فيها فهو منقطع بانقطاعها وفان بفنائها فينبغى للعبد أن يستكثر
من الاوراد قبل فواتها اذ لا يمكنه خلف ما فات منها والثانى أن الورد هو حق للحق منك والوارد هو
حظك منه وقيامك بحقوقه عليك أولى وأليق بالعبودية من طلب حظوظك ووقوفك معها فاذا أثبت مزية
الورد على الوارد باعتبار العبد كان استعقاره من نهاية الجهل وكان مستحقره جهولا كما قال فى لطائف
المنن واعلموا أن الله تعالى أودع أنوار الملكوت فى أصناف الطاعات فان من فاته من الطاعات صنف
أو أعوزه من الموافقة جنس فقد من النور بمقدار ذلك فلا تهملوا شيأ من الطاعات ولا تستغنوا عن
الاوراد بالواردات ولا ترضوا لانفسكم بما رضى به المدعون من جرى الحقائق على ألسنتهم وفقد
أنوارها من قلوبهم لان الحق بحكمته جعل الطاعة الجارية على العباد مستقرعة لباب الغيب
فمن قام بالطاعة والمعاملة بشرط الادب لم يحتجب الغيب عنه وانما حجاب الغيوب وجود العيوب
والتطهر من العيب يفتح لك باب الغيب ولا تكن ممن يطلب الله لنفسه ولا يطالب نفسه لله فذلك حال
الجاهلين الذين لم يفهموا عن الله ولا واجههم المدد من الله والمؤمن ليس كذلك بل المؤمن من يطالب
نفسه لربه ولا يطالب ربه لنفسه فان توقف عليه الوقت استبطأ أدبه ولا يستبطئ مطلبه ثم ذكر كلاما
كثيرا وفى كلامه رحمه الله تعالى تنبيه على تأكد أمر الاوراد وعظم موقعها من الدين وأن مراعاتها
من أحسن سمات العارفين وقد روى الجنيد رضى الله عنه وفى يده سبحة فقيل له أنت مع شرفك
تأخذ بيدك سبحة فقال نعم سبب وصلنا به الى ما وصلنا لا نتركه أبدا وكان يدخل كل يوم حانوته ويسبل
الستر ويصلى أربعمائة ركعة ثم يعود الى بيته ورؤى بعد وفاته فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال
طاحت تلك الاشارات وفنيت تلك العبارات وبيدت تلك الرسوم وغابت تلك العلوم وما نفعنا
الا ركيعات كنا نركعها فى السحر وحكى أبو محمد الجريرى رضى الله عنه قال كنت عند الجنيد رضى
الله عنه فى حال نزعه وكان يوم جمعة ويوم نيروز وهو يقرأ القرآن فختم فقلت فى هذه الحالة يا أبا
القاسم فقال ومن أولى منى بذلك وحينئذ تطوى صحيفتى وقال أبو الحسن الدراج رضى الله تعالى عنه
ذكر عند الجنيد أهل المعرفة بالله تعالى وما راعوه من الاوراد والعبادات بعد ما لاطفهم الله به
من الكرامات فقال الجنيد رضى الله عنه العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤس الملوك
* وقال أبو بكر العطار حضرت الجنيد عند الموت فى جماعة من أصحابنا فرأيناه قاعدا يصلى ويثنى
رجله اذا أراد أن يسجد فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجليه فثقلت عليه حركتهما فمد رجليه
فرآه بعض أصدقائه ممن حضر ذلك الوقت وكانت رجلاه قد تورمتا فقال ما هذا يا أبا القاسم فقال هذه نعم
الله الله أكبر فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريرى رضى الله عنه يا أبا القاسم لو اضطجعت فقال يا أبا
محمد هذا وقت يجود منه الله الله أكبر فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمة الله عليه ورضوانه * وقال الحصرى
رضى الله عنه الناس يقولون الحصرى لا يقول بالنوافل وعلى أوراد من حال الشباب لو تركت منها ركعة
لعوتبت * وقال محمد بن ثابت البنانى رضى الله عنهما لما حضرت أبى الوفاة جعلت ألقنه الشهادة فقال لى
يا بنى دعنى فانى فى وردى السابع * قال أبو طالب المكى رضى الله عنه ومداومة الاوراد من أخلاق
المؤمنين وطريق العابدين وهى مزيد الايمان وعلامة الايقان وفى خبر أن عائشة رضى الله عنها
سئلت عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وفى لفظ آخر كان اذا عمل عملا أثبته

الى على عبده (بحسب الاستعداد) أى بحسب استعداد العبد بتطهير قلبه وملازمته لورده وان أميل لظهور
المعارف والاسرار فالوارد تابع للورد كيفا وكما ودواما فان كان الورد كاملا بان برز من قلب صاف كان الوارد
ت (٨٤) كان كثيرا كان الوارد كثيرا والانجبية ويعتبر ذلك بمجموع العمر ولذا كان أحب العمل الى الله

وأثبته وفى الخبر المشهور أحب الاعمال الى الله تعالى أدومها وان قل وجاء فى الاثر كلام تارة يروى عن
الحسن بن على وتارة يروى عن الحسن البصرى ومرة عن عائشة رضى الله عنهم أجمعين وبعضهم يحكيه
عن النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو
محروم ومن لم يكن فى مزيد فهو فى نقصان ومن كان فى نقصان فالموت خير له وقد يكون استصغار الورد من
المكر والاستدراج للعبد ويكون مبدأ ذلك أن تلوح له حالات وتظهر له صور وكرامات توجب له
استحسان حالته واختيار بطالته وفى ذلك رفض العبودية بالكلية وهو أمارة لوجود الطرد والبعد
والعياذ بالله وصاحب هذا عظيم الجهالة شديد الغباوة والضلالة وقد قال الجنيد رضى الله عنه لرجل
ذكر المعرفة فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقرب الى الله تعالى
فقال الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهذه عندى عظيمة والذى يسرق ويزنى أحسن
حالا من الذى يقول هذا وان العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله واليه رجعوا فيها ولو بقيت ألف
عام لم أنقص من أعمال البر ذرة الا أن يحال بى دونها وانه لأوكد فى معرفتى وأقوى فى حالى * قال
السهروردى رضى الله عنه فى كتاب عوارف المعارف فأما من تعوق بخيال أو قمع بحال ولم يحكم أساس
خلوته بالاخلاص فيدخل الخلوة بالزور ويخرج بالغرور فيرفض العبادات ويستحقرها ويسلبه الله
تعالى لذة المعاملة ويذهب عن قلبه هيبة الشريعة ويفتضح فى الدنيا والآخرة فيعلم الصادق أن
المقصود من الخلوة القرب الى الله تعالى بعمارة الاوقات وكف الجوارح عن المكروهات فيصلح لقوم
من أرباب الخلوة مداومة الاوراد وتوزيعها على الاوقات ويصلح لقوم دوام المراقبة ويصلح لقوم
ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم الانتقال من الذكر الى الاوراد ولقوم الانتقال من الاوراد الى الذكر
انتهى ما يتعلق بغرضنا من كلام السهروردى رضى الله عنه وهو مناسب لما ذكره المؤلف رحمه الله
تعالى وليس من هذا المعنى ما روى عن أبى سليمان الدارانى وأحمد بن عاصم الانطاكى رضى الله عنهما
أنهما قالا اذا صارت المعاملة الى القلوب استراحت الجوارح وان كان ظاهره موهما له فان أبا نصر
السراج رضى الله عنه فسره بعد أن حكاه عن أبى سليمان الدارانى فقال وهذا الذى قاله أبو سليمان
يحتمل معنيين أحدهما أنه أراد بذلك استراحة الجوارح من المجاهدات والمكابدات من الاعمال اذا
اشتغل بحفظ قلبه ومراعاة سره من الخواطر والعوائق المذمومة التى تشغل عن ذكر الله تعالى قلبه
ويحتمل أيضا أنه أراد بذلك أن يتمكن من المجاهدات والاعمال والعبادات وتصير وطنه ويستلذها
قلبه ويجد حلاوتها ويسقط عنه التعب ووجود الآلام التى كان يجدها قبل ذلك انتهى كلام أبى
نصر ومعناه صحيح والله أعلم وبه التوفيق ((ورود الامداد بحسب الاستعداد وشروق الانوار على
حسب صفاء الاسرار)) ورود الوارد الامدادية من الله تعالى على قلب عبده بحسب القوة الاستعدادية
الجبولة به وشروق الانوار اليقينية على حسب صفاء سره من كدر التعلق بالآثار والركون الى
الاغيار ((العاقل اذا أصبح ينظر ماذا يفعل والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به)) أول خاطر يرد على العبد
هو ميزان توحيده فالعاقل اذا أصبح أول خاطر يرد عليه نسبة العمل الى نفسه فيقول ماذا أعمل اليوم
فهو مشتغل بتدبير نفسه مصروف عن النظر الى مولاه وذلك لوجود غفلته عنه فهو حقيق بان يكله

طالبه فهذا ميزان يعرف به المريد حال نفسه فأول خاطر يرد عليه هو ميزان توحيده فلينظر اذا ... الله
فى أول وهلة الى حوله وقوته فهو منقطع عن الله وان عاد الى الله سبحانه فهو واصل اليه ويصح أن يكون معنى
ينظر ما يرد على قلبه من الاشارة من قبله تعالى فيكون اقدامه واحجامه بوجود بصيرة وحسن توفيق وهذا
من ايمانه وصدق افتقاره

الله تعالى الى نفسه فيثبت عليه عقله وينقص عليه مراده والعاقل أول خاطر يرد عليه نسبة الفعل
الى الله تعالى فيقول ماذا يفعل الله بي فهو ناظر الى الله تعالى والى ما يرد عليه منه وذلك لوجود عقله ودوام
يقظته فلاجرم أن يكفيه الله تعالى تعلقات الآمال ويفرغه من جميع الاشغال ويرضيه ويفرغه
عما يقيه فيه من أعمال أو يورده عليه من أحوال وهذه سعادة عظيمة ومنة من الله تعالى لمن وليه
من عباده جميعه قال عمر بن عبد العزيز أصبحت ومالى سرور الا فى مواقع القدر وقال أبو عثمان
رضى الله تعالى عنه منذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حال فكرهته ولا نقلنى الى غيره فسخطته ومن
أعلم ما رأيت فى هذا المعنى الذى ذكره المؤلف رحمه الله وما يجب أن يحذر على مثاله كل عالم متصرف
ما ذكره الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن الصقلى رضى الله تعالى عنه فى كتابه صفة الاولياء ومراتب
أحوال الاصفياء مسنده الى أيوب بن بشر الطالقانى قال حدثنا رجل من أصحابنا قال رأيت رجلا فى
مرج الديباج ليس معه شئ فدنوت منه فسلمت عليه فرد على السلام فقلت يرحمك الله أين تريد قال
ما أدرى قلت هل رأيت أحدا يريد مكانا لا يدرى أين يذهب فقال نعم أنا واحد فقلت فأين تنوى قال الى
مكة قلت تنوى مكة ولا تدرى أين تذهب قال نعم وذلك أنى كم مرة أردت أن أذهب الى مكة فيردنى الى
طرسوس وكم مرة أردت طرسوس فيردنى الى عبادان فينبئى الى مكة ولا أدرى قلت فمن أين المعاش
قال لا أدرى قلت أخبرنى بأسباب ذلك قال من حيث يريد يجيعنى مرة ويشبعنى مرة ويكرمنى مرة
ويهيننى مرة ومرة يقول لى ما على وجه الارض أزهد منك ومرة يقول لى أنت لص ومرة ينومنى على
الفراش ويطعمنى الطيب ويدهن رأسى ويكحل عينى ومرة يطردنى الطرد العنيف ولا ينومنى الا عند
النواويس قلت يرحمك الله من يفعل ذلك بك قال الله عز وجل قال فألقانى فى بحر قلت فسر لى يرحمك الله
كيف هذا قال أنا رجل أسير نهارى فاذا جن بى الليل بت فربما أوينى الليل الى قرية فاذا نظر الى
أهلها قال بعضهم لبعض هذا اللص لا تدعون هذا يأوى الليلة فى هذه القرية فاذا صليت العشاء الآخرة
يدخل المسجد رجل فيقول يا نائم فأقول لبيك فيقول لى بالعنف قم من ههنا ليس لك ههنا موضع فأقول
له حبا وكرامة فأين أبيت الليلة فيقول خارج القرية عند النواويس فأقول نعم وكرامة لا يكون لى
مأوى الا عند النواويس تلك الليلة فاذا أصبحت سرت فيأوينى الليل الى قرية فاذا رآنى أهلها قال
بعضهم لبعض قد ورد عليكم الليلة رجل زاهد خير فاضل فيقول هذا عندى يبيت ويقول هذا عندى
يبيت فاذا صليت العشاء الاخيرة فيقول رجل منهم قم بنا الى البيت فأقول نعم حبا وكرامة فأمضى معه
الى المنزل فيأتينى بالطعام الطيب ويدهن رأسى ويكحل عينى ويأتينى بالفراش اللين فينومنى عليه
ولا يدع شيأ من البر الا فعله بى حتى أصبح فهذا حالى مع سيدى فقلت رحمك الله متى قدرك أن تدخل
بغداد فان منزلى فى موضع كذا وكذا قال فأنا يوما قاعد واذا بانسان يدق الباب فخرجت فاذا أنا بصاحبى
فسلمت عليه وأدخلته البيت فقلت له أى شئ صنع بك مولاك قال آخر ما فعل بى ضربنى ضربا شديدا
وقال لى يا لص ثم أرانى ظهره فاذا أثر الضرب عليه فقلت ايش القصة قال كان أجاعنى جوعا شديدا
فلما بلغت الابيار جئت الى مقثأة قد نبذ منها المدود والمرة فقعدت مقعدا آكل منه فنظرنى صاحب المقثأة
فأقبل الى بعصا فجعل يضرب ظهرى ويقول يا لص ما أخرب مقثأتى غيرك مذ كم أرصدك حتى وقعت
عليك واذا أنا بفارس قد أقبل مسرعا اليه فضربه بالسوط فى رأسه وقال تعمد الى رجل زاهد فتضربه
أو يقال لمثل هذا يا لص قال فما كان بأسرع من أن كنت عنده لصا فصرت زاهدا كما حدثتك قال فأخذ
بيدى صاحب المقثأة فذهب بى الى منزله فما أبقى من الكرامة شيأ واستحلنى فخرجت من عنده وجئت
اليك وقد يكون فى معنى نظره الى ما يفعل الله به أن ينظر ما يرد على قلبه من الاشارة من قبله فيكون
اقدامه واحجامه بوجود بصيرة وحسن توفيق وهذا ميزان شريف اقتضاه دوام التجائه وصدق افتقاره

وهم المتوجهون الى الله بطريق العمل (والزهاد) وهم المتوجهون له بطريق التوكل (من كل شئ) فكل منهم
كونهم غائبين عن الله وذلك (لغيبتهم عن الله في كل شئ) أى لأنهم محجوبون عن شهودهم رؤيته بعيون قلوبهم في ...
شياء ويستوحشون منها لانها موجودة في نظرهم فيخافون منها أن تعوق عليهم أغراضهم وتفوتهم مقاصدهم
(فلو شهدوه في كل شئ) كما شهده العارفون والمحبون (لم يستوحشوا من شئ) أى (٨٦)

قال سيدى أبو مدين رضى الله تعالى عنه احرص من أن تصحح وعدى الامفوضا مستسلما لعله أن ينظر
اليك برحمة وقال بعضهم من اهتدى الى الحق لم يهتد الى نفسه ومن اهتدى الى نفسه لم يهتد الى الله
واقطر اد الاستقصاء شغل فان عادة قبلك في أول وصلة الى حالك وقوتك فأنت المقطوع عنه فان عادتك
الى الله فأنت الواصل الى الله وكل العالم في قبضته وشغفت من أهل الوصلة بأنهم في كنف أوليائه ولا يكلهم
الى غيره واعتبر هذا المعنى بعمرة الحديبية وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما صده المشركون وقومه
عن مكة ومنعوه من أن يتم بين أظهرهم نسكه رجع في الحال عن تلك العمرة ولم يتعرض لهم بما يحصل
له في الظاهر عزة أو نصرة بعدما كان دعا اليه من بيعة الرضوان تحت الشجرة وما عزم عليه من
مناجزة من حاده من الكفرة وعمل في ذلك على ما أظهره الله له من آياته العظام عند بروك ناقته لما أراد
توجيهها الى البيت الحرام وقال حينئذ مظهرا لما قصده ومقررا لما اعتمده اما حبسها حابس الفيل
لا يدعونى اليوم قريش الى خطة فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها فكان كما قال صلى الله عليه وسلم وشرف
وكرم سالمهم على وضع الحرب فيما بينهم عشر سنين يتقلبوا في الارض آمنين فلما استتب لهم الصلح
وأنزل الله تعالى سورة الفتح ظهرت الفوائد التى تضمنها ذلك السد بالحسن وقرت أعين الصحابة رضى
الله تعالى عنهم بما أبرزه الله اليهم من ألطاف ومنن وقد صح بالمعنى جميع ما نقلناه في الخبر ونقله الينا
علماء الحديث والسير ولكن من دعاء صاحب هذا المقام ومناجاته ليوافق مقصده قوله في جميع تصرفاته
اللهم انى أصبحت لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا أستطيع أن آخذ الا
ما أعطيتنى ولا أتقى الا ما وقيتنى اللهم وفقنى لما تحبه وترضاه من القول والعمل في طاعتك انك ذو
الفضل العظيم وليقل أيضا ما رأيته لسيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه اللهم ان الامر
عندك وهو محجوب عنى ولا أعلم أمرا أختاره لنفسى فكن أنت المختار لى واحملنى في أجل الامور عندك
وأحمدها عاقبة في الدين والدنيا والآخرة انك على كل شئ قدير (انما يستوحش العباد والزهاد من كل
شئ لغيبتهم عن الله في كل شئ فلو شهدوه في كل شئ لم يستوحشوا من شئ) العباد والزهاد في جميع
من دونهم لنظرهم لنفوسهم ومراعاة حظوظهم فهم يفرون من الاشياء ويستوحشون منها لانها موجودة
في نظرهم والزهد في المزهود شاهد له بالوجود كما قال سيدى أبو الحسن رضى الله تعالى عنه والله لقد
عظمتها اذ زهدت فيها فهم يخافون منها أن تعوق عليهم أغراضهم وتفوتهم عن مقاصدهم بميلهم اليها
واقتنائهم بها ولو كانوا من أهل العلم بالله والمحبة لله لرأوه ظاهرا في الاشياء كلها ولكان له من ذلك من
قرة أعينهم ما يشغلهم عن رؤيتهم لنفوسهم ولا يكون لهم من الاشياء وحشة ولا يخشون منها فتنة لانها
فانية مضمحلة بهذا الاعتبار (أمرك في هذه الدار بالنظر في مكوناته وسيكشف لك في تلك الدار عن
كمال ذاته) رؤية العباد لربهم عز وجل على حسب تجليه لهم ففى هذه الدار يرونه ظاهرا في المكونات
بأنوار بصائرهم لما تجلى لهم من وراء حجابها ولذلك أمرهم بالنظر فيها وفى الدار الآخرة يرونه معاينة
بأنوار أبصارهم من غير حجاب ولا مانع وهذا غاية الظهور والكشف (علم منك انك لا تصبر عنه
فأشهدك ما برز منه) عدم الصبر عن الله تعالى من وجود الاضطرار اليه وقته وهو حال شريف يقتضى

من مشاهدته له كما هو شأن المحب فانه لا يصبر عن رؤية محبوبه دوام
ومن غير حجاب متعذرة (فأشهدك ما برز منه) من الآثار والأكوان أى أشهدك اياها لتراه فيها بعين
كونها حاجبة لك عن رؤيته له بعين بصرك وقد رأيته ولو من وراء حجاب وذلك كرامة من الله وعناية
لدنيا أيضا

(لما علم الحق منك) أيها المريد (وجود الملل) أى السآمة من ثقل العمل المؤدية الى تركه (لون) أى نوع (
وسهلا عليك لانك اذا سئمت من نوع منها انتقلت الى غيره ولو كانت من نوع واحد لسئمته النفس وتركته استثقلته
المتعددة فانها تستخفها وتستحليها لتنقلها من نوع الى نوع آخر وشأن النفس أن لا تدوم على حال واحد بل تنظر
الانسان اذا داوم على طعام واحد تسأمه نفسه كما وقع لبنى اسرائيل (وعلم ما فيك من وجود الشره) أى مجاو
العمل والحرص عليه فيؤديك الى أن لا تأتى به على وجه الكمال (حجرها) بالتخفيف أى منعها (عليك فى بعض ا
يمتنع فعلها فى غير أوقاتها المحدودة والنوافل يمتنع فعلها فى وقت الك



دوام وجود المعية الاختصاصية والمعية الاختصاصية تقتضى دوام المشاهدة والحضور والمشاهدة الحقيقية غير متصورة فى هذه الدار لما هى عليه من الدناءة والنقص والفناء والذهاب فأكرم الله تعالى عبده لعلمه بعدم صبره عنه بان أشهده ما برز منه من الآثار والاكوان تسلية له بالاثر عن النظر فحصلت له حينئذ المعية الاختصاصية اللائقة بحاله حتى اذا أقعده فى مقعد الصدق وحصلت له عندية الحق خلع عليه خلع التقريب والتكريم وواجهه بوجهه الكريم فحصلت له حينئذ المعية الحقيقية والمشاهدة السرمدية وما ذلك على الله بعزيز ((لما علم الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات وعلم ما فيك من وجود الشره حجرها عليك فى بعض الاوقات ليكون همك اقامة الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصل مقيم)) تلون الطاعات لوجود الملل وتحجيرها فى الاوقات لوجود الشره نعمتان عظيمتان أنعم الله بهما على عبده فان الملل والشره قيدتان عظيمتان قاطعتان على العبد سبيل عبوديته والملل نكرة يعرض للانسان من عمل يلحقه فيه مشقة فيصبر عليه ويتحمل التعب فيه حتى يضجر ويسأم فيترك ذلك العمل ويرفضه استثقالا له وهو شئ يتعرض للطبع بعد ايثاره للشئ ومحبته له والشره مجاوزة الحد فى التسارع الى العمل والحرص عليه والذى يوجب وجود الملل المداومة على نمط واحد من العبادات فتسأمها النفس وتستثقلها فاذا لونت عليها استحلتها واستخفتها وقد قال بعض الشعراء

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل من حال الى حال

والموجب لوجود الشره صلاحية الاوقات كلها لايقاع العبادات فيها مع شدة الحرص عليها وعند وجود الشره يقع النقص والتقصير فيها فلذلك عين لها أوقاتا توقع فيها وأوقاتا لا توقع فيها وذلك هو معنى تحجيرها فى الاوقات فان كان الملل والشره واقعين فى الصلاة لم يكن الآتى بها مقيما لها لوقوع التقصير منه فيها ولم يؤمر الا باقامة الصلاة لا بوجود صورة الصلاة قال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه كل موضع ذكر فيه المصلون فى معرض المدح فانه انما جاء لمن أقام الصلاة اما بلفظ الاقامة أو بمعنى يرجع اليها قال الله سبحانه وتعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وقال الله تعالى رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى وقال عز وجل أقم الصلاة وأقام الصلاة والمقيمى الصلاة ولما ذكر المصلين بالغفلة قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة فالاقامة أنه اذا صلى المؤمن صلاة فقبلت منه خلق الله من صلاته صورة فى ملكوته راكعة ساجدة الى يوم القيامة وثواب ذلك لصاحب الصلاة واقامة الصلاة حفظ حدودها ظاهرا وباطنا قال ابن عطاء الله رضى الله تعالى عنه اقامة الصلاة حفظ حدودها ظاهرا وباطنا مع حفظ السر مع الله عز وجل لا يختلج بسرك سواه وقال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه هو القيام بأركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها رؤية

تقع فيها وذلك هو معنى تحجيرها فى الاوقات وقوله (ليكون همك اقامة الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصل مقيم
على أنه تعليل لما قبله أى انما لون لك الطاعات حتى لا تمل وحجرها عليك فى الاوقات حتى لا تشره لا لاجل أن يكون
أمكن توجيه الاهتمام الى حضور اقامة الصلاة لا الى مطلق وجودها وحصول صورتها بخلاف ما اذا وجدا فانه
بعض النسخ ليكن بالجزم فيكون كلاما مستأنفا واقامة الصلاة المرادة هنا حفظ حدودها مع حفظ السر مع الله
وقيل هى القيام بأركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها الرؤية من يصلى له فتكون مستقبلا الى القبلة وقلبك مست
الصلاة بالذكر دون سائر العبادات لان ذلك أكثر ما يقع فيها ثم أشار الى فوائد صلاة المقيم لا مطلق الصلاة بقو

القلوب) من تكدرها بالآثار وتلونها بأقذار الأغيار ومن الأوصاف المعطلة لها عن مشاهدة العزيز الجبار

الذنوب) من إضافة المشبه به للمشبه والذنوب متعلقة باشتراق المعنى



من يصلي له فيحفظ عليه أحكام الأمر فيما يجري عليه منه وهو عن ملاحظتها غائب وجوههم متوجهة إلى القبلة وقلوبهم مستقرة في حقائق الوصلة وتقييد المؤلف رحمه الله تعالى بالصلاة دون سائر العبادات حسن لأن ذلك أكثر ما يقع فيها وقد يكون ذلك استطرادا للكلام على الصلاة حسبما يقوله بأثر هذا ((الصلاة طهرة للقلوب من أدناس الذنوب)) كما روي في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله إنما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من درنه شيئا ((واستفتاح لباب الغيوب)) لأن القلوب إذا طهرت وزكت رفع عنها الحجب والأستار فرأت ما غاب عنها من الأسرار ((الصلاة محل المناجاة)) لأن فيها يكون محل الثناء والدعاء والمناجاة مخاطبة الأسرار بصفاء الأذكار للملك الجبار ((ومعدن المصافاة)) وهي زوال الأكدار الكونية بسكون نفسك حتى يصفو قلبك وسرك فيصفو لك حينئذ شهوده وعيه وذاتك بوجوده ((تتسع فيها ميادين الأسرار)) حتى تتكاثر عليك في الظهور ((وتشرق فيها شوارق الأنوار)) فيكون قلبك نورا على نور وهذه العبارات الست معانيها متقاربة ولما كانت هذه الأحوال التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى من فوائد الصلاة وأن المقصود منها إنما هو تحصيلها كان ذكر المؤلف لها كالدليل على ما قاله من أن المأمور به إنما هو إقامة الصلاة لا وجود الصلاة فإن الصلاة المعتبرة إنما هي صلاة الخاشعين لا صلاة الغافلين التي لا تنتهض لبلوغ هذه المقاصد السنية ولذلك كانت الصلاة أم العبادات ورأس الخيرات قال الله تعالى أقم الصلاة لذكري فأخبر أن المراد من الصلاة الذكر وقد روي معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله ولذلك كانت قرة عين حبيب الله صلى الله عليه وسلم على ما سيأتي الكلام عليه حيث يعرض المؤلف له وفي بعض الأخبار أن العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى السماء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وإن المصلي لينثر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ويناديه مناد لو يعلم المناجي من يناجي ما انفتل وإن أبواب السماء تفتح للمصلي وأن الله تعالى يباهي ملائكته بصفوف المصلين وفي التوراة يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدي مصليا باكيا أنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري وكانوا يرون أن تلك الرقة والبكاء وذلك الفتوح الذي يجده المصلي في قلبه من دنو الرب من القلب قال محمد بن علي الترمذي رضي الله تعالى عنه دعا الله تعالى الموحدين إلى هذه الصلوات الخمس رحمة منه عليهم وهيأ لهم فيها ألوان الضيافات لينال العبد من كل فعل وقول شيئا من عطاياه فالأفعال كالأطعمة والأقوال كالأشربة عرس الموحدين هيأها رب العالمين لأهل رحمته في كل يوم خمس مرات حتى لا يبقى عليهم دنس ولا وقال أبو طالب المكي رضي الله تعالى عنه حدثت أن المؤمن إذا توضأ للصلاة تباعدت عنه الشياطين في أقطار الأرض خوفا منه لأنه تأهب للدخول على الملك فإذا كبر حجب عنه إبليس وضرب بينه وبينه سرادق لا يسطر إليه وواجهه الجبار بوجهه الكريم فإذا قال الله أكبر اطلع الملك على قلبه فإذا كان ليس في قلبه أكبر من الله فيقول الملك صدقت الله أكبر في قلبك كما تقول قال فيتشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش فيكشف له بذلك النور ملكوت السموات والأرض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات قال وإن الغافل الجاهل إذا قام إلى الوضوء احتوشته الشياطين كما تحتوش الذباب نقطة العسل فإذا كبر اطلع الملك على قلبه فإذا كل شيء في قلبه أكبر من الله عنده فيقول الملك كذبت ليس الله أكبر

بها ونسابقهم فيها كمسابق الفرسان (وتشرق) أي تطلع (فيها شوارق الأنوار) أي الأنوار ... في قلبك شارقة وهو من عطف السبب على المسبب فإن الأنوار إذا أشرقت في القلوب انشرحت لما يرد عليها من العلوم ت المناجاة والمصافاة وجميع ما ذكر كالدليل لما قبله من أن المطلوب إقامة الصلاة لا وجودها

(علم وجود الضعف منك) أيها المريد لان الطاقة البشرية لا تقدر على دوام التجلي الالهي (فقال أعدادها) بعلم احتياجك الى فضله) باقباله عليك ومواجهته لك بما تحبه (فكثر أمدادها) بالفتح جمع مدد وهي الاسرار والعلوم قلب المصلي فجعل أمداد الخمسين في الخمس هذا بالنسبة للمريد يقال بالنسبة لغيره علم وجود الضعف منك بتكا وعلم احتياجك الى فضله أي كرمه فكثر أمدادها أي ثوابها بأن جعل للخمسة ثواب الخمسين (متى طلبت) أيها الم على عمل) صلاة كان أو غيرها بأن عملت ذلك لاجل ثواب آجل وهو الجزاء عليه في الدار الآخرة أو عاجل كالا من قبل الحق سبحانه (طوليت) أي طالبك الحق تعالى (بوجود الصدق فيه) ٨٩ أي قال لك انك لم تصدق في كو

في قلبك كما تقول قال فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت قال فيرد ذلك الحجاب صلاته وتلتقم الشياطين قلبه فلا تزال تنفخ فيه وتنفث وتوسوس اليه وتزين له حتى ينصرف من صلاته لا يعقل ما كان فيه ومعاني هذه الاخبار والآثار موافقة لمعنى ماذكره المؤلف رحمه الله تعالى دالة عليه فلذلك أوردتها ههنا والله ولي التوفيق برحمته ((علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها وعلم احتياجك الى فضله فكثر أمدادها)) فهذا من فضل الله تعالى الذي عوده عبده فتقليل أعدادها بان جعل الخمسين خمسة وذلك تخفيف منه لما علم من وجود ضعفه وتكثير أمدادها أن جعل للخمسة ثواب الخمسين وذلك فضل منه عليه اذ كان محتاجا اليه فلله الحمد والشكر على ذلك وهذه المعاني مذكورة في حديث الاسراء ((متى طلبت عوضا على عمل طولبت بوجود الصدق فيه ويكفي المريب وجدان السلامة)) تقدم أن العمل لاجل حصول الجزاء مدخول معلول وحكيناه الك من الآثار والحكايات عن العارفين وأرباب القلوب مافيه مقنع وقد كرر المؤلف رحمه الله تعالى هذا المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وماذكره ههنا تقبيح لحال طالب الجزاء على العمل ومعنى ماذكره أن العمل على هذا الوجه معرض للبطلان لانه اذا طالب ربه بالجزاء على عمله طالبه ربه بوجود الصدق فيه والصدق فيه الوفاء بحقه في العمل وأنى له توفية ذلك مع كونه طالبا للحظ من ربه فهو لا محالة مريب فيكفيه وجدان السلامة من غير مزيد عليها * قال الواسطي رضي الله تعالى عنه العبادات الى طلب العفو عنها أقرب منها الى طلب الاعواض عليها وقريب من هذا قول النصراباذي العبادات الى طلب العفو والصفح عن تقصيرها أقرب منها الى طلب الاعواض والجزاء عليها وقال خير النساج رضي الله تعالى عنه ميزان أعمالك ما يليق بأفعالك فاطلب ميزان فضله فانه أتم وأحسن قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ((لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا يكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا)) المنفرد بخلق أفعال العباد واختراعها هو الله عز وجل فكيف يطلب العبد الجزاء على عمل لا مدخل له فيه على الحقيقة ومعنى كون القبول جزاء قد تقدم ((اذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك)) فضل الله تعالى عظيم فاذا أراد أن يظهره عليك خلق لك الطاعة وحلاك بها ونسبها اليك وقال لك يا عبدي أنت مطيع ومتق ومجتهد وعامل وسأثيبك على ذلك فاذا شهد العبد هذا الفضل العظيم واستولى عليه الخجل والحياء من سيده الكريم وانطلق لسانه في هذه الحالة بالدعاء والسؤال وقال يارب كما تفضلت على بخلق الطاعة لي وحليتني بها ووصفتني بصفات حميدة أنا خلي عنها في الحقيقة ووعدتني مع ذلك بجزيل الثواب والنجاة من العقاب فتقبل مني عملي وأنجز لي ماوعدتني كان في ذلك مصيبا والا فلا فحق العبد أن لا ينسب الى نفسه شيأ من محامد الصفات ومحاسن



الجزاء على العمل وبيان أن المنهل العذب الصافي أن يعبد العبد ربه لما هو عليه من الربوبية لا لما يعود عليه في دنياه أو أخراه وقد ذكر المصنف هذا المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وأ بقوله (لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا) بل هو الفاعل له حقيقة وانما أنت محل لظهوره واذا كان الفاعل ه الجزاء عليه أو يقال ان المنفرد بخلق أفعال العباد واختراعها هو الله وليس للعبد الا مجرد الكسب فكيف يطلبه منسوبا اليه الا بطريق الكسب (يكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا) أي قبوله له والمراد به عدم مدخولا بقصدك به طلب الثواب) (اذا أراد أن يظهر فضله عليك) أي تفضله عليك واحسانه لك (خلق) أي ال

فيك عند الانكسار لأن كنت المطيع ومتقي ومجتهد وعامل أو نسبه إليك على ألسنة العباد بأن يطلق اسم
اشهد العبد هذا الفضل العظيم واستولى عليه الخجل والحياء من سيده الكريم لم ينسب لنفسه شيئاً من
الأعمال لا حقيقة ولا أدباً إذ لا أهلية فيه لذلك وأما مدام الصفات والأعمال ومساويها فتقتضي الأدب أنه
أن يعترف أنه من ظلمه وجهله * وقال سهل بن عبد الله قدس الله سره إذا عمل العبد حسنة وقال يا رب أنت تفضلت
وأنت سهلت شكر الله تعالى له ذلك وقال له يا عبدي بل أنت أطعت وأنت تقربت وإذا نظر إلى نفسه وقال أنا عملت
أعرض الله تعالى عنه وقال يا عبدي أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت وإذا عمل سيئة وقال يا رب أنت قدرت
عصب المولى حلت قدرته عليه وقال له يا عبدي بل أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت وإذا قال يا رب أنا
جهلت أقبل المولى جلت قدرته عليه وقال يا عبدي أنا قضيت وأنا قدرت وقد غفرت وحلمت وسترت اهـ (لا نهاية
) أي وكالك (٩٠) إلى نفسك لا نهاية محمولة على الشر فإذا تخلى الله بذلك عنها أي لم يعتنِ عليها ولم يكلك

الأعمال حقيقة ولا أدباً إذ لا أهلية فيه لذلك وأما مدام الصفات والأعمال ومساويها فتقتضي الأدب
أن يضيف ذلك إلى نفسه وأن يعترف بأن ذلك من ظلمه وجهله * وقال سهل بن عبد الله رضي الله تعالى
عنه إذا عمل العبد حسنة وقال يا رب أنت بفضلك استعملت وأنت أعنت وأنت سهلت شكر الله تعالى
له ذلك وقال له يا عبدي بل أنت أطعت وأنت تقربت وإذا نظر إلى نفسه وقال أنا عملت وأنا أطعت وأنا
تقربت أعرض الله تعالى عنه وقال يا عبدي أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت وإذا عمل سيئة وقال يا رب
أنت قدرت وأنت قضيت وأنت حكمت غضب المولى جلت قدرته عليه وقال له يا عبدي بل أنت أسأت
وأنت جهلت وأنت عصيت وإذا قال يا رب أنا ظلمت نفسي وأنا أسأت وأنا جهلت أقبل المولى جلت
قدرته عليه وقال يا عبدي أنا قضيت وأنا قدرت وقد غفرت وحلمت وسترت (لا نهاية لمذامك إن أرجعك
إليك ولا تفرغ مدائحك إن أظهر جوده عليك) من أرجعه الحق إلى نفسه ووكله إلى عقله وتدبيره
فقد طرده عن بابه وأبعده عن جنابه وكانت أحواله مدخولة معلولة وأعماله مستقبحة مرذولة ومن آواه
إليه وأظهر جوده عليه فقد اصطنعه لنفسه ورفعه إلى حضرة قدسه وكانت أحواله حسنة جميلة
وأعماله كلها محمودة مقبولة كما قيل

لما انتسبت إلى جمالك عرفت * وإني نصرت أنا والأمين أنا

(كن بأوصاف ربوبيته متعلقاً وبأوصاف عبوديتك متحققاً) التعلق بأوصاف الربوبية أن تشهد
وجودك ولوازم وجودك لا شيء من جميع ذلك لك ولا مستند إلا هو وأن عندك فلا ترى وجودك إلا
بوجوده ولا بقاءك إلا بإبقائه ولا عزتك إلا بعزته ولا قدرتك إلا بقدرته ولا غناك إلا بغناه إلى غير ذلك
من الأوصاف ولا يتم لك ذلك إلا بأن تتحقق بأوصاف عبوديتك من عدمك وفقرك وذلك وعجزك والتعلق
والتحقق المذكوران متلازمان بل هما شيء واحد لا تعدد فيهما على التحقيق (منعك أن تدعي ما ليس
لك مما للمخلوقين أفيبيح لك أن تدعي وصفه وهو رب العالمين) أورد هذا كالدليل على ما ذكره آنفاً
من أنه لا حظ للعبد من صفات مولاه إلا التعلق بها فقط وإن ادعى شيئاً منها من كان من معاصي القلب ومن

لأنه الأعلق به لا تحققه (وبأوصاف عبوديتك متحققاً) ومعنى مشاركة
التعلق بها وملاحظتها أي ملاحظة كونها له ولا يصح لك أن تتصف بشيء منها ومعنى التحقق بأوصاف العبودية
ملاحظة كونها هي التي ينبغي أن يتصف بها العبد حقيقة لا بأوصاف الربوبية وما وجد فيه من أوصاف
ليس هو له حقيقة وإذا لاحظ كون الغنى والقدرة والعزة والقوة ليست إلا للمولى ولاحظ أن الذي يتصف به
هو الفقر والعجز والذل والضعف أمده الله تعالى بأوصافه فيكون غنياً بالله قادراً بالله عالماً بالله عزيزاً بالله
فتعلق بأوصافه يمدك بأوصافه ثم علل ذلك بقوله (منعك أن تدعي ما ليس لك) أي حرم عليك أن تدعي شيئاً ليس لك
)من الأموال ونحوها تعالى عدواناً وظلماً (أفيبيح لك) سبحانه (أن تدعي وصفه وهو رب العالمين) أي يكون
وأشد العدوان فإذا ادعيت أنك غني أو قادر أو عزيز أو قوي أو عالم كما يقع لبعض الناس كان ذلك من
مشاركة المربوب للرب ومن أفحش الفواحش عند العارفين ووجود شيء من الشرك في قلب العبد بادعائه شيئاً من

مشاركة المربوب للرب ومن مقتضى الغيرة التي اتصف بها وأعلمنا بشأنها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لا أحد أغير من الله تعالى ومن غيرته أنه حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن تحريم ذلك على العبد والتحجير عليه باستحقاق الطرد والبعد ومن أفحش الفواحش عند العارفين وجود شئ من الشرك في قلب العبد بادعاء شئ من أوصاف الربوبية لنفسه عقداً أو قولاً لان ذلك منازعة له وتكبر عليه وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل الكبر يائي ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحدة منهما ألقيته في النار ومعنى المنازعة الدعوى قولا وعبارة والاضمار فعلا واشارة ومعنى الغيرة في حقه تعالى أنه لا يرضى بمشاركة غيره له فيما اختص به من صفات الربوبية وفيما هو حق له من الاعمال الدينية واذا كان الحق تعالى ما نعالك ومحرما عليك أن تدعي ما ليس لك مما أعطى المخلوقين من الاموال ومسميا ذلك ظلما وعدوانا فكيف يبيح لك أن تدعي وصفه وهو رب العالمين لا شريك له في ذلك لا أنت ولا غيرك فهو اذا من أعظم الظلم وأشد العدوان عافانا الله من ذلك (قلت) وهذا المعنى الذي ضمنه المؤلف رحمه الله تعالى هذه المسئلة هو الغرض الاقصى الذي هو مرمى أنظار الصوفية وكل ما صنفوه ودونوه وأمروا به ونهوا عنه من أفعال وأقوال وأحوال انما هي وسائل الى هذا المقصد الشريف والمقام المنيف فشأنهم أبدا انما هو العمل على موت نفوسهم واسقاط حظوظها بالكلية كما قيل الصوفي دمه هدر وملكه مباح وليس ذلك هو المقصود لهم بالذات وانما غرضهم من ذلك ما يلزم عنه من انفراد الله تعالى عندهم بالوجود ولوازم الوجود انفراد الايشار كونه في شئ منها البتة كما ذكرناه آنفا وهذا هو كيمياء السعادة الذي أعوز أكثر الناس ولم يحظوا منه الا بالافلاس اذ بذلك يستحق المرء عبودية الله عز وجل الذي لا مقام للعبد أشرف منه كما قال الشاعر

ألست لي خلقا مني كفى شرفا * فما وراءك لي قصد ومطلوب

ولهذا المعنى كانت عندهم دقائق خطرات الحظوظ وخفيات هواجس الهوى وكل ما يقتضي بقاء حظ النفس وثبوتها من محبة المقامات وايثار الالطاف والكرامات ذنوبا عظيمة وأخلاقا ذميمة آثمة قادحة في صدق العبودية والاخلاص للربوبية يتوبون من جميع ذلك الى ربهم ويتعوذون به من شرهم ويخافون من مساكنته وملاحظته غاية البعد ونهاية المكر والطرد كما قيل

اذا قلت ما أذنبت قالت مجيبة * وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

ذكر انه كان لبعض الملوك عبد يقدمه على أشكاله وأقرانه فشكا أهل اقليم عاملهم الى الملك فقال تخيروا من شئتم أوليه عليكم فاختاروا ذلك العبد لما رأوا ميل الملك اليه فقال الملك راجعوه فان اختار الولاية وليته عليكم فرغب الغلام في الولاية فأمر بكتب المنشور وأمر باستقباله اذا وافى محل ولايته والمبالغة في الطافه بأنواع المكرمات والمباور دس من يرش عليه ماء ورد فيه سم ثم أمر من يقول اذا أشرف على الموت هذا جزاء من اختار الولاية على خدمة مولاه ففي هذا عبرة لاولي الابصار وتبصرة لارباب الاعتبار والى هذا المعنى الجليل المؤدي الى سواء السبيل تشير الحكاية المشهورة المروية عن أبي يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه حدث يحيى بن معاذ رضي الله تعالى عنه أنه رآه في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا أخمصيه مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فأطال ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك واني أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك واني أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم كنوز الارض فانقلبت لهم الاعيان فرضوا بذلك واني أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم عبدك خضرا فرضوا بذلك واني أعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت الي فرآني فقال يحيى قلت نعم يا سيدي قال مذ متى أنت ههنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني

شيء فقال أحدثك شيء يصلح لك أو خلني في الفلك الأسفل ودوروني في الملكوت السفلي فأراني الأرضين وما تحتها الى الثرى ثم أدخلني في الفلك العلوي وطوف بي في السموات وأراني ما فيها من الجنات الى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال سلني أي شيء رأيت حتى أهبه لك فقلت يا سيدي ما رأيت شيئا استحسنته فأسألك اياه فقال أنت عبدي حقا تعبدني لأجلي صدقا لأفعلن بك ولأفعلن بك وذكر أشياء قال يحيى بن معاذ رضي الله تعالى عنه فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لم تسأله المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال ويلك اسكت غيرة عليه مني لا أحب أن يعرفه سواه قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله تعالى عنه بعد ان ذكر هذه الحكاية فهذا حال صدق أن غنى نفسه ما سوى واد كان ربه عز وجل له موجدا فال مقامه في المقامات فقصرت عن وصفه الصفات وحق له اذا نظر الى الحسن الذي حسنت المحاسن كلها عن حسنه وشاب الرسالات جميعها بعد النظر الى رؤيته وشهد الجمال الذي تحمل الجال والمتجملون بجماله أن لا يستحسن سواه وكيف يحب غير المحسن أو تزين في عينه الآلاء أم كيف يطلب غير ما أحب أو يتسع مع غير ما طلب بل كيف يهتم بغير ما طلب فهذا نعت عبد مطلوب معنى ما طلب ووصف مخصوص محبوب يعني ما أحب الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس انتهى وفي الاشارات عن الله سبحانه يا عبدي اعزل نفسك يعزل معها الملك والملكوت فتلتقي الدارين بالملك وتلتقي العلوم بالملكوت فتكون عندي من وراء ما أبدي ولا يستطيعك ما أبدي لأنك عندي واذا كنت عندي كنت عندي فقال اذا كنت عندي كنت علمك نوري ولا يستطيعك ما أبدي وان أرسلته اليك لأن نوري عليك وليس نوري عليها فاذا جاءتك لم يطعك فاودك به فقد أذنت له والعبارات عنهم في هذا المعنى خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه منها كفاية والغاد كرناه هذه المعاني وان كانت في الظاهر أعلى من أن يتناولها كلام المؤلف رحمه الله تعالى لأن مرجع أمره اليها اذا دققنا النظر وتعمقنا فيه بوجوه الفكر فكان الهمة هو المقصود المعتبر وكلام الصوفية رضي الله تعالى عنهم كثيرا ما يجري هذا المجرى والله تعالى يجزيهم عنا خيرا ويمن علينا بالفهم عنهم وحسن القبول منهم وينفع أمثالنا الأصغاء اليهم وبشرح صدورنا باستحسان ما يرد منهم أو يبدو عنهم بعميمه وفضله ((كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد)) خرق العوائد بانكشاف عالم القدرة لا يكرم الحق تعالى به الا من خرق عوائد نفسه وفنى عن ارادته وحظوظه فمن لم يصل الى هذه المقامات لا يطمع فيها وان ظهر له ما صورته صورة الكرامة فينبغي له أن يخاف عند ذلك من الاستدراج والمكر حيث لا يحب ذلك ولا يطلبه وان أحبه أو طلبه فهو دليل على بقائه مع ارادته وحظوظه وعاداته فكيف تخرق العوائد لمن هذه صفته على سبيل الكرامة وهل هذا الاحتمال لا يستقيم قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه وجميع الأنوار من الغيوب التي وراء الحجب والأستار لا يظهر عليها الا مطلوب والمطلوب لا يكون الا محبوبا وهو عن نفسه مسلوب حتى تثبت عليه من نفسه بقية ونظر الى حركته وسكونه بعين نظرة نفسه فيسترها عليه رحمة له لأنه لو كوشف بها لوقف في حيرة الهوى وغرق في بحار الدنيا وتنفس حبه وعين طالبه اياها فوجبانه عنها واستتارها عنه حتى يكون كارها لظهورها كراهيته لظهور الخلق على معصيته وخائفا منها لكونه على نفسه في تظاهرها عليه مملكته فهالك حين يتلي بها وبختبر ليظهر كيف يعمل وكذا الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه قال من لم يكن كارها لظهور الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصي فهو في حقه حجاب وسترها عليه رحمة واذا من خرق عوائد نفسه لا يريد ظهور شيء من الآيات وخوارق العادات له بل تكون نفسه عنده أقل وأحقر من ذلك واذا فني عن ارادته جملة كان له تحقق في رؤية نفسه بعين الحقارة والذلة حصلت له أهلية ورود الالطاف وجود الاسعاف ووصل الى مرتبة الصديقية المهيع الناهج وضرب مع أهل الارادة بالقدح الفالج قال الشيخ أبو العباس بن العريف أصحب يوما فهو منا فقلت للشيخ أبي القاسم بن رويل

حدثني بحكاية عسى الله أن يفرج مابي فقال نعم وصف لي رجل ببعض السواحل يعرف بأبي الخيار فقصدته فوجدته على ساحل البحر فسلمت عليه وجلست فلم يتكلم ولم أكلمه حتى اذا كان وقت الصلاة أقبل نفر من بعض الاودية متفرقون فاجتمعوا اليه وتقدمهم واحد منهم فصلى بهم ثم افترقوا ولم يكلم أحد منهم أحدا وجلس الشيخ مكانه وجلست عنده حتى اذا كان وقت الصلاة حضر النفر فصلوا ثم انصرفوا حتى اذا كان وقت العصر اجتمعوا وصلوا ثم جلسوا بعد ذلك وتذاكروا سير الصالحين ومقامات العارفين والاولياء الى قريب الاصفرار ثم تفرقوا واجتمعوا للمغرب ثم تفرقوا فجلست عندهم ثلاثة أيام وهم على ذلك ثم وقع في نفسي أن أسأله عن مسئلة أستفيدها فتقدمت اليه فقلت أيها الشيخ مسئلة أسأل عنها فقال قل فنظر الجماعة الى كالمنكرين ففزعت فقلت أيها الشيخ متى يعلم المريد أنه مريد قال فأعرض عني ولم يجبني فخفت أن أكون قد أغضبته فقمت عنه فلما كان في اليوم الثاني قلت لابد أن أسأله عن المسئلة وعزمت على ذلك فتقدمت اليه وقلت له أيها الشيخ متى يعلم المريد أنه مريد فأعرض عني كالاولى ولم يجاوبني فقمت وعدت في الثالثة وسألته عن المسئلة بعينها فاجتمع وقال لا تقل هكذا أظنك تريد أن تسأل عن أول قدم يضعه المريد في الارادة فقلت نعم قال لي اذا اجتمع فيه أربع خصال احداها أن تطوى له الارض وتكون عنده كقدم واحد وأن يمشي على الماء وأن يأكل من الكون متى أراد وأن لا ترد له دعوة فعند ذلك يضع أول قدمه في الارادة وأما متى ما علم المريد عندنا أنه مريد سقط من حد الارادة قال الشيخ أبو العباس بن العريف رضي الله عنه فصحت صيحة كادت نفسي تذهب معها ثم قلت له آيستنا من الارادة يا أبا القاسم وتعجبت من علو همة هذا الشيخ انتهى واعلم أنه أول ما يخرق له من العادة تسميته باسم المريد مع كونه مسلوب الارادة وما أحسن ما قال الشاعر

تكون مريدا ثم فيك ارادة * اذا لم ترد شيأ فأنت مريد

والتحقيق في هذا أن من تمحضت ارادته لعبودية الله عز وجل بمراعاة حقوقه لاجل ما وجب عليه من ذلك لا ليتوصل به الى نيل حظ ما هو الذي يسمى مريدا فلم يسم بذلك الا أنه متصف بالارادة الحقيقية المتعلقة بأشرف المطالب ونهاية الآمال والمآرب وذلك أمر وجودي يصح أن يشتق منه اسم لمن قام به ذلك الامر الا أنه سمي بذلك لاجل ما سلب عنه من الارادة المجازية المتعلقة بحظوظه لكن لما كان سلب احداهما يقتضي وجود الاخرى كاقتضاء الواجب صح لذلك الشاعر أن يطلق اسم الارادة على من سلبت منه ويجيزه عمن وجدت فيه رشاقة وملاحة ونعمة وبهذا تبين لك صحة كلام أبي يزيد رضي الله عنه واستقامته حيث قيل له ما تريد فقال أريد أن لا أريد وأنه ليس بمختل ولا متناقض كما توهم بعضهم قال في التنوير واعلم أنه قد قال بعضهم ان أبا يزيد لما أراد أن لا يريد فقد أراد وهذا قول من لا معرفة عنده وذلك ان أبا يزيد رضي الله عنه انما أراد أن لا يريد لان الله تعالى اختار له وللعباد أجمع عدم الارادة معه فهو لا يختار معه شيأ ولا يريده فهو في ارادته أن لا يريد موافق لارادة الله له ولذلك قال الشيخ أبو الحسن فكل مختارات الشرع ومرتباته هو مختار الله ليس لك منه شئ فاسمع وأطع وهذا موضع الفقه الرباني والعلم اللدني وهو أرض تنزل علم الحقيقة المأخوذ عن الله قال فأبان الشيخ بهذا الكلام أن كل مختار الشرع لا يناقض اختياره مقام العبودية المبني على ترك الاختيار لئلا ينخدع عقل قاصر عن درك الحقيقة بذلك فيظن أن الوظائف والارادات ورواتب السنن ارادتها يخرج بها العبد عن صريح العبودية لانه قد اختار فبين الشيخ أن كل مختارات الشرع ومرتباته ليس لك منه شئ وانما أنت مخاطب أن تخرج عن تدبيرك لنفسك واختيارك لها الا عن تدبير الله تعالى ورسوله لك فافهم قال فقد علمت اذا أن أبا يزيد ما أراد أن لا يريد الا لان الله أراد منه ذلك فلم تخرجه هذه الارادة عن العبودية المقتضاة منه انتهى وقد طال بنا الكلام في هذا المعنى حتى آل الى بعد المناسبة بينه وبين المسئلة المنبه عليها من الكتاب والحديث شجون يجر بعضه الى بعض لكن لما كان قصدنا في هذا التنبيه اغتنام ذكر الفوائد في مواضعها

أى الدعاء لبيان المقال أى ليس الشأن المعتبر عند المحققين أن تطلب حوائجك وحظوظك من مولاك
ودون غيره بوثوق بما يجب عليك فى الدعاء من الأدب فإن ذلك لا يوفى به (إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب) أى
المحققين أن تطلب جميع مطالبك منه دون غيره لا لقصد نيل حظك ومرادك فقط بل أن تطلب ذلك منه إظهارا
(١٤) الربوبية فيدلك حسن أدبك ويصح سؤالك وطلبك وذلك هو الوفاء على التحقيق بحق الأدب

ومطالبه التفريع مسائل هذا الفن الغريب فما من أراد الله تعالى توفيقه عن بيه وبينه بعد المشرقين مع متاركته وكما أشرنا فيها على أوضح المسالك وبالله تعالى التوفيق (ما الشأن وجود الطلب إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب) إذا التزم العبد طلب حوائجه وحظوظه من مولاه ولم يطلب ذلك من غيره فلا يظنن أنه وفى بما يجب عليه من حق الربوبية فليس ذلك بالشأن المعتبر عند المحققين وإنما الشأن أن يتأدب العبد بين يدى مولاه أدبا حسنا بأن يفوض أمره إليه ويرضى بما قسم له ولا يطلب منه ما ليس له كما سيقول المؤلف رحمه الله بعد هذا ويطلب عبوديته منه لأن القصد نيل حظه فبهذين الوجهين يحسن أدبه ويصح سؤاله وطلبه وذلك هو الوفاء على التحقيق (ما طلب لك شىء مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب إليك مثل الذلة والافتقار) اضطرار العبد هو أخص أوصاف عبوديته ولذلك لم يطلب من العبد شىء أجل منه قال أبو محمد عبد الله بن مبارك رضى الله عنه العبودية الرجوع فى كل شىء إلى الله عز وجل على حد الاضطرار وفيه أيضا خاصية إجابة الدعاء قال الله عز وجل أمن يجيب المضطر إذا دعاه والاضطرار المطلوب منه أن لا يتوهم العبد من نفسه شيئا من الحول والقوة ولا يرى لنفسه سببا من الأسباب يعتمد عليه أو يستند إليه ويكون بمنزلة الغريق فى البحر أو الضال فى التيه القفر لا يرى لغياثه إلا مولاه ولا يرجو لنجاته من هلكته أحدا سواه وقال بعض العارفين المضطر الذى يقف بين يدى مولاه فيرفع يديه إليه بالمسألة فلا يرى بينه وبين الله حسنة يستحق بها شيئا فيقول هب لى يا مولاى بلا شىء والذلة والافتقار أمران لازمان له وهما موجبان لإسراع مواهب الحق تعالى إلى العبد المتصف بهما وإليه الإشارة بقوله عز من قائل ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فذلتهم أوجبت لهم عزتهم ونصرهم

كما قيل
وإذا تذللت الرقاب تقربا * منها إليك فعزها فى ذلها

وقيل
حيث أحلتنى إلى الدال واللا * م تلقيتنى بعين وزاى

قال فى لطائف المنن والطالب للتوفيق علامة صدق الراجعى إلى الله فى أول كل عمل ونزلة الفقر والفاقة إليه والانغماس فى بحر الذلة والمسكنة بين يديه واستصحاب ذلك إلى الفراغ منه أبدا وقد قال الله سبحانه ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وقال تعالى إنما الصدقات للفقراء والمساكين ولا تدخل حضرة مولاك وعلمك وما أعطيت من نور وفتح فتقول كما قال من خذل فأخبر الله عنه بقوله ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ولكن ادخلها كما بين لك وقل كما رضى الله له إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله وإذا فهم هنا قوله صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة وفى رواية أخرى كنز من كنز تحت العرش والترجمة ظاهر والمكنوز بها صدق التبرى من الحول والقوة والرجوع إلى حول الله تعالى وقوته (لولا أنك لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبدا ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه

بمنزلة الغريق فى البحر أو الضال فى التيه القفر لا يرى لغياثه إلا مولاه ولا يرجى النجاة من هلكته إلا ... ومفعول
لمفعول والثانى قوله شىء أى أن اضطرار العبد هو أقصى أوصاف عبوديته ولذا لم يطلب من العبد شىء أجل
المواهب إليك مثل الذلة والافتقار) من عطف اللازم على الملزوم لأن الذلة والافتقار لازمان للمضطر وهما
الحق تعالى إلى العبد المتصف بهما وإليه الإشارة بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فذلتهم أوجبت
لك لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك) أى عيوب نفسك ومهاشتها الوصول إليه (ومحو دعاويك) أى نسبة
العزة والغنى والقدرة وما ذكر ونحوه بالرياضات والمجاهدات أى لا تعتقد أنك لا تصل إليه إلا بعد ما ذكر
اعتقدت ذلك (لم تصل إليه أبدا) لأن ذلك من الأوصاف الذاتية الجبلية التى لا ينفك عنها العبد وحينئذ
لك كما أشار إلى ذلك بقوله (ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه) أى إلى حضرة قربه (غطى وصفك بوصفه

بيبتمنه) أى ستر عنك أوصافك وأظهر عليك أوصافه فأغناك عنك وأبقاك به أى غيب صفاتك الدنية باظهار
الى ذلك الاشارة بقوله فى الحديث القدسى ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه
الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها (فوصلك اليه بما منه اليك) وهو اظهار صفاته عليك
الشهاد فى الاعمال قال الشاذلى قدس سره لن يصل الولى الى الله ومعه شهوة من  شهواته أو تدبير

يعنك بنعته فوصلك اليه بما منه اليك لا بما منك اليه)) الوصول الى الله تعالى لا يكون الا بمحو صفات
النفس وقطع علاقات القلب وشئ من ذلك لا يتصور من العبد من حيث هو لان ذلك طبعه وجبلته ولو
يكن الا ارادته وعمله فى تحصيل هذا الغرض بنفسه فهما من جملة المساوى والدعاوى المحتاج الى محوها
السيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه لن يصل الولى الى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول الى
الله تعالى يعنى انقطاع أدب لا انقطاع ملل وقال سيدى أبو الحسن رضى الله عنه وان يصل الولى الى
الله ومعه شهوة من شهواته أو تدبير من تدبيراته أو اختيار من اختياراته فلو خلى الله تعالى عبده
وذلك لم يصل اليه أبدا ولكن اذا أراد الله تعالى أن يوصل عبده اليه تولى ذلك له بان يظهر له من صفاته
العلية ونعوته القدسية ما يغيب بذلك صفات عبده ونعوته عنه ويكون ذلك علامة على محبته له كما أشار
اليه بقوله فى الحديث القدسى فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى
يبطش بها ورجله التى يمشى عليها وعند ذلك لا تكون له ارادة ولا اختيار الا ما اختاره له مولاه وأراده
فيكون حينئذ واصلا الى الله بما من الله اليه من الفضل والكرم لا بما من العبد اليه من الاجتهاد
والعمل فسبحان المتفضل على من شاء بما شاء * وقال رضى الله عنه ((لولا جميل ستره لم يكن عمل أهلا
للقبول)) العبد مبتلى بنظره الى نفسه وفرحه بعمله من حيث نسبته اليه وشهود حوله وقوته عليه وهذا
لا يخلص له عنه الا بما شاء ربه وقد يكشف حجابه فيرائى به ويطلب حمد الناس له وهذا كله من الشرك
الخفى القادح فى الاخلاص الحقيقى والاخلاص شرط فى قبول العمل كما تقدم قال يحيى بن معاذ رضى الله
عنه مسكين ابن آدم جسم معيب وقلب معيب يريد أن يخرج من معيبين عمل بلا عيب فعمل العبد لما
كان بهذه المثابة لم يكن فيه أهلية لوجود القبول لولا جميل ستر الله تعالى وعظيم حلمه وبره فليعتمد المريد
على فضل الله تعالى وكرمه لا على اجتهاده وعمله قال الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه اذا طالبهم
بالاخلاص تلاشت أعمالهم واذا تلاشت أعمالهم زاد فقرهم وفاقتهم فتبرؤا عن كل شئ ومن كل شئ الهم
وهمهم ((أنت الى حلمه اذا أطعته أحوج منك الى حلمه اذا عصيته)) شرف العبد ورفعة قدره انما يكون
بنظره الى ربه عز وجل واقباله عليه وسكونه اليه واعتماده عليه ودناءته وخسته وسقوطه من عين
الله تعالى انما يكون بنظره الى نفسه واقباله على غيره واستناده الى سواه فالعبد عند عمله بالطاعة
معرض لهذه الاخطار من نظره الى نفسه واستعظام عمله وعجبه بطاعته وسكونه الى معاملته وليته
يسلم فيه من دقائق الرياء والتصنع بخلاف المعصية فى جميع هذه الاشياء فانما تحمله على الحذر والخوف
من ربه وتوجب له الاستكانة والخضوع وشدة الافتقار اليه فلذلك كان العبد الى حلم الله اذا أطاعه
أحوج منه الى حلمه اذا عصاه وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أوحى الله تعالى الى
نبى من الانبياء قل لعبادى الصديقين لا تغتروا فانى ان أقمت عليهم عدلى وقسطى أعذبهم غير ظالم لهم
وقل لعبادى الخطائين لا تيأسوا من رحمتى فانى لا يكبر على ذنب أغفره ولهذا المعنى قال أبو يزيد رضى
الله عنه توبة المعصية واحدة وتوبة الطاعة ألف توبة ((الستر على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها

قد يعرض له عند طاعته أحوال كرؤية نفسه والاعجاب والكبر وازدراء الغير واستحقاقه الجزاء الى غير ذلك من كبا
أن تنقلب طاعته معصية والعاصى ربما تحمله معصيته على الحذر والخوف من ربه وتوجب له الاستكانة وا
اليه فلذلك كان العبد الى حلم الله اذا أطاعه أحوج منه الى حلمه اذا عصاه وهذا زيادة تحذير من رؤية استحقا
ذلك غلط وجهل (الستر على قسمين ستر عن المعصية) بأن يمنعه عنها ولا يهيئ له أسبابها (وستر فيها) أى مع فعلها بأ
فعلها أو بعده

من ا
تعالى
اليه أ
الله أ
تولى
من د
القد
عبد
ذلك
اختيا
وأرا
ستره
(لم ي
لان ا
نفسه
حيث
حوله و
حجابه
الناس
الشر
الا خ
شرط
وحيا
المو
الله و
ولو قال
(أنت
أحو
عصه

حقائق الإيمان يغلب عليهم شهود الخلق ويتوقعون منهم حصول المنافع ودفع المضار فيراؤنهم ويتصنعون لهم ويتملقون بين أيديهم ويكرهون أن يطلعوا منهم على ما تسقط به منزلتهم من قلوبهم ولذا (يطلبون من الله تعالى ستره) أي في المعصية أي في حال كونهم عاملين لها أو مصممين على ارتكابها أو إذا اطلعوا (خشية سقوط اطلعوا على حالهم فيفوتهم ما كانوا يتوقعون منهم من حصول المنافع ودفع المضار وهؤلاء هم الذين يعبدون الخلق الذي (٩٦) يخرج صاحبه من حقائق الإيمان وفي مثلهم قال الله تعالى يستخفون من الناس ولا

والعامة يطلبون من الله تعالى الستر فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون من الله الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق)) العامة يغلب عليهم شهود الخلق والتصنع والتزين لهم ورغبة حمدهم وكراهة ذمهم فهم يعملون المعصية ويستخفون بها ويطلبون الستر من
أي في حال كونهم عاملين بها لئلا يراهم الخلق فيسقطوا من أعينهم وفي أمثالهم قال الله عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه في هذه الآية الغالب على قلوبهم رؤية الخلق ولا يشعرون أن الحق مطلع أولئك الذين وسم الله قلوبهم بوسم الفرقة روى عدي بن حاتم رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤمر يوم القيامة بناس من الناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها ونظروا إليها واستنشقوا ريحها وما أعد الله لأهلها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها قال فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا قال ذلك أردت بكم كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني وركنتم إلى الناس ولم تركنوا إلي فاليوم أذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتم من الثواب وفي بعض الكتب المنزلة إن لم تعلموا أني أراكم فالخلل في إيمانكم وإن علمتم أني أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين إليكم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور هو الرجل يمر بالمرأة في القوم فيريهم أنه يغض بصره عنها يود أنه يطلع على عورتها ويقدر عليها وقال في رواية أخرى هو الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة فيريهم أنه يغض بصره عنها فإذا رأى من القوم غفلة لحظ إليها وإذا خاف أن يفطنوا غض بصره عنها وقد اطلع الله عز وجل على قلبه أنه يود لو نظر إلى عورتها وهذا كله شأن المرائين الذين يستخفون نظر الجبار ويهابون الناس أن يطلعوا عليهم فيما يرتكبونه من الأوزار والخاصة من أهل الإيمان واليقين برآء من هذا الوصف الذميم لا التفات لهم إلى الخلق مدحا ولا ذما وهمتهم مصروفة عن النظر إليهم والاعتماد عليهم في نفع أو دفع ضر وحالهم إنما هو القناعة بعلم الله تعالى ومراقبة نظره فهم يطلبون الستر من الله عنها في أن يعصمهم عن تطرقها ولا يخطرها بقلوبهم فتميل إليها أنفسهم فيعملون بها فيقعون في مخالفة ربهم والتعرض لسخطه والسقوط من عينه وشتان ما بين الحالين وإلى هذا المعنى أشار سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في دعائه بقوله اللهم إنا نسألك التوبة ودوامها ونعوذ بك من المعصية وأسبابها وذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها واحملنا على النجاة منها ومن التفكر في طرائقها وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها واستبدلها بالكراهة لها والطعم لما هو بضدها ((من أكرمك إنما أكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك)) العبد محل الآفات والعيوب وستر الله الجميل هو الذي

اطلعوا عليهم (من أكرمك) أي أقبل عليك بإعطاء أو محبة أو شكر (إنما أكرم فيك جميل الناس ولولا وجوده ما أقبلوا عليك ولا أحبوك ولا نظروا إليك بعين الرضا إذ لو اطلعوا على ما أنت عليه لاستقذروك لا يمكن أن يكون إلا (لمن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك) ولا يحمد إلا من حيث إسداء الخير على المعطي حقيقة إذ ليس ذلك إلا لله فمن أقبل الناس عليه وأكرموه فقد يغلط فيضع الحمد والثناء في غير موضعه يرى لنفسه وصفا محمودا يستحق به الإكرام فيكون من الجاهلين بأنفسهم الناظرين إلى عملهم الغافلين عن

منه الله عليهم فحذره المصنف من هاتين الغلطتين (ما صحبك) أى ليس الصاحب الحقيقى (٩٧) (الا من صحبك) أ

الناس الى الناس فاذا أكرمك أحد فلا يذهبن ذلك بك الى أن ترى لنفسك وصفا محمودا تستحق به الاكرام فتكون جاهلا بنفسك ولا يحملنك أيضا رؤية اكرام الخلق لك لوجود جهلهم بحالك على أن تحمدهم عليه دون ربك الذى اضطرهم الى اكرامك وستر عنهم عيوبك وأظهر لهم محاسنك فتكون بذلك كافرا بنعمة ربك ظالما بوضع الحمد فى غير موضعه ((ما صحبك الا من صحبك وهو بعيبك عليم وليس ذلك الا مولاك الكريم خير من تصحب من يطلبك لا لشئ يعود منك اليه)) الصاحب على الحقيقة هو من بذل احسانه اليك وأسبغ نعمه عليك ولم يمنعه من ذلك ما يعلمه من عيوبك التى يكرهها منك وليس ذلك الا مولاك وخير صاحب لك أيضا من اعتنى بك وآثرك وأرادك من غير منفعة ينالها منك وليس ذلك أيضا الا مولاك فاتخذه صاحبا ودع الناس جانبا ((لو أشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب اليك من أن ترحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها)) نور اليقين تتراءى به حقائق الامور على ما هى عليه فيحق به الحق ويبطل به الباطل والآخرة حق والدنيا باطل فاذا أشرق نور اليقين فى قلب العبد أبصر به الآخرة التى كانت غائبة عنه حاضرة لديه حتى كأنها لم تزل فكانت أقرب اليه من أن يرحل اليها فحق بذلك حقها عنده وأبصر الدنيا الحاضرة لديه قد انكسف نورها وأسرع اليها الفناء والذهاب فغابت عن نظره بعد أن كانت حاضرة فظهر له بطلانها حتى كأنها لم تكن فيوجب له هذا النظر اليقينى الزهادة فى الدنيا والتجافى عن زهرتها والاقبال على الآخرة والتهيؤ للنزول حضرتها ووجدان العبد لهذا هو علامة انشراح صدره بذلك النور كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله أو كما قال صلى الله عليه وسلم وعند ذلك تموت شهواته وتذهب دواعى نفسه فلا تأمره بسوء ولا تطالبه بارتكاب منهى ولا يكون همه الا المسارعة الى الخيرات والمبادرة لاغتنام الساعات والاوقات وذلك لاستشعاره حلول الاجل وفوات صالح العمل والى هذا المعنى الاشارة بحديثى حارثة ومعاذ رضى الله عنهما روى أنس بن مالك رضى الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى اذا استقبله شاب من الانصار فقال له النبى صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت يا حارثة فقال أصبحت مؤمنا بالله حقا قال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة فقال يا رسول الله عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى فكأنى بعرش ربى بارزا وكأنى أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى أنظر الى أهل النار يتعاوون فيها فقال أبصرت فالزم عبد نور الله الايمان فى قلبه قال يا رسول الله ادع الله لى بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودى يوما فى الخيل يا خيل الله اركبى فكان أول فارس ركب وأول فارس استشهد فبلغ أمه ذلك فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اخبرنى عن ابنى حارثة فان يك فى الجنة فلن أبكى ولن أجزع وان يك غير ذلك بكيت ما عشت فى الدنيا فقال صلى الله عليه وسلم يا أم حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنة فى جنان وحارثة فى الفردوس الاعلى فرجعت وهى تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة وروى أنس أيضا عن معاذ بن جبل دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقال له كيف أصبحت يا معاذ قال أصبحت بالله مؤمنا قال النبى صلى الله عليه وسلم ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول قال يا نبى الله ما أصبحت صباحا قط الا ظننت أن لا أمسى وما أمسيت مساء قط الا ظننت أن لا أصبح ولا خطوت خطوة قط الا ظننت أن لا أتبعها أخرى وكأنى أنظر الى كل أمة جاثية تدعى الى كتابها معها نبيها وأوثانها التى كانت تعبد من دون الله وكأنى أنظر الى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة قال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم فهذان الرجلان الفاضلان حارثة بن سراقة ومعاذ بن جبل الانصاريان رضى الله تعالى عنهما لما أشرق عليهما نور اليقين وتمكن من قلوبهما أى تمكين صدر منهما ما صدر مما ذكراه من



أى الكسوف والتغير أو كسرها وهى القطعة من الشئ التى يغطى اليه النفس ولا تنظر ما فيه (عليها) وذلك ان نور اليقين تتراءى به حقائق الامور على ما هى عليه فاذا أشرق فى قلب

(وه
يمنعه
عليك
عيو
مولا
من
السا
بالله
مع
حقي
ظهو
ذلك
الص
من
(خير
يطلبك
على
لشئ
وليس
من
يصحبك
فليس
قصد
منك ف
(لو أ
أى ا
على ا
وأضا
(رأ
الحال
نفسه
اليها)
اليها و
محاس
كسفا
الشبه

رة حق والدنيا باطل فيستقر الآخرة التى كانت غائبة عنه حاضرة لديه حتى كأنه لم يزل فكانت أقرب اليه من
ى والاستعداد  لها وبصيرا الدنيا الحاضرة لديه قد انكشفت نورها وأسرع اليها الفناء

حرت العبر وشاهدا أمر الدارين بمنزلة رأى العين فسلبت أعمالهما من العيوب والآفات وحفظا من
الهفوات والسيئات وطهرت منهما الاسرار والقلوب وسارعا فى كل أمر محبوب وطارت أرواحهم
اشتياقا الى لقاء الواحد الفرد وطابت أنفسهما بالموت حتى صار عندهما أحلى من الشهد حبيب جاء على
فاقة لا أفلح من ندم وكذلك غيرهما من الصحابة وكبار التابعين وأئمة الدين رضى الله عنهم أجمعين

ولقد أجاب معبر عن حالهم * واسمع مقالا صادقا مقبولا
ان الأولى ماتوا على دين الهدى * وجدوا المنية منهلا معسولا

وروى أنس بن مالك رضى الله عنه أن حرام بن ملحان رضى الله عنه وهو خال أنس طعن يوم بئر
معونة فتلقى دمه بكفه ثم نضحه على رأسه ووجهه وقال فزت ورب الكعبة وكان جبار بن سلمى فيمن حضر
بئر معونة مع عامر بن الطفيل ثم أسلم بعد ذلك فكان يقول مما دعانى الى الاسلام انى طعنت رجلا منهم
فسمعته يقول فزت والله فقلت فى نفسى والله ما فاز أليس قتلته حتى سألت بعد ذلك عن قوله
الشهادة فقلت فاز لعمر الله المطعون هو عامر بن فهيرة رضى الله عنه وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى شأن الامراء الثلاثة يوم مؤتة أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها
ابن رواحة فأصيب ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير امرة ففتح الله عليه أظنه قال صلى الله عليه وسلم
والله ما يسرنا أنهم عندنا أو قال ما يسرهم انهم عندنا وعيناه تذرفان دموعا فانهم رضى الله عنهم قد حازوا مرتبة
شريفة ومنزلة عالية منيفة وتبا لامثالنا الذين عميت بصائرهم وأظلمت سرائرهم فعميت عن أنوار
المعارف ووقعت فى أودية المهالك والمتالف واغتروا بهذه الدار المرارة الفانية السحارة
شباكها وارتبكوا فى مصايدها وأشراكها من غير شعور بما جرعها وزور محالها فكانوا قصدنا اليها
وتعويلنا عليها بمنزلة ظمآن لاح له سراب حسبه ماء فلما جاءه لم يجده شيئا مولانا ثم مع هذا كله
ننتسب الى الدين وندعى كمال المعرفة واليقين والدخول فى بحار أولياء الله المتقين مع أن أحدنا لو خير بين
حلول الحين أو البقاء فى الدنيا مطلقا باشمار العين لاختار البقاء مع اعلى هذه الحال مع كونه لا
فى طاعة ازدياد ولا عن معصية تاب فالوحدة كلها اخلاق يهودية لا تليق بمن ينتسب الى هذه الملة المحمدية
قال الله عز وجل مخبرا عن حال اليهود وكاشفا الاسرارهم وهاتكا الاستارهم ولتجدنهم أحرص الناس
على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله
بصير بما يعملون فلولم ينه العاقل عن محبة البقاء فى هذه الدار ويأمره بايثار دار القرار الا التشبه باليهود
الناقضين للعهود المتهاونين بأوامر المعبود لكان ذلك أبلغ ناه وآمر فصلا عما ورد فى ذلك من زواجر
وزواجر نزع الله عن قلوبنا حجاب الغفلة والغرور وحمانا عن مشائمه كل ظلوم وكفور وحسب
ورزقنا ما رزق أولياءه وأصفياءه وأحباءه بمنه وكرمه (ما حجبك عن الله وجود موجود معه ولكن
حجبه توهم موجود معه) تقدم أن لا موجود سوى الله تعالى على التحقيق وأن وجود ما سواه انما هو
مجرد ولا حاجب لك عن الله تعالى الا توهم وجود ما سواه لا غير والتوهمات باطلة فلا حاجب لك عن الله
تعالى اذا وقد استوفى المؤلف رحمه الله تعالى ذكر جميع أنواع العبارات فى هذا المعنى قبل هذا فى
لطائف المنن وأشبه شئ بوجود الكائنات اذا نظرت اليها بعين البصيرة وجود الظلال والظل لا موجود
باعتبار جميع مراتب الوجود ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم واذا ثبتت ظلية الآثار لم تنقع
أحدية المؤثر لان الشئ انما يشفع بمثله ويضم الى شكله كذلك أيضا من شهد ظلية الآثار لم تعقه عن
الله تعالى فان ظلال الاشجار فى الانهار لا تعوق السفن عن التسيار ومن ههنا يتبين لك أيضا أن

أنه فى ذاته عدم محض عند العارفين ووجوده كوجود ظلال الحجاب
سير السفن فلا حاجب لك عن الله الا توهم وجود ما سواه لا غير وذلك كرجل بات فى مكان وأراد البراز فمنع
ظلمة وتيرا أى صوت أسد فمنعه ذلك عن البراز فلما أصبح لم يجدهما لأنه اشتدا واء الريح فاصطكت فى تلك

الكوة فما حجبه وجود أسد وانما حجبه توهم الاسد (لولا ظهوره فى المكونات) أى تجليه عليها بالوجود (ما
أى الوجود واذا لم توجد فلا بصر فوجودها انما هو بطريق العارية وظهور الحق فيها كظهور الشمس فى الكو
فهى انما عدم محض لا وجود لها فى ذاتها كما تقدم غير مرة ويحتمل أن المعنى أن ظهور الحق تعالى الذى من وراء
أوجب ظهورها ووقوع الابصار عليها ولولا تجليه فى هذه المكونات بأن يجلى التجلى الحقيقى الذى لا اختفاء معه
يقع عليها ابصار بدليل قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا والى ذلك أشار بقوله (لو ظهرت ص
بل لم يكن هنالك بصر ولا ابصار ولا مبصر كما جاء فى الحديث حجابه النور وفى رواية حجابه النار لو كشف عنها لاحرقت
أدركه بصره (أظهر كل شئ لانه الباطن) أى ان مقتضى اسمه الباطن أن لا يشاركه فى البطون شئ فلذا أظهر
ظاهرة ولا باطن فيها غيره (وطوى وجود كل شئ لانه الظاهر) أى ان مقتضى اسمه الظاهر (٩٩) أن لا يشاركه

الحجاب ليس أمرا وجوديا بينك وبين الله ولو كان بينك وبينه حجاب وجودى للزم أن يكون أقرب اليك
منه ولا شئ أقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب فما حجبك عن الله وجود موجود معه
وذلك كرجل بات فى مكان وأراد البراز فسمع صوت الرياح من كوة هنالك فظنه زئير أسد فمنعه ذلك عن البراز
فلما أصبح لم يجد هنالك أسدا وانما هو الريح انضغط فى تلك الكوة فما حجبه وجود أسد وانما حجبه توهم
الاسد (لولا ظهوره فى المكونات ما وقع عليها وجود ابصار لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته) ظهور
الحق تعالى من وراء حجاب المكونات هو الذى أوجب ظهورها ووقوع الابصار عليها ولولا وجود حجابيتها
لم يقع عليها ابصار ولتلاشت لوجود التجلى الحقيقى كما قال لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته بل لم يكن
هنالك بصر ولا ابصار ولا مبصر كما جاء فى الحديث حجابه النار وفى رواية النور لو كشف عنها لاحرقت سبحات
وجهه كل شئ أدركه بصره (أظهر كل شئ لانه الباطن وطوى وجود كل شئ لانه الظاهر) من أسمائه
تعالى الظاهر والباطن فاسمه الظاهر يقتضى بطون كل شئ حتى لا ظاهر معه فينطوى حينئذ وجود كل شئ
واسمه الباطن يقتضى ظهور كل شئ حتى لا باطن معه فيظهر اذ ذاك وجود كل شئ فالحق تعالى هو الموجود
بكل اعتبار والحمد لله (أباح لك أن تنظر ما فى المكونات وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات
قل انظروا ماذا فى السموات فتح لك باب الافهام ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الاجرام)
أمر الله تعالى بالنظر فى المكونات ليس لذاتها الان فى ذلك البعد عن الله تعالى بالنظر الى ما سواه ولم يبح هذا
وانما أمرهم بذلك ليتوصلوا بنظرهم فيها اليه لوجود ظهوره فيها والاشارة الى هذا المعنى بقى فى قوله تعالى
قل انظروا ماذا فى السموات والارض فالمعنى المقصود فى وجود الظرفية ومنها يستفاد وهو معنى قوله فتح
لك باب الافهام فلو أسقطها وقال انظروا السموات لكان فيه دلالة على وجود الاجرام وهى أغيار له وفيها
البعد عنه فكيف يدل على ذلك وهو لم يأذن فيه قال فى لطائف المنن فانصبت لك الكائنات لتراها ولكن
لترى فيها مولاها فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من
حيث كونيتها قال ولنا فى هذا المعنى

ما أبيحت لك العوالم الا * لتراها بعين من لا يراها
فارق عنها رقى من ليس يرضى * حالة دون أن لا يرى مولاها

(الاكوان ثابتة باثباته وممحوة بأحدية ذاته) الاكوان من ذاتها العدم المحض كما تقدم وانما حصل

فيها (وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات) بأن تحتجب بها عنه فلا تشاهده فيها ثم استدل على ذلك وبينه
السموات) فأتى بفى الظرفية المشعرة بأن الاعتبار بالمظروف دون الظرف قال فى لطائف المنن فانصبت لك الك
فيها مولاها فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها
بقوله قل انظروا ماذا فى السموات (فتح لك باب الافهام) أى نبهك وأيقظك لما هو المطلوب منك وهو مشاهدته
(ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الاجرام) فتحتجب بها عنه ولا تشاهده فيها فتقصر مقصدا مع أنها
وتعالى يتجلى فيها الحق سبحانه لارباب الشهود ويستدل بها عليه أرباب الحجاب ثم ذكر حاصل ما تقدم بقوله (الاكو
محض وانما هى (ثابتة باثباته) أى انما حصل لها وصف الثبوت والتحقق باثبات الله لها أى ظهوره فيها والثبوت
حقيقة الا هو ولذا قال (وممحوة بأحدية ذاته) أى من نظر الى أحدية ذاته لم يجد للاكوان ثبوتا وتحققا حينئذ

العارفين في (١٠٠) الذات البحت أي الخالصة عن الظهور في المظاهر وهي الاكوان والواحدية هي

لها وصف الثبوت باثبات الله تعالى لها وجعلها أكوانا فالثبوت لها أمر عرضي والحق اللازم هو وجود أحدية الله عز وجل والاحدية مبالغة في الوحدة ولا تتحقق الا اذا كانت الوحدة بحيث لا يمكن أن يكون أشد ولا أكمل منها في مقتضى حقيقتها محو الاكوان وبطلانها بحيث لا توجد اذ لو وجدت لم تكن أحدية ولكان في ذلك تعدد واثنينية كما قيل

رب وعبد وفي صد * قلت له ليس ذاك عندي
فقال ما عندكم فقلنا * وجود فقد وفقد وجدي
توحيد حق بترك حق * وليس حق سواي وحدي

وأنشدوا أيضا

سر سري من جناب القدس أفناني * لكن بذاك الفنا عني قد احياني
وردني للفناء حتى أعرفن * جمال حضرته لكل معاني
وطرت في ملكوت من عجائبه * لم ألق غير وجود ماله ثاني

وأنشد المؤلف رحمه الله تعالى لنفسه في لطائف المنن يوصي رجلا من اخوانه اسمه حسن فقال

حسن فأن تدع الوجود بأسره * حسن ولا يشغلك عنه شاغل
ولئن فهمت التعلق بأنه * لا زال الا الذي هو حاصل
ومتى شهدت سواه واعلم انه * من وهمك الادنى وقلبك ذاهل
حسب الاله شهوده لوجوده * والله يعلم ما يقول القائل
ولقد أشرت الى الصريح من الهدى * دلت عليه ان فهمت دلائل
وحديث كان وليس شيء غيره * يقضي به الا الفتى اللبيب العاقل
لا عروان لا نسبة مثبوتة * ليذم دون زلك ويحمد فاعل

وقال رضي الله عنه ﴿الناس يمدحونك لما يظنونه فيك فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها﴾ ثم العبد لنفسه واحتقارها لما يتحققه من عيوبها وآفاتها مطلوب منه لان ذلك يؤديه الى الحذر من غرورها وشرورها فتصلح بسبب ذلك أعماله وتصدق أحواله والا فسدت عليه واعتلت لدخول الآفات عليها ولا يصده عن ذلك ثناء الناس عليه ومدحهم له لانه يعلم من عيوب نفسه ما لا يعلمه غيره ثم انهم انما أثنوا عليه بما يجب عليهم من المدح له وحسن الظن به وينبغي أيضا أن يقوم هو بما يجب عليه من اتهام نفسه وسوء اعتقاده فيها قال بعضهم من فرح بمدح نفسه فقد أمكن الشيطان أن يدخل في بطنه وقال آخر اذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب اليك من أن يقال بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل وقيل لبعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم لن يزال الناس بخير ما أبقاك الله فيهم فغضب وقال اني لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الى بمقتك فاشهدك على مقته وقال آخر اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنا بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون قال الامام أبو حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه وانما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلائق لان الممدوح هو المقرب عند الله تعالى والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله تعالى الملقى في النار مع الاشرار وهذا الممدوح ان كان عند الله تعالى من أهل النار فما أعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس أمره بيد الخلق ومهما علم أن الارزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه انتهى كلام أبي حامد رضي الله تعالى عنه

في العلو أكد تكذيبه وزجره وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في

لمنهي عنه وكذا لو كان مدحه يورث عند الممدوح غرة ويغلطه في نفسه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه

وسلم لمن مدح عنده رجلا قطعت عنق صاحبك وقال اياكم والمدح فانه الذبح (المؤمن) الحقيقي (اذا مدح ا
بوصف لا يشهده من نفسه) أي لا يرى ذلك الوصف الذي مدح عليه من نفسه وانما يراه منة من الله عليه
محمودة يستحق بها أن يثني عليه وانما يشهد ذلك من ربه فاذا أثنى الناس عليه وذكروا محاسنه استحيا من الله
يثني عليه بصفة ليست منه فيزداد بذلك مقتا لنفسه واستحقارا لها ونفورا عنها وتقوى عنده رؤية احسان الله
المحاسن عليه وهذا هو الشكر الذي به ينال المزيد مع سلامته من السكون الى ثناء العبيد (أجهل الناس)
يقين ما عنده) أي اليقين الذي عنده وهو علمه بعيوب نفسه وتقصيره مع ربه (١٠١) (لظن ما عند الناس

عنه ((المؤمن اذا مدح استحيا من الله تعالى ان يثني عليه بوصف لا يشهده من نفسه)) المؤمن الحقيقي هو
الذي لا يشهد من نفسه صفة محمودة يستحق بها أن يمدح أو يثني عليه وانما يشهد ذلك من ربه عز وجل
فاذا أثنى الناس عليه وذكروا محاسنه استحيا من الله تعالى استحياء تعظيم واجلال أن يثني عليه بصفة
ليست فيه فيزداد بذلك مقتا لنفسه واستحقارا لها ونفورا عنها وتقوى عنده رؤية احسان الله تعالى اليه
وشهود فضله في اظهار المحاسن عليه وهذا هو الشكر الذي ينال به المزيد مع سلامته من السكون الى
ثناء العبيد ((أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس)) الاغترار بمدح الناس وثنائهم غاية
في الجهل والغباوة وذلك من علامات المقت لان المغتر بذلك ترك يقينه بنفسه لظن غيره به وهو على كل
حال أعلم بنفسه وقد شبه الحرث المحاسبي رضي الله عنه الراضي بالمدح بالباطل بمن يهزأ به ويقال له ان
العذرة التي تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وهو يفرح بذلك ويرضى بالسخرية به قلت ولا شك
أن الذنوب والعيوب التي يعلمها العبد من نفسه أنتن وأقذر من العذرة التي تخرج من جوفه ولا فرق بين
الحالين الا أنه في حال المدح يعلم أن المادح لم يشاركه في معرفة ذنوبه وعيوبه مشاركة ذلك المستهزئ
المستهزأ به في معرفة حال ما يخرج من جوفه فهو بجهله وغباوته قد رضي بأن يكون له في قلوب العباد
الجاهلين بحاله قدر وجاه من غير مبالاة بسقوطه من عين مولاه الذي يعلم من حاله ما لا يعلمه هو ولا غيره
من حيث رضي بالمدحة وفرح بها ولم يقابل ذلك بالاباء والكراهية هذا اذا كان المادح من أهل العلم
والدين وأما ان كان جاهلا أو فاسقا فلا غباوة أعظم من الرضا بمدحهم والفرح به قال يحيى بن معاذ
الرازي رضي الله عنه تزكية الاشرار هجنة بك وحبهم لك عيب عليك وقيل لبعض الحكماء ان العامة
يثنون عليك فاظهر الوحشة من ذلك وقال لعلهم رأوا مني شيئا أعجبهم ولا خير في شئ يسرهم ويعجبهم
وروي عن بعض الحكماء انه مدحه بعض العوام فبكى فقال له تلميذه أتبكي وقد مدحك فقال له انه
لم يمدحني حتى وافق بعض خلقي خلقه فلذلك بكيت فانظر هذا فقد نبهك هذا الحكيم على العلة في ذلك
((اذا أطلق الثناء عليك ولست بأهل فاثن عليه بما هو أهله)) المؤمن هو الذي لا يرى نفسه أهلا لان
يمدح أو يثني عليه لان موجبات ذلك ليس له منها شئ كما تقدم فاذا أطلق الله تعالى ألسنة الناس بالثناء
عليه ولا أهلية فيه لذلك فينبغي أن يعرف الحق لاهله فيستعمل نفسه بالثناء على الله تعالى بما هو أهله
ليكون ذلك شكر النعمة اطلاق الالسنة بالثناء عليه من غير استحقاق لذلك ولا ثبوت أهلية ((الزهاد اذا
مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق والعارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك
الحق)) تقدم أن الزهاد في غيبة عن الله تعالى فهم لا يشاهدون الا الخلق فاذا مدحوا وأثني عليهم شهدوا
ذلك من الخلق فانقبضوا عند ذلك لانهم يخافون فوات نصيبهم من ربهم لاجل ما يتوقعون من الاغترار

وستره الجميل (فاثن عليه بما هو أهله) أي فالادب أن تثني على سيدك بما هو أهله ليكون ذلك شكر النعمة ستر
بمدحك مع عدم أهليتك لذلك ولا تغتر بأقوال المادحين (الزهاد اذا مدحوا) أي مدحهم أحد من الناس (ا
صادرا (من الخلق) وغيبتهم عن الرب وانما انقبضوا حينئذ خوف الاغترار بذلك الثناء فيفوتهم نصيبهم من ربهم
انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق) فهم حاضرون مع ربهم لا يشاهدون معه غيره فالون ألسنة الخلق آلات
الثناء منه فانبسطوا لذلك وكان مزيدا في حالهم ومقامهم لغيبتهم عن أنفسهم فلا يحصل عندهم اعجاب ولا ا
صلى الله عليه وسلم اذا مدح المؤمن في وجهه ربا الايمان في قلبه واذا كان يمدح المصنف شيخه المرسي وهو
موقعا عظيما وكذا وقع لغيره من العارفين وصاحب هذا المقام اذا ذمه أحد لا يجد في نفسه غلبه ولا يؤذيه لعدم ش

سطلك العطاء وإذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك) أي تطفلك على أهل الله ولست منهم ولا
تستحقه كما أن (٢٠٠) الطفيلي يدخل مع الأضياف في ضيافتهم ولا يستحق الدخول معهم وهو منسوب إلى طفيل

فكذلك العارفون إذا مدحوا ... ربهم فهم لا يشاهدون معه غيره وإذا مدحوا شهدوا الثناء من ربهم
وانبسطوا لذلك وكان ذلك مزيدا في حالهم ومقالهم لغيبتهم عن أنفسهم كان بعضهم يمدح وهو ساكت
فقيل له في ذلك فقال وما علي من ذلك ولست أغلط في نفسي بل لست في البين والمجري والمثني هو الله عز
وجل وقيل هذا المعنى في الخبر المروي إذا مدح المؤمن في وجهه ربا الإيمان في قلبه قال أبو طالب المكي
رضي الله عنه وفيه طريق للعارفين بأن علو الإيمان العلي إلى المولى الأعلى فيفرح بذلك لمولاه ويضيفه
إلى سيده الذي تولاه فيرد الصنعة إلى صانعها ويشهد من الفطرة فاطرها ويكون ذلك مدحا للصانع
ووصفا للفاطر لا ينظر إلى وصفه ولا يعجب بنفسه انتهى قلت وللمؤلف رحمه الله قصائد في مدح شيخه أبي
العباس المرسي رضي الله عنه وكان ينشدها كثيرا بين يديه ويقع ذلك منه موقعا عظيما وكان يستعيد
منه بعضها ويقول له في بعضها أيدك الله بروح القدس نحو ما كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لشاعره حسان بن ثابت مع أن حب المدح عندهم من الرذائل التي تشبه النقائص ويهدا النظر والشهود
الذي استقام لهم من مدحهم لا يضرهم وثناؤهم عليها لم يستقم لغيرهم كما وقع لجماعة منهم وقد روي في
ذلك عن سيدي عبد القادر الجيلاني وسيدي أبي الحسن الشاذلي وسيدي أبي العباس المرسي رضي
الله عنهم وغيرهم غير شيء مع أن ذلك معدود عندهم من الصدق القبيح وما ذلك إلا لما ذكرناه ولا يتأول
ما وقع لهم من ذلك بما تأول به علماء الظاهر مدح يوسف عليه الصلاة والسلام لنفسه وثناؤه عليها بغاية
الحفظ والعلم لعدم الحاجة إليه في هذا المقام والله تعالى أعلم وعلامة الصادق في حب المدح وإن كان
صاحب هذا المقام لا يحتاج إلى علامة أن لا يكره ذم الناس له من حيث نسبة ذلك إليهم لأنهم مقهورون
في قبضة القدرة فيسمح لهم ويصفح عنهم ولا يحقد قلبه عليهم ولا يصل بشيء من الأذى إليهم كما قيل

رب رام لي بأحجار الأذى * لم أجد بدا من العطف عليه

فعسى يطلع الله على * فرح القوم فيدنيني إليه

(متى كنت إذا أعطيت بسطك العطاء وإذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك
وعدم صدقك في عبوديتك) القبض عند المنع والبسط عند العطاء من علامات بقاء الحظ والعمل على
نيله وهو مناقض للعبودية عند العارفين فمن وجد ذلك فليعرف به عدم صدقه في عبوديته وأنه طفيلي
بين أهل الله تعالى في ادعائه مقاماتهم وهو لم يؤهل لها والطفيلي هو الذي يأتي الولائم والضيافات فيدخل
مع أهلها من غير دعوة وهو منسوب إلى رجل من أهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يقال
له طفيل الأعراس وطفيل العرائس وكان يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها فشبه صاحب الكتاب
هذا به قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه أكثر الخلق مع الله تعالى في أحوالهم وإرادتهم
على الطريق ما تحقق منهم له إلا القليل إلا تراه تعالى يقول وما يتبع أكثرهم إلا ظنا فمن تحقق في حاله مع
الله تعالى غاب عن كل ما سواه وله من الأحوال والأقوال والأفعال نظرا إلى ما إليه من رعاية الحق
ومباطنته وتوليه وكان للحق من حيث الحق له لا من حيث هو للحق ولكن أكثر القوم يشيرون إليه
بالمعرفة ويظهرون حالة المحبة فإذا ورد عليهم وارد بلاء أو ابتلاء من ادرجت نفوسهم إلى حد الاشتغال
عليها والاهتمام بها ونسوا ما ادعوا به وما أشاروا إليه ولو كانوا للحق من حيث الاستحقاق لسواق بخبث
ما أشاروا إليه جميع الموارد ساء أم سر لأن من حصل في ميدان الوصول لا يعترض عليه عارض حاله
وأذهله حاله عما سواه وقال رضي الله عنه (إذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا ليأسك من حصول
الاستقامة مع ربك فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك) الاستقامة على العبودية لا يناقضها فعل الذنب

مثلك ذلك على تعاطي غيره من الذنوب وهذا غلط لأن الاستقامة على العبودية لا يناقضها ... على
لسنة والهفوة إذا أجرى القدر عليه بذلك وإنما يناقضها الإصرار عليه والعزم على فعله ثانيا فالواجب عليك
لبه ولا تيأس من رحمته (فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك) ويقبل عليك المولى بعد ذلك بتوبته وإحسانه

ثم أشار الى ما يكون سببا في الرجوع الى الله عند صدور الذنب فقال (اذا أردت أن يفتح) الله (لك باب الرجاء) في
في نفسك (ما) هو واصل (منه اليك) من جلب المنافع ودفع المضار من حين كونك في بطن أمك الى الوقت الذي أ
غلب عليك حال الرجاء فيه وعدم اليأس من رحمته ولو مع الوقوع في الذنب (واذا) غلب عليك الرجاء وخشيت أ
(أردت أن يفتح لك باب الخوف) ليكفيك عن ذلك (فاشهد) أي استحضر في نفسك (ما) هو واصل (منك اليه)
وسوء الادب بين يديه فاذا شهدت ذلك غلب عليك حال الخوف فتنكف عن مخالفته فالرجاء والخوف حالان
المذكورتين وتشبيههما بشئ عليه باب مغلق استعارة بالكناية والباب تخييل والفتح (١٠٣) ترشيح أو الاضافة

على سبيل الغلتة والهفوة اذا جرى القدر عليه بذلك وانما يناقضها الاصرار عليه فاذا وقع من العبد ذنب فينبغي له أن يبادر الى التوبة منه ولا ييأس بسبب وقوعه فيه من الاستقامة مع ربه ويرى أنه طرده وأبعده رؤية توجب له القنوط من رحمة الله تعالى واليأس من روح الله تعالى لانه قد يكون ذلك الذنب آخر ذنب قدر عليه وقد وقع ذلك وفرغ منه ((اذا أردت أن يفتح لك باب الرجاء فاشهد ما منه اليك واذا أردت أن يفتح لك باب الخوف فاشهد ما منك اليه)) الرجاء والخوف حالان عن مشاهدتين فمن أراد أن يفتح له باب الرجاء فليشهد ما من الله له من الفضل والكرم والاسعاف والالطاف فسيغلب عليه حينئذ حال الرجاء ومن أراد أن يفتح له باب الخوف فليشهد ما منه الى الله تعالى من المخالفة والعصيان وسوء الادب بين يديه فسيغلب عليه حينئذ حال الخوف ((ربما أفادك في ليل القبض مالم تستفده في اشراق نهار البسط لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا)) تقدم أن القبض يؤثره العارفون على البسط لما فيه من عدم حظ النفس ووجود قدرتهم على الوفاء بآدابه دون البسط وقد ينفتح لهم فيه من أبواب المعارف مالا ينفتح لهم في البسط فينبغي للعبد أن يعرف نعمة الله تعالى عليه في ليل القبض كما يعرفها في اشراق نهار البسط لما يعلم أن في الليل من المنافع ماليس في النهار فليكل علم ذلك الى ربه وليحسن ظنه به فانه لايدري أيهما أقرب اليه نفعا كما أشار اليه بالآية الكريمة وتشبيه القبض بالليل والبسط بالنهار مجاز بديع وقد تقدم نحوه في كلام الاستاذ سيدي أبي الحسن رضي الله عنه ((مطالع الانوار القلوب والاسرار)) نجوم العلم وأقمار المعرفة وشموس التوحيد مطالعها وموضع شروقها قلوب العارفين وأسرارهم وهذه هي الانوار الحقيقية من المطالع الروحانية بخلاف الانوار الحسية قال في لطائف المنن واعلم أن الله سبحانه وتعالى اذا تولى وليا صان قلبه من الاغيار وحرسه بدوام الانوار حتى لقد قال بعض العارفين اذا كان الله سبحانه وتعالى قد حرس السماء بالكواكب والشهب كي لا يسترق السمع منها فقلب المؤمن أولى بذلك يقول الله تعالى فيما يحكيه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن فانظر رحمك الله هذا الامر الاكبر الذي أعطيه هذا القلب حتى صار لهذه الرتبة أهلا ولهذا قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور المؤمن المطيع قال ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول لو كشف عن حقيقة الولي لعبد لان أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته قال ولقد أخبرني بعض المريدين قال صليت خلف شيخي صلاة فشهدت ما بهر عقلي وذلك أني شهدت بدن الشيخ والانوار قد ملأته وانبثت الانوار من وجوده حتى اني لم أستطع النظر اليه قال فلو كشف الحق تعالى عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات أنوار قلوبهم وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم الشمس يطرأ عليها الكسوف

البسط وأن يكل كل ذلك الى ربه ويحسن ظنه به فانه لايدري أيهما أقرب له نفعا كما قال تعالى (لاتدرون أيهم أقرب
أي مواضع طلوع وشروق الانوار المعنوية وهي نجوم العلم وأقمار المعرفة وشموس التوحيد (القلوب والا
وأسرارهم فهي كالسماء التي تشرق فيها الكواكب وتطلع فيها وتقدم أن تلك الانوار أشد اشراقا من أنوار
لو كشف الحق تعالى عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات أنوار قلوبهم وأ
أنوار القلوب فان ذلك النور يطرأ عليه الكسوف والغروب وأنوار قلوب أهل الله لا كسوف لها ولا غروب اهـ
لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور المؤمن الطائع فمن لطف الله عدم الا
فقد قال المرسي قدس سره لو كشف عن حقيقة الولي لعبد لان أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته اهـ

) وهو نور اليقين المودوع في قلوب العارفين (مدده) أي يستمد ويتزايد ضياؤه (من النور الوارد من خزائن الغيوب)
ـة فإذا اعتنى الله عليهم بأوصافه تزايد ذلك النور الحاصل في قلوبهم وذلك دليل على عناية الله بهم قال في لطائف
ـه تعالى إذا تولى وليا صان قلبه من الأغيار وحرسه بدوام الأنوار اهـ ثم أشار إلى أن النور المستودع في القلب
كشف لك به عن آثاره) أي عن أحوال المكونات فتطلع على أحوال العباد وعلى ما فوق السماء وما تحت الأرض
ا وهو ليس معنى  به عند المحققين (ونور يكشف لك به عن أوصافه) أي أوصاف جلاله وجماله وذلك

والغروب وأنوار قلوب أولياء الله تعالى لا كسوف لها ولا غروب كذلك قال قائلهم

إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب

(نور مستودع في القلوب مدده من النور الوارد من خزائن الغيوب) نور اليقين المستودع في القلوب يستمد ويتزايد ضياؤه من النور الوارد من خزائن الغيوب وهو نور الأوصاف الأزلية كما ذكرناه عن الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله عنه قبل هذا وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى أنوار الظواهر أنوار آثاره وأنوار السرائر أنوار أوصافه (نور يكشف لك به عن آثاره ونور يكشف لك به عن أوصافه) النور المدرك بالحواس يكشف لك به عن آثاره وهي الأكوان المحدثة وليس لك إلى ذلك كبير حاجة إلا من حيث تستدل به على المؤثر والنور المستودع في القلوب يكشف لك به عن أوصافه الأزلية حتى تراها عيانا وهي حينئذ غاية بينك وبه تعرف قدرك ومنزلتك إذ بذلك تحقق في المعرفة وترتقي إلى المشاهدة ولا تحتاج إلى الدليل بذلك وهذا هو فائدة ما بين النورين فالفرق في لطائف المنن نور الشمس تشهد به الآثار ونور اليقين تشهد به المؤثر وقال في هذا المعنى

هذه الشمس قابلتنا بنور ● ولشمس اليقين أبهر نورا

فرأينا بهذه النور لكن ● بهاتيك قد رأينا المنيرا

(ربما وقفت القلوب مع الأنوار كما حجبت النفوس بكثائف الأغيار) القلوب نورانية فتحجب بوقوفها مع لطائف الأنوار النورانية من العلوم والمعارف والنفوس ظلمانية فتحجب بميلها لكثائف الأغيار الظلمانية من العادات والشهوات فالقلوب تحجب بالأنوار كما أن النفوس تحجب بالظلمات والحق وراء ذلك كله قال أبو الحسن الششتري رحمه الله عليه في قصيدته الرائية

تقيدت بالأوهام لما اعتقلت ● عليك بنور العقل أورثك العمى

وهمت بأنوار فهمنا أصولها ● ومنبعها من أين كان فما هنا

وقد تحجب الأنوار للعبد مثل ما ● يبعد من انظلام نفس حوت غنى

(ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر إجلالا لها أن تبتذل بوجود الإظهار وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار) أنوار السرائر إنما حجبت عن العيان باستتارها من كثائف الظواهر مع أن الظهور والتمام لا ينبغي أن لا يكون إلا لها لأنها رفيعة القدر جليلة الخطر فأجلها عن الابتذال لها بوجود إظهارها وصانها من أن ينادى عليها بلسان الاشتهار بين الأغيار فيكون ذلك نوعا من الإهانة بها وقد تقدم مثل هذا المعنى قوله سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية

(تم الجزء الأول من شرح ابن عباد على الحكم ويليه الجزء الثاني
أوله سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه)

أوليائه (بكثائف الظواهر) أي بالأحوال التي تلبس بها ظواهرهم وبتعاطونها من الصنائع وغيرها
الـة أي حاجبة لغيرهم عن الاطلاع على أسرارهم ثم بين وجه استتارها بالأنوار مع أن الظهور والتمام لا ينبغي أن
تبتذل بوجود الإظهار وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار) أي لأنها رفيعة القدر جليلة الخطر فأجلها من
ـها وصانها من أن ينادى عليها بلسان الاشتهار بين الأغيار فيكون ذلك نوعا من الإهانة بها وقد تقدم هذا في
خصوصية إلخ لكن أعادها هنا لأجل التعليل المذكور وأيضا ستر ذلك رحمة من الله بالمؤمنين إذ لو ظهرت أسرار
ـلى من ظهرت له لم يقدر على القيام بأداء الشكر ووقع في المحذور